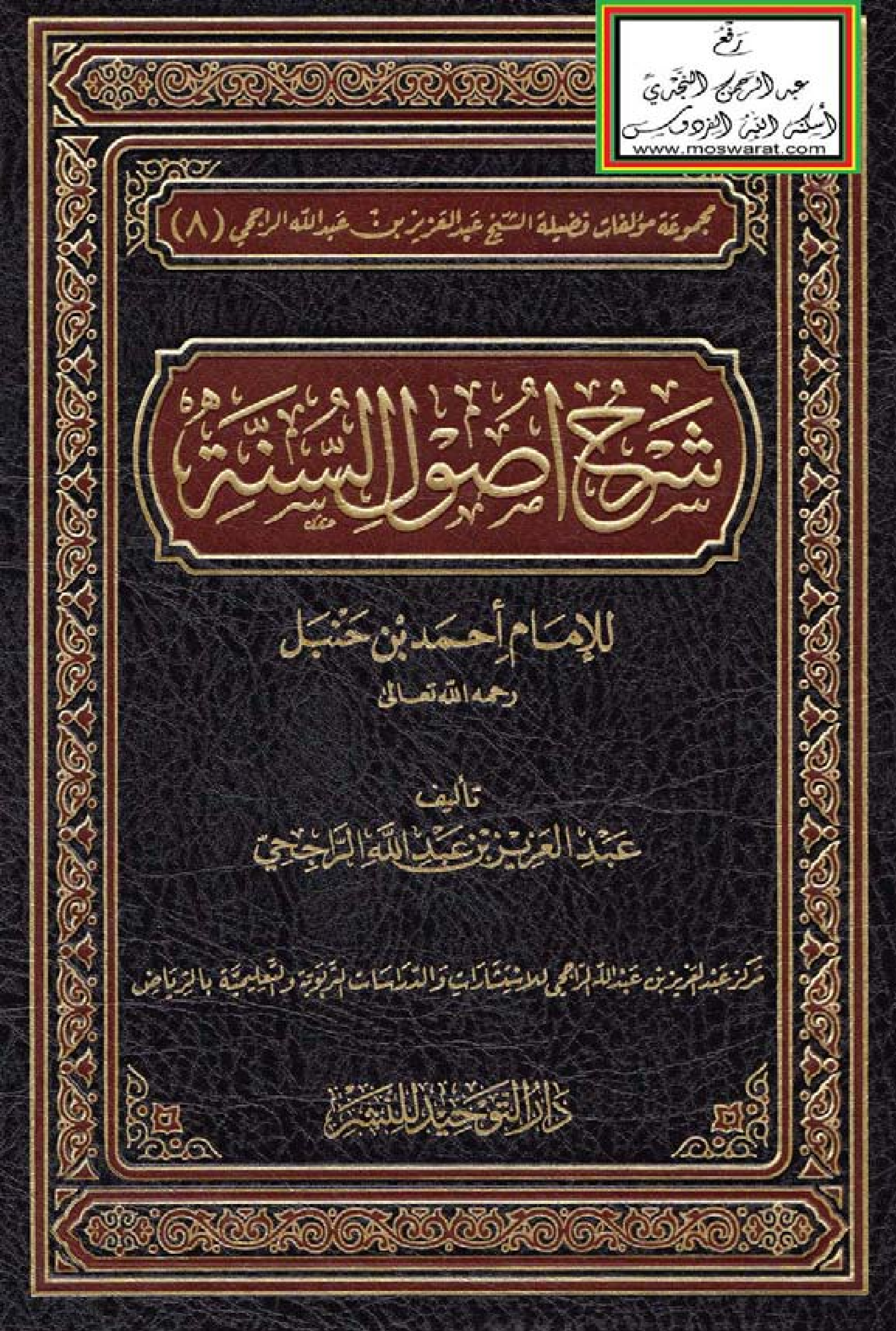
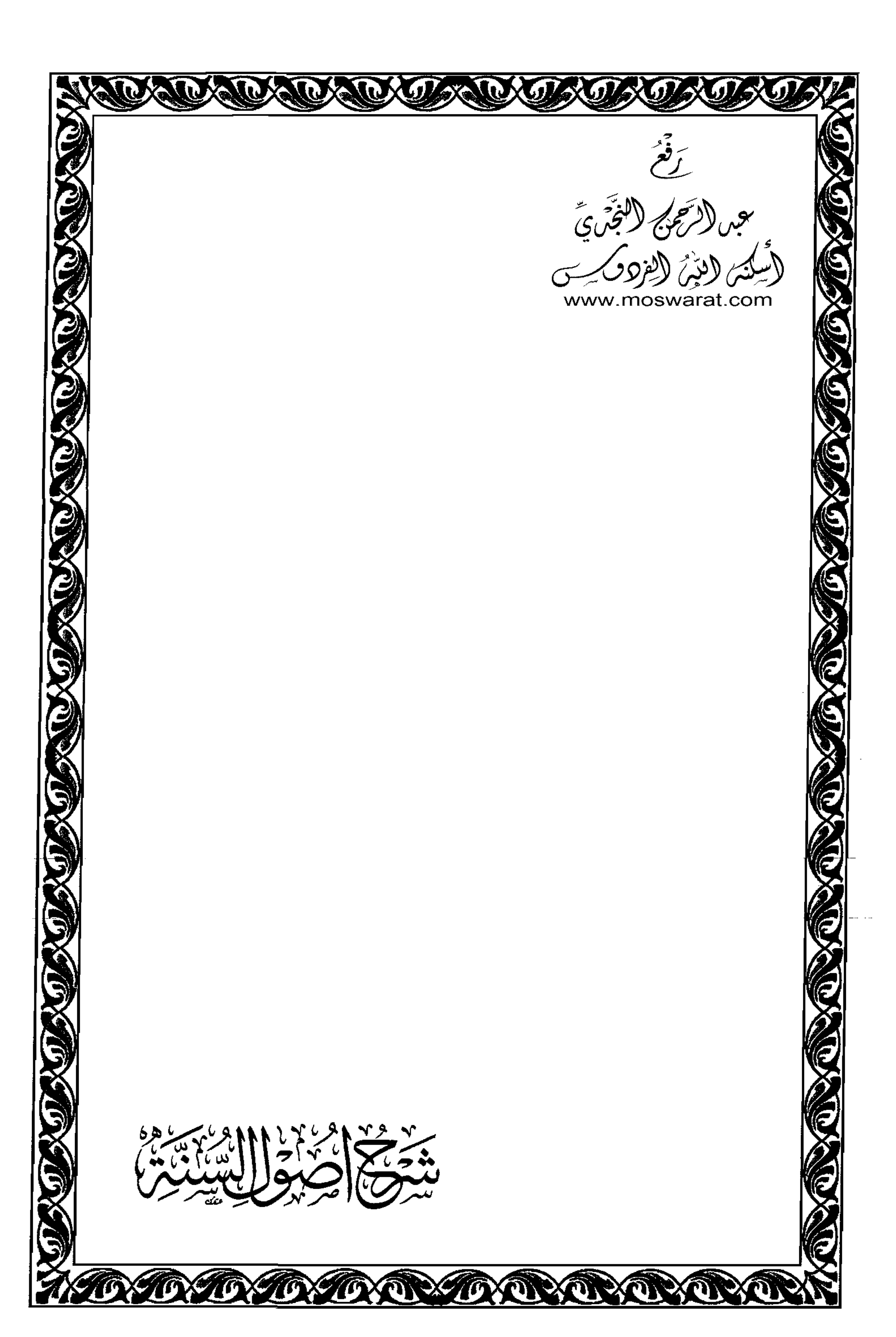
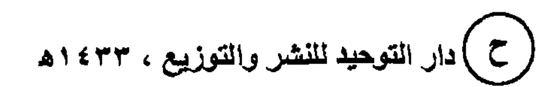


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٨)
شرح أصول السنة
للإمام أحمد بن حنبل
رحمه الله تعالى
تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية بالرياض
دار التوحيد للنشر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
شرح أصول السنة


ح دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبدالعزيز عبدالله

شرح أصول السنة./عبد العزيز عبدالله الراجحي- الرياض١٤٣٣هـ

٢٤٨ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٦-٢٠-٨٠٢٩-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد ٣- أهل السنة أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٣/٢٠٩٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٠٩٠

ردمك: ٦-٢٠-٨٠٢٩-٦٠٣-٩٧٨

الطَبعَةُ الأولى ١٤٣٤هـ

ترخيص رقم (٣٨٩)

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٣١٢ ص.ب: ٢٤٥٩٦٠

٠٠٩٦٦١٤٤٥٥٩٩٥ — ٠٠٩٦٦٥٠٩٢٤٢٤٢٥

http://shrajhi.com - info@shrajhi.com

دار التوحيد للنشر

الرياض- المملكة العربية السعودية

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٨)



شرح أصول السنة

للإمام أحمد بن حنبل

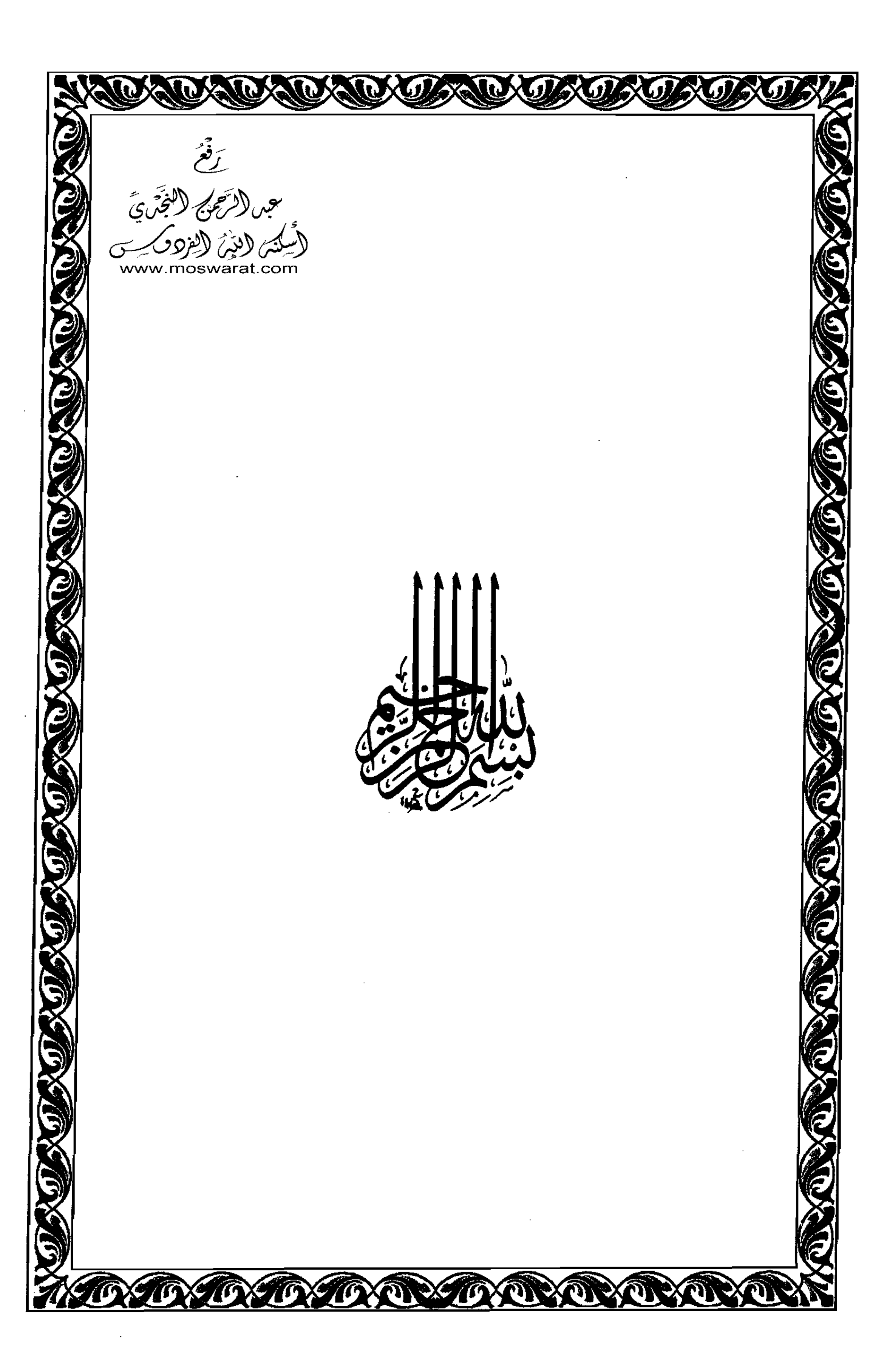
رحمه الله تعالى

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

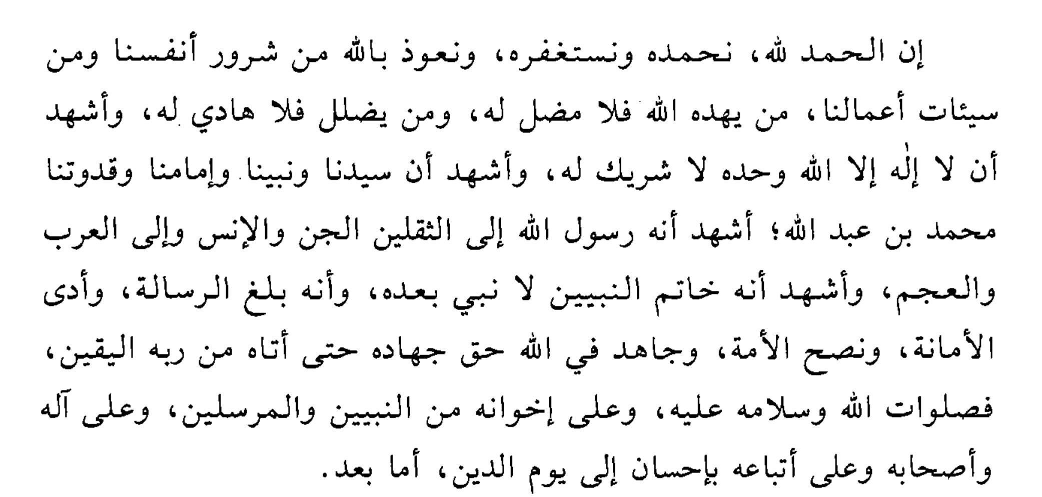
مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية بالرياض

دار التوحيد للنشر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة



إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبد الله؛ أشهد أنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس وإلى العرب والعجم، وأشهد أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

إن خير ما أنفق فيه الإنسان عمره، وأوقاته وأنفاسه: طلب العلم، وتعلّم العلم وتعليمه، الذي هو من أفضل العبادات، وأجل القُربات، وقد ذكر أهلُ العلم أنه أفضل من نوافل العبادة. فتعلّمُ العلمِ وتعليمه، أفضل من نوافل العبادة، فإذا تعارضت نافلة من نوافل العبادات؛ كالصلاة، والصيام، أو الحج، مع تعلم العلم وتعليمه؛ فإن تعلّم العلم وتعليمه مُقدَّم؛ وما ذاك: إلا لأن نوافل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، قاصرٌ نَفْعُهُ على صاحبه، أما العلم ـ تعلّماً وتعليماً ـ فإن نَفْعَهُ متعدي؛ لأن الإنسان إذا تعلّم وتبصّر وتفقّه في شريعة الله؛ رفع الجهل عن نفسه؛ لأن الأصل أن الإنسان لا يعلم شيئاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وقال ﷻ لنبيه الكريم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧].

فالأصل في الإنسان أنه لا يعلم، ثم بعد ذلك يتعلم، ويتبصّر؛ فيرفع الجهل عن نفسه، ثم يرفع الجهل عن غيره، وبهذا يكون الإنسان إذا تعلم

وعمل، ثم نشر علمه وصبر على الأذى؛ يكون من الرابحين، الذين استثناهم الله في قوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، فقد أقسم الله ﷻ ـ وهو الصادق ـ: أن جنس الإنسان في خسارة؛ فقال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ٢] إلا من اتصف بهذه الصفات الأربعة التي أوَّلُها: الإيمان، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٣]، وهذا الإيمان مبنيٌّ على العلم والبصيرة، ثم قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] والمراد: حسن العمل، ثم قال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، وهذه هي الدعوة إلى الله، ونشر العلم، ثم قال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ٣]. فهؤلاء هم الرابحون؛ أهل السعادة ـ أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ـ.

فلا بد لطالب العلم أن يستشعر هذا الأمر؛ وأنه في عبادة ما دام يطلب العلم، فعليه أن يخلص لله ﷻ في عبادته. فإذا كان تعلم العلم وتعليمه؛ من العبادات العظيمة، فعلى أهل العلم أن يخلصوا أعمالهم لله ﷻ؛ لأن العبادة لا تصح ولا تكون نافعة، ولا مقبولة عند الله، حتى يتحقق فيها ركنان أساسيان؛ لا بد منهما في كل عبادة، تتعبد بها لله ﷻ؛ كصلاتك، وصيامك، وزكاتك، وحجك، وبرك لوالديْك، وصلتك للرحم، وتعلمك للعلم؛ وتعليمك للعلم؛ لا بد أن يكون كل ذلك خالصاً لله؛ مراداً به وجه الله، وأن تكون متابعاً في ذلك لرسول الله ﷺ. فهذان ركنان أساسيان لا تصح أي عبادة إلا بهما؛ قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، والعمل الصالح، ما كان صواباً على السُّنة، وشرْطُ قبوله أيضاً: أن يكون خالصاً لله تعالى؛ بريئاً من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٢٢﴾ [لقمان: ٢٢]، وإسلام الوجه هو: الإخلاص لله، قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة: ١١٢].

وثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[١]. قال أهل العلم: هذا الحديث نصف الدين؛ لأن الدين ظاهر وباطن، وهذا الحديث فيه بيان حكم الباطن؛ فالنية أمر باطني. فالأصل: أن يكون العمل خالصاً لله؛ وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا تخلف هذا الأمر؛ حل محله الشرك.

وقد دل على الأصل الثاني: ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢]، وفي لفظ لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣]، فهذا يتعلق بالظاهر، والحديث الأول: «**إنما الأعمال بالنيات**»، يتعلق بالباطن.

فإذا تخلَّف الاتباعُ للنبي ﷺ، حل محله البدعة. فلا بد للمسلم أن يصحح نيته، ويجاهد نفسه في إخلاص العمل لله ﷻ، حتى يكون العمل مقبولاً ونافعاً عند الله، وحتى يكون مباركاً. أما إذا دخل العملَ الشركُ ـ كالرياء ـ وخالطه وخامره؛ فإن العمل يكون باطلاً.

والرياء قد يكون شركاً أكبر؛ كرياء المنافقين، الذين دخلوا في الإسلام نفاقاً، زمن النبي ﷺ، كعبد الله بن أُبي، وغيره، فهؤلاء مشركون أشركوا شركاً أكبر؛ فأعمالهم كُلُّها حابطة، فلا يُقبل منهم أي عمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

النوع الثاني: رياء أصغر؛ وهو رياء يسير قد يصدر من المؤمن. فالمؤمن الذي دخل في الإسلام طوعاً لا نفاقاً وعن إخلاص وصدق، قد يقع منه رياءٌ في بعض عمله؛ فيرائي في صلاته، أو في صيامه، أو في حجه، أو في زكاته، أو في تعلمه، أو تعليمه، أو في غير ذلك؛ فيكون هذا الرياء محبطاً

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١، ٥٤)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي (٧٥، ٣٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٢٧). وغيرهم

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٤٠، ٢٧٠).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٧١٨) الأقضية (١٨).

للعمل الذي قارنه فقط، وهو شرك أصغر؛ يُبْطِل العمل الذي قارنه، لكن إذا كان الرياء مجرد خاطرٍ خَطَرَ فدفعه الإنسان، وطرده، واستعاذ بالله من الشيطان؛ فإنه لا يضره، أما إذا استرسل الرياءُ، واستمر إلى آخر العمل، وآخر العبادة، فقيل: إنه يحبط العمل، وقيل: يجازى بنيته الأولى.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت القرآن، قال: كذبتَ ولكنك تعلمت العلم ليُقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال: هو جواد. فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار»**[1].

فهؤلاء الثلاثة، ما الذي جعل أعمالهم ـ وهي في ظاهرها عبادات عظيمة ـ تنقلب وبالاً عليهم؟ الجواب: سببُ ذلك: النية السيئة؛ وهي الرياء؛ فإنهم أرادوا بأعمالهم غير وجه الله، وإلا لو كانت أعمالهم خالصة لله، لكانت منزلتهم عالية.

فالعالم أو القارئ، لو كان عملهما خالصاً لله، لكانا من الصّدّيقين، الذين يلون مرتبة الأنبياء، وكذلك الذي قُتل في المعركة لو كان مريداً بجهاده وجه الله: لكان من الشهداء، الذين يلون مرتبة الصديقين، وهم أهل المرتبة

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي (٣١٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٨)، وغيرهم.

الثالثة؛ وكذلك المتصدق الذي أنفق أمواله في سبل الخيرات، لو كان مخلصاً لله، لكان من الصالحين، الذين يلون مرتبة الشهداء؛ لأن المؤمنين الذين أنعم الله عليهم بالعلم والعمل لهم أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الأنبياء، والمرتبة الثانية: مرتبة الصديقين، والمرتبة الثالثة: مرتبة الشهداء، والمرتبة الرابعة: مرتبة الصالحين، وقد وَرَدُوا مُرَتَّبين في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

إذاً: فعلى طالب العلم أن يجاهد نفسه في تعلمه وتعليمه، ويريد بذلك وجهَ الله والدار الآخرة؛ لا رياء، ولا سمعة، فالنية هي أساس العمل، وإصلاحُ النية، ومعالجة ذلك، من أصعب الأمور. قيل للإمام أحمد: كيف ينوي في طلبه العلم؟ قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن غيره؛ يعني: لا يريد الدنيا، ولا المال، ولا المناصب، ولا الجاه، ولا الشهرة، ولا الوظيفة، وإنما ينوي رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره؛ فيتعلم العلم لله، وفي الحديث: «**من تعلَّم العلم ليماري به العلماء، أو ليجاري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فله من علمه النار**»(١)، أو كما قال النبي ﷺ.

فلا بد لطالب العلمُ أن يستشعر هذه العبادة العظيمة، وأنه ما دام يتعلّم العلم، فهو في عبادة من أجلِّ العبادات، وأشرف القربات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ.

وأشرف العلم: العلمُ بأسماء الله وصفاته وأفعاله؛ لأن العلم ثلاثة

(١) حديث حسن لغيره: أخرجه الضياء في المختارة (٢٤٨٠، ٢٤٨١)، عن أنس ﷺ، وفي الباب عن ابن عمر ﷺ، أخرجه ابن ماجه (٢٥٣)، وعن جابر ﷺ أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، والبيهقي في الشعب (١٧٧١)، وعن حذيفة ﷺ أخرجه ابن ماجه (٢٥٩)، وعن أبي هريرة ﷺ أخرجه ابن ماجه (٢٦٠)، وعن كعب بن مالك ﷺ أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وغيرهم؛ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٢، ٦٣٨٣).

أنواع: علم بالله، وعلم بدين الله، وعلم بالجزاء يوم القيامة. هذه هي أنواع العلم. وأشرفها: العلم بالله؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم. والعلم بالله معناه: أن تعلم أن ربك ﷻ موجود، وأن له ذاتاً لا تشبه الذوات، وأنه فوق العرش؛ مستو عليه؛ بائن من خلقه، وأنه كامل في ذاته، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن الله لا يماثل أحداً من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. هذا هو العلم بالله؛ أن توحد الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته. وهذه هي أنواع التوحيد الثلاثة.

وتوحيد الله في ربوبيته، هو توحيد الله بأفعاله؛ بأن تعتقد أن الله هو: الخالق، الرازق، المحيي، المميت، وأنه مدبر الأمور، وأنه المتصرف، وأنه لا شريك له في ذلك؛ فلا أحد يشاركه في تدبيره، ولا في ملكه، ولا في ربوبيته، ولا في خلقه، هذا هو توحيد الربوبية. فلا بُدَّ أن تعتقد أن الله موجود، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه الرب وغيره مربوب، وأنه مالكٌ وغيره مملوك، وأنه مدبِّر وغيره مُدبَّر، وبهذا تكون وَحَّدت اللهَ في ربوبيته.

ثم توحّد الله في أسمائه وصفاته؛ بأن تؤمن بالأسماء والصفات التي سمى الله بها نفسه في كتابه، أو سماه بها رسوله عليه الصلاة والسلام، أو وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام في السنة.

وَمِمَّا يجب أن يُعلم: أنَّ أسماء الله وصفاتُه؛ توقيفية، فلا يجوز للعباد أن يخترعوا له أسماء وصفات، فالله تعالى سمى نفسه «الله»، ولفظ الجلالة «الله» عَلَمٌ على الذات الإلـٰهية؛ لا يسمَّى به غيره، وكل اسم مشتمل على صفة. و«الله» أعرفُ المعارف، لا يسمى به غير الله ـ كما قلنا ـ وهو مشتمل على صفة الألوهية، كما أنَّ الرحمٰن مشتمل على صفة الرحمة، والرحيم كذلك، والعليم مشتمل على صفة العلم، والقدير مشتمل على صفة القدرة، والسميع مشتمل على صفة السمع، والبصير مشتمل على صفة البصر، وهكذا سائر أسمائه تعالىٰ، التي يجب الإيمان بها؛ فتؤمن بأنه عالم الغيب والشهادة،

وأنه الرحمٰن، وأنه الرحيم، وتؤمن بأن الله: هو الملك، وأنه القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الرازق، المدبر، المحيي، المميت، البارئ، المصور، وأن له الأسماء الحسنى.

وكذلك عليك أن تؤمن بكل صفاته؛ فتؤمن بصفة: العلو، وصفة الرضا، والغضب، والسخط، والعزة، والعظمة، والكبرياء. إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي وردت في الكتاب والسنة؛ فتكون بذلك قد وحدتَ الله في أسمائه وصفاته.

ثم توحد الله في ألوهيته وعبادته؛ بأن تصرف العبادة والقُرَب التي تتقرب بها لله ﷻ وحده؛ فلا تعبد إلا الله. والقرباتُ والعباداتُ هي: الأوامر والنواهي التي جاءت في الكتاب والسنة؛ كأمر الله بالصلاة؛ فهذه عبادة، وأمَّا كيفيةُ توحيدِ الله بها، فهو: ألَّا تصلي إلا لله، وكذلك: فإنَّ الله تعالىٰ أَمَرَكَ بالزكاة، فلا تُزكِ إلا لله، وكذلك القول في الصوم؛ لا تصم إلا لله، والحج؛ لا تحج إلا لله، والذبح؛ لا تذبح إلا لله، والنذر؛ لا تنذر إلا لله، والدعاء؛ لا تَدْعُ إلا الله، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة، وغيرها من العبادات التي يجب أن تُصرف لله وحده لا شريك له. وبذلك تكون وحدتَ اللهَ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، فتكون مؤمناً بالله. هذا هو معنىٰ الإيمان بالله.

هذا النوع الأول: العلم بالله؛ يعني: بأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

والنوع الثاني: العلم بدين الله، وهي: الأوامر، والنواهي، التي شرعها الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

والعلم الثالث: العلم بالجزاء؛ أي: جزاء المؤمنين الموحدين في الجنة، وما أعد الله لهم من الكرامة؛ فتؤمن بما أخبر الله به من جزاء الموحدين يوم القيامة، وباليوم الآخر، وما فيه من البعث، والجزاء، والحساب، والحشر، والنشر، والحوض، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، وما أعدَّ الله للمتقين من الكرامة، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم، وجزاء الكفار، وما أعدَّه لهم، وللعُصاة: من النار، وبئس القرار.

فهذه أنواع العلم، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

وَالعِلمُ أقسَامُ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِن رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبيَانِ
عِلمٌ بِأوصَافِ الإِلٰهِ وَفِعلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأسمَاءُ لِلرَّحمَنِ
وَالأمرُ وَالنَّهيُ الذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي

هذه أوصافه وأفعاله.

.... وَكَذَلِكَ الأسمَاءُ لِلرَّحمَنِ

هذا هو العلم الأول.

وَالأمرُ وَالنَّهيُ الذِي هُوَ دِينُهُ ....

هذا هو الثاني.

.... وَجَزَاؤُهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي

هذا هو الثالث.

فهذه هي أقسام العلوم؛ أي: العلوم الشرعية، وما عدا ذلك فإنها علوم دنيوية؛ كعلم الطب، وعلم الفلك، وعلم الطبيعة، وعلم الزراعة، وعلم الصيدلة، وكذلك سائر العلوم، كعلم الإدارة، وعلم السباكة، وعلم النجارة، وعلم الحدادة، إلى غير ذلك من العلوم. وهذه العلوم الدنيوية، هي فرض كفاية، إذا أحسن الإنسان النية في تعلّمها؛ فله أجرٌ وثواب، وإن قصد الدنيا بها فلا بأس؛ فهي علوم دنيوية، يتعلمها الإنسان حتى يتكسَّب ويتعيَّش بها، وتكون له حرفة يقتاتُ بها، ويعف نفسه عن السؤال، وينفق على من يَعُول، فأنت إذا حسَّنتَ نيتك، وقصدتَ بذلك أن تكسب المكسب الشرعي لنفسك، وتنفق على نفسك وأهلك؛ فلا بأس، وإن زدتَ على هذا ونويتَ بذلك: أن تغني المسلمين عن الحاجة إلى غيرهم من الكفار، فأنت مأجور بهذه النية.

لكن العلم الشرعي لا يجوز أن تتعلمه لأجل الدنيا، وأن تقصد به الدنيا؛ لأن هذه علومُ الآخرة؛ فعلوم الشريعة، تُتَعَلَّمُ لله، وتتعبد لله بها، فإن

(١) انظر: شرح النونية (٢/ ٣٨٣).

تعلمتها لأجل الدنيا، فيتناولك الوعيد الشديد، المذكور في قوله ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[١]؛ وإنما كان ذلك الوعيد؛ لأنك قصدتَ بهذه العبادة الدنيا وحطامها، والله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦] ففرقٌ بين علوم الآخرة وعلوم الدنيا، وفرقٌ بين العلم الشرعي والعلم الدنيوي، كما تقدَّم تفصيله.

والرسالة التي سوف نشرحها ـ إن شاء الله ـ هي: «أصول السنة» لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ وهي في تقرير مذهب السلف ـ رحمهم الله ـ في قضايا الاعتقاد، ومن المعلوم أن مذهب السلف الصالح: الصحابة والتابعين؛ أنهم يؤمنون بالكتاب والسنة، ويؤمنون بالأسماء والصفات، ويمرونها كما جاءت، ولا يؤولون ولا يحرفون، كأهل البدع.

وأهل البدع ظهروا في أواخر عهد الصحابة؛ ومن هؤلاء: الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية، والأشعرية، والقدرية، وغيرهم[٢]. فهؤلاء هم فرق الضلال، الذين انحرفوا عن الجادة، وضلوا عن الصراط المستقيم، وهم أقسام: فمنهم الكافر، ومنهم المسلم. ومنهم من قد تكون بدعته مُكَفِّرة تخرجه من الملة؛ كبدعة القدرية الأولى، الذين أنكروا العلم والكتاب، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها. فهؤلاء كَفَّرَهم الصحابةُ؛ لأنهم نسبوا اللهَ إلى الجهل؛ قالوا: إن الأمر أُنف؛ أي: مستأنف

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٨٥)، رقم (٢٦١٢٧)، (٦/ ١٨٨)، وأبو يعلى في مسنده (٦٣٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩).

(٢) انظر في بيان هذه الفِرق: (الفرق بين الفِرق)، للبغدادي، والفصل في (الملل والنحل).

وجديد، وممّن كَفَّرهم من الصحابة: ابنِ عمر وغيره، ثم إن هؤلاء الغُلاة انقرضوا وبقيتْ الفرقةُ المتوسطة، الذين يؤمنون بالعلم والكتاب، ولكنهم ينكرون عموم الإرادة والمشيئة، وعموم الخلق؛ فأخرجوا أفعالَ العباد من مشيئة اللهُ وخلقه؛ لشُبهةٍ عرضت لهم. وهؤلاء مبتدعة ليسوا كفاراً.

ومثل غلاة القدرية، أيضاً: الجهميةُ الذين أنكروا الأسماء والصفات، وهذا في الحقيقة جحد لذات الله تعالىٰ؛ لأن الذات لا وجود لها إلا بالأسماء والصفات، ولهذا كَفّرهم من العلماء خمسمائة عالم، كما قال العلامة ابن القيم[1] رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَقَد تَقَلَّدَ كُفرَهُم خَمسُونَ في ... عَشرٍ مِنَ العُلَمَاءِ في البُلدَانِ
وَاللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنهُم ... بـل قـد حَكَـاهُ قَبلَهُ الطَّبَرَانِي

وكذلك الرافضة؛ كَفَّرهم العلماءُ، وأخرجوهم من الثنتين والسبعين فرقة[2]. والرافضة هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لَمَّا سألوه عن أبي بكر وعمر، فقال: هما وزيرا جَدي رسول الله؛ فرفضوه، فقال: رفضتموني؛ فسُمُّوا بالرافضة، وكانوا قبل ذلك يسمون بالخشبية. وهؤلاء الروافض وقعوا في ثلاثة أنواع من الكفر:

النوع الأول: أنهم يعبدون أهلَ البيت؛ علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، ويتوسلون بهم؛ وهذا شرك.

النوع الثاني من الكفر: أنهم كذبوا الله بأن القرآن محفوظ؛ فقالوا: إن القرآن ليس بمحفوظ، وما بقي منه إلا الثلث، يَعْنُونَ: أنَّ ثلثي القرآن طَارَ

(١) انظر: شرح النونية (١/ ٢٩٠).

(٢) وفي هذا حديث صحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**». أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان في صحيح (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٣)، والسلسلة الصحيحة (٢٠٣).

وَذَهَبَ، ويدعون أن عندهم مصحفاً يُسمَّىٰ مصحف فاطمة، يعادل المصحف الذي بين يدي أهل السنة؛ ثلاث مرات، والله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] فكذّبوا الله في هذا، ومن كَذَّبَ الله: كَفرَ.

النوع الثالث من الكفر: أنهم كَفَّروا الصحابة، والله تعالى زكاهم وعدلهم، ووعدهم بالجنة، فقال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»(١). فكذبوا الله ورسوله، وقالوا: إنهم كفار، وإنهم كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ.

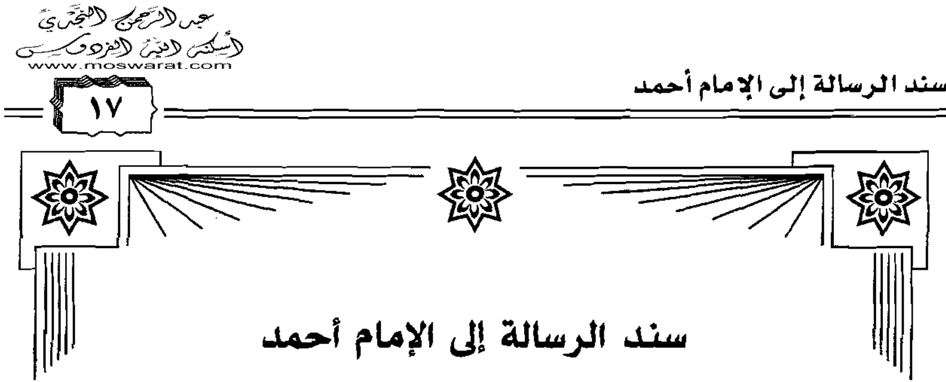
ومن فرق الشيعة: الزيدية، وهم من جملة أهل البدع، ومثلهم المعتزلة؛ والجمهور على أنهم مبتدعة، وهناك من كَفَّرَهم، ولكن الأشاعرة من أهل البدع.

فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة، يقرر مذهب أهل السنة والجماعة، ويبين مذهب أهل البدع، وأنهم مخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة. ومعلومٌ أن الإمام أحمد هو إمام أهل السنة والجماعة، وقد امتُحن في مسألة القول بخلق القرآن، فثبته الله؛ وصبر على الأذى، والسجن، والضرب، حتى نصره الله. وقد قال بعض العلماء(٢): إن الله تعالى حفظ الإسلام بأبي بكر الصديق يوم الرِّدَّة، وحفظ الإسلام بالإمام أحمد يوم المحنة.



(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) هو علي بن المديني، انظر: السير (١١/ ١٩٦).



سند الرسالة إلى الإمام أحمد

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ الإمام أبو المظفر عبد الملك بن علي بن محمد الهمداني: قال: حَدَّثَنا الشيخ أبو عبد الله يحيى بن أبي الحسن بن البنا، قال: أخبرنا والدي أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد بن السماك، قال: حَدَّثَنا أبو محمد الحسن بن عبد الوهاب بن أبي العنبر قراءة عليه من كتابه في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائتين، قال: حَدَّثَنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري البصري(١) بتنيس قال: حدثني عبدوس بن مالك العطار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه يقول:

الشَّرْح

❁ **هذا سند الرسالة إلى الإمام أحمد** رحمه الله فهي من رواية عبدوس بن مالك أبو محمد العطار سماعاً عن الإمام إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله، وبذلك

---

(١) هو نفسه محمد بن سليمان الجوهري البصري، وقد روى الخلال جزءاً من هذه الرسالة في كتاب (السنة) رقم (٦٨)، قال: حدثنا محمد بن سليمان الجوهري.

تكون هذه الرسالة سندها متصلاً إلى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأن هذا الجزء من مقال الإمام أحمد[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



---

(١) مما يدل على صحة نسبتها إلى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ تلقي العلماء لها بالقبول، ونقلهم لها، أو جزءاً منها في مصنفاتهم من غير نكير؛ فمن هؤلاء:
١ ـ اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٦) وما بعدها.
٢ ـ ابن الجوزي ـ فقد أوردها بتمامها ـ على تقديم وتأخير ـ كما في كتابه: مناقب الإمام أحمد ص١٧١.
٣ ـ ابن تيمية كما في الفتاوى (٤/ ١٠٢)، (٤/ ١٥٥)، ومنهاج السنة (١/ ٥٢٩)، (٦/ ٨١).
٤ ـ البربهاري.
٥ ـ ضياء الدين المقدسي.
٦ ـ الآلوسي كما في جلاء العينين ص٢٢٧.
٧ ـ ابن بدران؛ كما في المدخل إلى مذهب أحمد ص١٩، وغيرهم كثير.





المقصود بأصول السنة

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة عندنا.



الشَّرح

۞ الأصول: جمع أصل؛ وهو ما يُبنى عليه غيره، فالأصول التي تنبني عليها السنن: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع وقول الإمام أحمد: (هذه أصول السنة عندنا) معناه: أنَّنا معشر أهل السنة؛ أصول السنة عندنا وعند الأئمة والعلماء: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع.

فالصحابة رضوان الله عليهم، هم أفضل الناس، لا كان ولا يكون مثلهم. والصحابة جمع: صحابي، والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً، ومات على الإسلام. هذا أصح ما قيل في تعريف الصحابي؛ أنه: من لقيَ النبي ﷺ مؤمناً ولو لحظة، ثم مات على الإسلام. وهذا أولى مِنْ قول مَنْ قال في حَدِّ الصحابي أنه: «من رأى النبي ﷺ» فالتعبير الأول أصَحّ؛ ليَدْخل فيه العُميان؛ كعبد الله ابن أم مكتوم، فإنه لقي النبي ﷺ، ولكنه لم يره؛ لأنه كان أعمى؛ فهو صحابي، ولذلك كان التعبير بلقي أولى من التعبير برأى. فكل من لقيَ النبي ﷺ مؤمناً ـ ولو لحظة ـ ومات على الإسلام؛ فهو صحابي، ويشمل ذلك: صغار الصحابة، وأطفالهم، الذين حَنَّكهم النبيَّ ﷺ؛

فهم صحابة أيضاً. والصحابة يتفاوتون؛ ويختلفون في الصحبة، كما سيبين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، فالذي طالت صحبته أفضل ممن لم تطل صحبته، والأعراب الذين رأوا النبي ﷺ وآمنوا به ليسوا كالصحابة الذين لازموا النبي ﷺ سنين وأشهراً، فَكُلٌّ له نصيبه، وكُلٌّ له حظه من الصحبة، لكن يجمعهم وَصْفُ الصُّحبة.

ومزية الصحبة خاصة بالصحابة لا يلحقهم فيها من بعدهم من التابعين والأئمة. فصحبة النبي ﷺ وسماع كلامه، والجهاد معه؛ هذه مزية خاصة للصحابة لا لغيرهم، حتى لو فاق بعض التابعين الصحابة مثلاً في العبادة، فإنه لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة الصحبة، فالصحبة لها مزية خاصة، ولهذا لما أراد بعض الناس أن يقارن بين عمر بن عبد العزيز، ومعاوية بن أبي سفيان. ـ عمر بن عبد العزيز الورع العادل المعروف بذلك، ومعاوية الصحابي الجليل ـ، قال بعض أهل العلم[1]: الغبار الذي دخل في أنف معاوية في جهاده مع النبي ﷺ، يُعدل بورع عمر بن العزيز! نعم؛ عمر بن عبد العزيز له فضله، وله مزيته، لكن لا يلحق مرتبة الصحبة؛ الصحبةُ مزية خاصة للصحابة، فلا كان ولا يكون بعدهم مثلهم، ولا يمكن أن يلحقهم مَنْ بعدهم أبداً.

ولذلك الصحابة كلهم عدول، فلا ينبغي البحث في عدالتهم، أما من بعدهم فلا بد من البحث عن عدالتهم، هل هم عدول أو ليسوا عدولاً، هل هم ثقات أو ليسوا ثقات؟ هل هم ضابطون أو ليسوا كذلك؟ فكل واحد من رواة الحديث يبحث عنه الأئمةُ، وسواء أكان من التابعين فَمَنْ بعدهم، وأما الصحابة فكلهم عدول، لا يُبحث عنهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) جاء في وفيات الأعيان (٣/ ٣٣)، ط. دار صادر ـ بيروت، (ونقل أبو علي النسائي الجياني أن عبد الله بن المبارك المذكور سئل: أيهما أفضل معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز، فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا).اهـ.

وقد تقدَّم تعريف الأصل، عند شرح قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصول السنة عندنا».

أمَّا السنة فهي: ضدّ البدعة، والبدعة هي: الحدث في الدين كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)]؛ فكلُّ حدثٍ في الدين؛ فهو بدعة.

والسنة: ما ثبت عن النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً. وقد تكون السنة واجبة، وقد تكون مستحبة، وقد تكون فرضاً وأصلاً، فالسنة: ما ثبت عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير.

فأصول سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ التي هي قوله وفعله وتقريره ـ: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع. والتمسُّكُ معناه: لزوم الشيء والتشبث به، وَأَخْذه بقوة، وعدم تركه أو التهاون به، ومعناه هنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم؛ بأن تحذوا حذوهم، وتفعل مثل فعلهم، وتقول مثل قولهم، وتعمل مثل عملهم.

وقوله: (ترك البدع). البِدَعُ: جمع بدعة، وهي: الحدث في الدين ـ كما تقدَّم ـ، والمعنى: أن من أصول الدين عندنا أيضاً: تركُ كل حَدَثٍ في الدين؛ ولهذا قال الإمام أحمد: «**وكل بدعة ضلالة**»[(٢)]، والأصل أن: هذا جزءٌ من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٤٠، ٢٧٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧، ٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣، ٤٤)، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، وابن أبي عاصم (٣٢، ٥٤، ٥٧)، والدارمي (٩٥)، والآجري (٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥).

القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع فأوصنا ـ وفي لفظ: فماذا تعهد إلينا؟ ـ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله**»[(١)]؛ يعني: الزموا تقوى الله. وتقوى الله: خشيته، وخوفه، ومراقبته.

وأصل التقوى: توحيد الله وإخلاص الدين لله. «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة**»[(٢)]؛ يعني: السمع والطاعة لولاة الأمور. «**وإن عبداً حبشياً**»[(٣)] وفي لفظ: «**وإن أُمِّرَ عليكم عَبْدٌ حبشي**»[(٤)]، «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٥)]. وهذا حديث صحيح رواه عدد من الأئمة.

فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، ثم قال: وكل بدعة فهي ضلالة.

وأشار بقوله: «وترك الخصومات في الدين» إلى أصلٍ من أصول السنة، وهو: ترك الخصومات في الدين، والخصومات: جمع خصومة، وهي: الجدال والنزاع، والمعنى: لا تجادل ولا تخاصم في الدين ولا تمار؛ فالدين ليس فيه خصومات، وأصل الدين هو: ما يدين الإنسان به ربه من العبادات، والعباداتُ التي يدين بها الإنسان ربه توقيفية؛ مأخوذة من الكتاب والسنة، فلا مجال للجدال فيها، فما ثبت في الكتاب والسنة فهو من الدين ومن العبادة، ولذلك: فإن خاصمك وجادلك فيه أحدٌ؛ أو إذا تخاصم الناس وتنازعوا، فإن هذا النزاع يُرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله. (٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.
(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.
(٤) هذا اللفظ عند الحاكم في المستدرك (١/ ٩٥)، رقم (٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٠)، وفيها (تأمَّر) وليس هناك (حبشياً).
(٥) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

[النساء: ٥٩]، وحينئذ تزول الخصومة؛ بردّ هذه الخصومة؛ وهذا النزاع إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

والرد إلى الله هو: الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول عليه الصلاة والسلام؛ هو: الرد إليه في حياته، والرد إلى سنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]. فلا خصومات في الدين.







معنى السنة وعلاقتها بالقرآن

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى.

[الشرح]

❁ **يقول المؤلف رحمه الله وهو الإمام أحمد:** «السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ».

والآثار: هي أقواله وأفعاله وتقريراته، فما أُثر عنه عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير، فهذه هي السنة.

وقوله: «والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن»؛ أي: السنة تفسر القرآن وتوضحه، فإذا كان الدليل من القرآن مُجملاً؛ فالسنة تفصل هذا المجمل، وإذا كان مُبهماً فالسنة توضحه، وإذا كان عاماً؛ فالسنة تخصصه؛ فالسنة لها مع القرآن ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن تأتي السنة بأحكام تُماثل الأحكام التي جاءت في القرآن؛ فهذا من باب تناصر الأدلة وتضافرها.

فمثلاً: أوجب الله في القرآن الصلاة، وجاء في السنة وجوب الصلاة، وأوجب الله في القرآن الزكاة، وجاء في السنة وجوب الزكاة، وأوجب الله في القرآن صيام رمضان، وجاء في السنة وجوب صيام رمضان، وأوجب الله في القرآن الحج، وجاء في السنة وجوب الحج، وأوجب الله في الكتاب بر الوالدين، وجاء في السنة بر الوالدين، وجاء في الكتاب صلةُ الأرحام، وجاء في السنة صلة الأرحام، فهذا ـ كما سبق ـ من باب تضافر الأدلة وتناصرها.

فأتت ـ كما في الأمثلة المتقدمة ـ السنةُ بأحكامٍ مثل الأحكام التي أتت في القرآن.

الحالة الثانية: أن يأتي القرآن بأحكام مُجملة، أو أحكام مطلقة، أو أحكام عامة، فتأتي السنة بأحكام تبين ذلك المجمل، وبأحكام تقيد ذلك المطلق، وبأحكام تخصص ذلك العام، فتكون السنة مخصصة للعمومات التي جاءت في القرآن؛ مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فالمراد من لفظ الناس في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الكُفار، وهو لفظ عام، والمراد من لفظ الناس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ المؤمنون. وكذلك ـ كما أشرنا ـ أنَّ الحكم قد يأتي في القرآن مجملاً أو مطلقاً، فتأتي السنة، فتبينه، أو تقيده، وفي كتب أصول الفقه أمثلة على ذلك.

الحالة الثالثة: أن تأتي السنة بأحكام جديدة ليست في القرآن؛ فيجب في هذه الحالة العمل بها، مثل: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وتحريم الجمع بين المرأة وخالتها، فهذا الحكم ليس في القرآن، فلا يجوز للرجل أن يتزوج المرأة وعمتها، أو المرأة وخالتها، قال النبي ﷺ: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها**»[١] «**إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**»[٢].
ومما جاء في السنة من المحرمات التي ليست في القرآن، تحريم «**كل ذي ناب من السباع**»[٣]، وتحريم «**كل ذي مخلب من الطير**»[٤]، فهذا ليس في القرآن

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، والنسائي (٣٢٨٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) هذه زيادة حسنة أخرجها الطبراني في الكبير (١١/ ١١٩٣٠)، وابن حبان في صحيحه (٤١١٦)، عن أبي هريرة، عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢)، وأبو داود (٣٨٠٢)، والترمذي (١٤٧٧)، عن أبي ثعلبة رضي الله عنه.
(٤) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٣٤)، وأبو داود (٣٨٠٥)، والنسائي (٧/ ٢٠٧)، وأحمد (١/ ٣٠٢)، عن ابن عباس رضي الله عنه.

تحريمه نَصّاً، لكن يجب العمل به، ومن الأمثلة ما جاء في السنة من العقل والديات كقوله: «**ولا يقتل مسلم بكافر**»(١) وهكذا؛ ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن؛ يعني: أنها تدل عليه.

ومعنى قوله: «وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى» أي: ليس في السنة قياس تقيس فيها شيئاً على شيء. أما القياس الشرعي الذي يستند إلى النصوص، فهذا ليس من الأقيسة العقلية، فالمراد هنا ما يُسمى بالقياس العقلي، أما القياس الشرعي فلا مانع منه، كأن يُقال: جاء الشرعُ بتحريم الربا ـ مثلاً ـ في البُر، فيأتي الفقيه ويقيس عليه؛ الأرز، فيقول: الأرزُّ كالبُرِّ في هذا الباب، بجامع الطعم في كل منهما؛ أو بجامع الادخار، أو بجامع الكيل والوزن، فهذا قياس شرعي، وليس داخلاً في قوله: «ليس في السنة قياس» لأنهُ يعني به: القياس العقلي، لا الشرعي. فالسنة ليس فيها قياس؛ فلا يقاس فيها بالعقول بالمعنى الذي شرحناه.

وإليه أشار بقوله: «ولا تضرب لها الأمثال، ولا تُدرك بالعقول، ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى».

جاء عن الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول» رواه الآجري في الشريعة بإسناد صحيح كما قال مُحقق الكتاب.

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، إمام أهل السنة والجماعة في عصره: «واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء، بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ، بلا كيف ولا شرح، ولا يقال: لم ولا كيف». وسيأتي كلام الإمام أحمد في تفسير: ولا يقال: لم؛ أي: لا يقال: لم ـ يعني ـ: في الأفعال؛ مثل: لِمَ

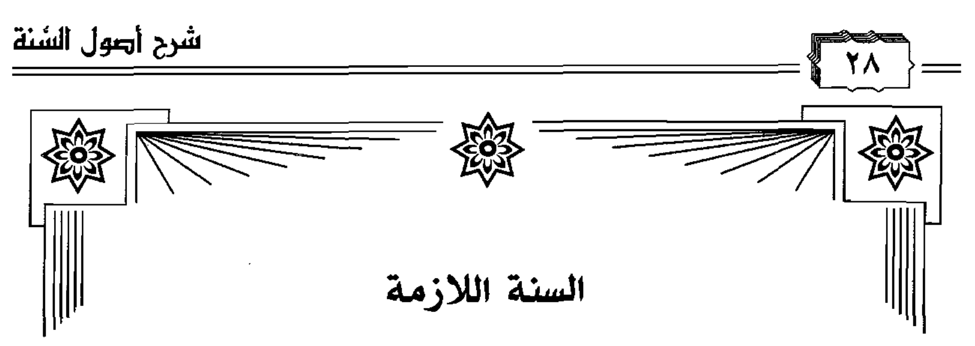
---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١١١)، وأبو داود (٢٧٥١)، والترمذي (١٤١٢)، والنسائي (١٩/٨، ٢٠)، وابن ماجه (٢٦٥٨)، عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فعل الله كذا؟ ولا يقال: كيف في الصفات؟ أي: لا يقال: كيفية صفات الله كذا، وكيفية الاستواء كذا، وهكذا في سائر صفاته؛ لا يقال فيها: كيف؟ ولا يسأل عنها بكيف؟ ولا يسأل عن الأفعال بلم؟ ولا يقال: لم؟ ولا كيف؟ فحاصل ما تقدّم: أن الكلام والخصومات والجدال والمراء في الدين: مُحدَث؛ لأنه يقدح الشكَ في القلب؛ فلهذا ينبغي ترك الخصومات والجدال؛ فالسنة ليس فيها قياس عقلي، وليس فيها جدال، ولا تُضرب لها الأمثال، ولا تُدرك بالعقول والأهواء، إنما هو: الاتباع ـ اتباع الدليل أي: الكتاب والسنة ـ وترك الهوى؛ أي: ما يهواه الإنسان ويميل إليه، وما يوافق عقله وهواه، ومما يُبتدع في دين الله. والله أعلم.







السنة اللازمة

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفِيَ ذلك وأُحكِمَ له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق.

الشَّرْحُ

❁ **يقول المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «من السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره»؛ أي: من السنة اللازمة التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها، ويكون من أهلها، والتي إذا ترك منها خصلة ولم يقبلها: لم يكن من أهلها؛ الإيمان بالقدر خيره وشره.

ومعناه: أنَّ الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة التي من لم يؤمن بها أو جحد واحداً منها، فإنه يخرج من دائرة الإيمان ويكون من الكافرين.

وأصول الإيمان الستة هي: «الإيمان بالله، والثاني: الإيمان بالملائكة، والثالث: الإيمان بالكتب المنزلة، والرابع: الإيمان بالرسل، والخامس: الإيمان باليوم الآخر، والسادس: الإيمان بالقدر خيره وشره»؛ هذه الأصول الستة جاءت في الكتاب والسنة، وأجمع عليها المسلمون، وآمن بها جميعُ الأنبياء وجميع المرسلين، ولم يجحد شيئاً منها إلا من خرج عن دائرة الإسلام وصار من الكافرين.

وهذه الأصول دل عليها كتاب الله، كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فهذه خمسة أصول ذُكرتْ في هذه الآية، وَذُكِرَ الإيمانُ بالقدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]. وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]. فجعل الكفر هو: الكفر بهذه الأصول؛ فدل على أن الإيمان هو: الإيمان بهذه الأصول.

ومن السنة على هذه الأصول: حديثُ جبرائيل في مجيئه للنبي ﷺ، الذي رواه عمر بن الخطاب[1] - رضي الله عنه - حينما جاء جبريل - عليه السلام - إلى النبي ﷺ في صورة رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، حتى جاء إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم سأله عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان، ثم سأله عن الساعة، ثم سأله عن أماراتها، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «**أتدرون من السائل؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»، فجعل الدين ثلاثَ مراتب: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان. والشاهد أنه لما سأله عن الإيمان قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**».

إذاً: الإيمانُ بالقدر أصلٌ من أصول الإيمان؛ فمن لم يؤمن بالقدر فليس بمؤمن.

والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتبه الأربع وهي: العلم، والكتابة،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٣)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة، أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وابن ماجه (٦٤).

والمشيئة والإرادة، والخلق والإيجاد؛ هذه مراتب القدر الأربع التي من لم يؤمن بها؛ لم يؤمن بالقدر: «العلم، والكتابة، والمشيئة والإرادة، والخلق والإيجاد».

فالإيمان بالمرتبة الأولى وهي العلم، يشمل الإيمان بعلم الله الأزلي الماضي الذي ليس له بداية؛ لأن الله تعالى هو الأول الذي لا بداية لأوليته، كما أنه الآخر الذي لا نهاية لآخريته. فالإيمان بعلم الله الأزلي معناه: أنه كما علم بالأشياء في الأزل، فكذلك: يعلم الأشياء الحاضرة والمستقبلة. فالله تعالى علم الأشياء في الأزل قبل كونها، ويعلم ما لم يكن، لو كان كيف يكون؛ قال الله تعالى عن الكفار لما سألوا الرجعة إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] فعِلْمُهُ بأنهم لو رُدوا لعادوا لما نهوا عنه، هو دليل على علم الله بما لم يكن، لو كان كيف يكون، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣] أخبر بما لم يكن لو كان كيف يكون.

وكذلك قوله عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧]، هو من هذا الباب، فهذه المفاسد المترتبة على خروج المنافقين مع أنها لم تقع، لكن الله علمها؛ فكان من حكمته أَنْ منعهم من الخروج، وثبطهم؛ لئلا تحصل هذه المفاسد.

المرتبة الثانية: الكتابة؛ أي: الإيمان بالكتابة، وأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ؛ الذوات، والصفات، والأفعال، والحركات، والسكنات، والأرزاق، والأعمال، والأخلاق، والسعادة، والشقاوة، والفقر، والغنى، والإعزاز، والإذلال، والحياة، والموت، حتى العجز والكيس؛ فكل شيء مكتوب.

وَدَلَّ على هذه المرتبة أدلة؛ كقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [الحج: ٧٠]، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، وقال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الحديد: ٢٢]؛ أي: اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فالذكر في هذه الآية، هو اللوح المحفوظ. وقال عليه الصلاة والسلام: «**وكتب في الذكر كل شيء**»؛ أي: في اللوح المحفوظ، وقال ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس: ١٢]؛ والمراد بالإمام المبين: اللوح المحفوظ. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام مسلم، من حديث عبد الله بن عمرو: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وقال: وعرشه على الماء**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام، فيما ثبت عنه: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[2]. وفي لفظ: «**فجرى في تلك الساعة ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[3].

فهاتان المرتبتان من لم يؤمن بهما: لم يؤمن بالقدر. وهاتان المرتبتان أنكرتهما طائفة القدرية الأولى الذين ظهروا في عصر الصحابة، فَكَفَّرهم الصحابةُ، كابن عمر، وغيره؛ لأنهم نسبوا الله إلى الجهل. لكن هؤلاء انقرضوا وانتهوا، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن أنكروه كفروا».

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة. والإرادة نوعان: دينية، وكونية. والمراد هنا: الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة، وهي تقتضي الإيمان بأن الله أراد وشاء

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٦١٣٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨، ٢٠١٩).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، والترمذي (٢١٥٥)، وابن أبي عاصم (١٠٤، ١٠٥، ١٠٧).

كل شيء وقع في هذا الوجود، فتؤمن بأن كل شيء وقع في هذا الوجود، فقد سبقت إرادة الله ومشيئته بها، خيراً كان أو شرّاً؛ برّاً أو فجوراً؛ طاعة أو معصية؛ إيماناً أو كفراً، فكل شيء وقع في هذا الوجود، فقد وقع بمشيئة الله وقدرته، فلا يقع في ملك الله ما لا يريد، وما وقع منه فإنه مبنيٌ على الحكمة، فالله تعالى لا يخلق شيئاً إلا لحكمة، ولا يأمر إلا لحكمة، ولا ينهى إلا لحكمة، ولا يُقَدِّر إلا لحكمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٦].

ولهذا لما أنكر القدريةُ وقوعَ المعاصي، بمشيئة الله وقالوا: العبدُ يخلق فعل نفسه، رد عليهم أهل السنة، وقالوا: وصفتم الله بالعجز، فقلتم: إنه يقع في ملكه ما لا يريد؛ وهذا يلزم منه أن يكون عاجزاً عن أن يدفع شيئاً لا يريده!! وهذا من أبطل الباطل.

والمقصود: أن ما يقع في ملك الله من الشرور والمعاصي والكفر، فكلها واقعة بإرادته الكونية، وهي ـ مع ذلك ـ مُرادة لا لذاتها، بل مرادة لما يترتب عليها من الحكم والمصالح.

فالله أراد وقوع الكفر والمعاصي كوناً وقدراً، ولكن ما أراده ديناً وشرعاً؛ بل أراده كوناً وقدراً؛ لما يترتب عليه من الحكم، التي منها: ظهور قدرة الله على إيجاد المتقابلات؛ فالكفر يقابله الإيمان، والمعصية تقابلها الطاعة، والليل يقابله النهار، والحر يقابله البرد، والحلو يقابله المر والحامض، ومنها: حصول العبودية المتنوعة؛ فلولا خلْق الله للكفر والمعاصي لما وُجدت عبوديات متنوعة؛ فلو كان الناسُ كُلُّهم مؤمنين، فأين عبودية الجهاد في سبيل الله؟ وأين عبودية الولاء والبراء؟ وأين عبودية الدعوة إلى الله؟ وأين عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وأين عبودية الحب في الله والبغض في الله؟ فما يقدّره الله على العباد من الكفر والمعاصي ونحوهما؛ فهذه مرادة لا لذاتها بل لشيء آخر؛ وهي ما يترتب عليها من الحكم؛ فمع أنه تعالىٰ أرادها كوناً وقدراً، لكنه لم يردها ديناً وشرعاً، فالله ـ تعالى ـ يكره الكفر والمعاصي.

ونُقرِّبُ هذا بمثالٍ، وهو: أنَّ المريض الذي يصرف له الطبيبُ دواء مُرّاً علقماً ويقول له: اشرب هذا الدواء؛ فإن فيه شفاءَك وعافيتك بإذن الله. فيقدم المريضُ على شرب الدواء المر طائعاً مختاراً، لكنه هل شرب هذا الدواء المُرّ راغباً فيه على وجه الاستلذاذ به، أم لماذا؟ الجواب: أنه شربه وتجرَّعه ولا يكاد يسيغه؛ لما يترتب عليه من الشفاء، فهو ـ أي: الدواء ـ مراد لا لذاته، بل لشيء غيره، وهو طلب الشفاء، فكذلك الله ﷻ أراد الكفر والمعاصي لا لذاتيهما؛ بل الكفر والمعاصي مكروهتان لله ديناً وشرعاً، لكنه أوجدهما لما يترتب عليهما من الحكم والأسرار. وبسبب الجهل بهذا التفصيل ضل القدرية.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد، وقد أنكر القدرية عموم الخلق والإيجاد؛ فقالوا: إن الله لم يخلق الكفر والمعاصي، وإن العبد هو الذي خلقهما. فرد عليهم أهل السنة؛ أي: على القدرية المتوسطة؛ وهم الذين آمنوا بالعلم والكتاب، ولكنهم أنكروا عموم الإرادة والمشيئة، وعموم الخلق، فأخرجوا أفعال العباد، وقالوا: إن الله ما أراد أفعال العباد ولا خلقها، سواء أكانت طاعة أو معصية؛ فراراً من القول بأن الله قَدَّرَ المعاصي ويعذب عليها؛ لئلا يكون ظالماً في زعمهم.

وهذا باطل؛ لأن الذي يُنسب إلى الله، هو الخلق والإيجاد، وكون في بعض مخلوقاته شر، فهذا مبنيٌ على حكمته تعالىٰ، فيكون خيراً بالنسبة لله؛ لأنه لَمَّا خَلَقَهُ، خَلَقَهُ لحكمةٍ، لكنه شر بالنسبة للعبد. فالكفر والمعاصي شر بالنسبة للعبد الذي باشر المعاصي وفعلها، فيتضرر وَيُعَذَّب عليها، والذي يُنسب إلى الله الخلق والإيجاد؛ وهو مبنيٌ على الحكمة ـ كما تقدم ـ.

وبهذا يتّضح أنَّ القدرية النفاة طائفتان:

الطائفة الأولى: الذين أنكروا العلم والكتاب، وهؤلاء كفرة، وقد انقرضوا.

والطائفة الثانية: الذين آمنوا بالعلم والكتاب، وآمنوا بالإرادة والخلق، ولكن أنكروا عموم الإرادة وعموم الخلق، وأخرجوا منها أفعال العباد.

وهناك طائفة أخرى من القدرية تسمى القدرية المُجبرة، وهم الجبرية: الذين قالوا: إن العباد مجبورون على أفعالهم، وليس لهم اختيار، وأنَّ الله تعالى أجبرهم على أفعالهم؛ فهم وِعَاءٌ ـ وعاء للأفعال ـ وحركاتهم كلها اضطرارية؛ كحركة المرتعش، وحركة النائم؛ فهم وعاء تمُرُّ عليهم الأفعال، والله تعالى هو الذي يفعلها بهم. هكذا يقولون: إن أفعال العباد كالكوز الذي يُصب فيه الماء، فالعباد ـ بزعمهم ـ كأنهم كوز، والله كصبّاب الماء فيه!! ويقولون: إن الله هو المصلي، والصائم، وهو الفاعل حقيقةً؛ فالعباد ـ عندهم ـ مجبورون على أفعالهم، ولا اختيار لهم، ولا يمكن أن يفعلوا شيئاً غير ما أراد الله، ويقول قائلهم: ألقاه في اليم مكتوفاً، وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء. فهؤلاء يقال لهم: «القدرية الجبرية».

والقدرية الجبرية طائفتان أيضاً:

طائفة مشركية: وهم الذين يحتجون بالقدر على المعاصي؛ كالمشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

والثانية: الطائفة الإبليسية؛ الذين ينتسبون إلى إبليس؛ الذين يقولون: إن الله قَدَّرَ كُلَّ شيء، وأراد كل شيء؛ لكن الله ـ بزعمهم ـ ظالم، والعياذ بالله؛ أي: ظلم العبادَ.

فهؤلاء ـ والعياذ بالله ـ هم الطائفة الإبليسية الذين آمنوا بالأوامر والنواهي، وآمنوا بالقدر، والمشركية آمنوا بالقدر، ولم يؤمنوا بالأوامر، والطائفة المجوسية آمنوا بالأوامر، ولم يؤمنوا بالقدر.

فتكون القدرية ـ بعد الطائفة القدرية الذين انقرضوا وهم كفار كما قلنا ـ ثلاثة أنواع: قدرية مجوسية، وقدرية مشركية، وقدرية إبليسية. فالقدرية المجوسية: الذين يقولون: إن الله قَدَّر كل شيء إلا أفعال العباد، وخلق كل شيء إلا أفعال العباد، والعبادُ هم الذين يخلقون أفعالهم باختيارهم؛ مستقلين، فالخير والشر والطاعات والمعاصي، إنما يخلقها العبادُ وما عدا ذلك، فالله هو الذي يخلقها؛ وسُموا مجوسية؛ لمشابهتهم المجوس، فالمجوس يقولون بخالقيْن؛ ويقولون: العَالَم له خالقان: خالق للخيرِ، وهو:

النور، وخالق للشر، وهو: الظُلْمة. والقدرية يقولون: كل عبد يخلق فعلَ نفسه؛ فقالوا بتعدد الخالِقِين؛ وشابهوا المجوس؛ فلهذا سُمّوا: مجوسية، لمشابهتهم المجوس في القول بتعدد الخالِقِين. لكن المجوس قالوا بتعدد خَالِقَيْن فقط؛ قالوا: العالم له خالقان: الخير والشر. أما القدرية فبكم خالق قالوا؟! لا شك أنهم: ملايين؛ بعدد الناس؛ ما دام أن كل إنسان يخلق فعل نفسه من الطاعات والمعاصي، لكن لما وافقوهم في التعدد؛ أي: بالقول بتعدد الخالق؛ سُمّوا: مجوسية. فالقدرية المجوسية يؤمنون بالأوامر والنواهي، ويقولون بالتكاليف، وأنَّ العباد مأمورون، ومنهيون، ومجازون، ومحاسبون، لكن أنكروا القدر، فقالوا: إن أفعال العباد ما أرادها الله ولا خلقها.

وأما الطائفة المشركية: فهم الذين كذبوا بالشرع، وآمنوا بالقدر؛ وقالوا: إن الإنسان مجبور على أفعاله، وكل شيء مُقَدّر، فعارضوا الشرع بالقدر، وقالوا: ـ مثلاً ـ إذا أمرك الله بالصلاة ولم تصلِّ؛ فأنت مع القدر؛ فكذَّبوا بالأوامر، وعملوا بالقدر؛ وقالوا: الإنسان مجبور على أفعاله؛ ولهذا سموا مشركية؛ لأنهم يحتجون بشركهم، وبمعاصيهم على الشرع، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥] فهؤلاء احتجوا بشركهم على الشرع؛ فَسُمُّوا مشركية؛ لأنهم آمنوا بالقدر وكذبوا بالشرع. والمجوسية: آمنوا بالشرع وكذبوا بالقدر.

لكن أيهما أشد؟ القدريةُ المشرِكيةُ أشد، والقدرية المجوسية أخف؛ لأن القدرية المجوسية يُعظمون الشرعَ، ويعظمون الأوامر والنواهي، ويُلزمون بها، وَيَلْزمونهما، لكنهم يكذبون بالقدر؛ أي يقولون: العبد يخلق فعْل نفسه. أما القدرية المشركية، وهم: الجبرية، فهم الذين لم يؤمنوا بالشرع، بل آمنوا بالقدر وكذبوا بالشرع، ويلزم على هذا: أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ضربٌ من العبث، ولا فائدة منهما!!

والطائفة الإبليسية الذين شيخهم إبليس، آمنوا بالأمرين: آمنوا بالشرع، وآمنوا بالقدر، لكن قالوا: الرب متناقض، يأمر بشيء وَيُقَدِّرُ ضده ـ قبحهم الله ـ. فهؤلاء هم الطائفة الإبليسية، وشيخهم إبليس هو الذي اعترض على الله، لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؛ رفض، وامتنع، واستكبر، وزعم وادّعىٰ أن عنصره الناري أحسن وأفضل من عنصر آدم الطيني، ولا يمكن أن يخضع الفاضل للمفضول، كما قال تعالىٰ عنه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢]. فأول من اعترض على الله، وأول مَنْ قاس قياساً فاسداً؛ هو إبليس؛ فهؤلاء الطائفة الثالثة الإبليسية: آمنوا بالشرع، وآمنوا بالقدر؛ آمنوا بالأوامر والنواهي، ولكن قالوا: الرب متناقض، وطعنوا في حكمة الرب؛ وقالوا: أمره ينقض قدره، وقدره ينقض أمره ـ قبحهم الله ـ، فهم خصوم الله، الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية: هؤلاء معشر القدرية يساقون إلى النار سوقاً.

فالقدرية هم خصوم الله، وهم يدافعون عن إبليس، وكذلك المرجئة يدافعون عن إبليس، ويتهمون الرب، ويطعنون في حكمته، ويقولون: إبليس مسكين مظلوم، أراد أن ينزه جبهته عن ألَّا يسجد لغيره فطُرد ولُعن، فما ذنبه؟! فإبليس مسكين، مظلوم؛ ظلمه الرب!! أراد أن ينزه جبهته عن السجود لغيره؛ فظُلم وطُرد، ولُعن، ما ذنبه؟! فهؤلاء والعياذ بالله، هم خصوم الله الإبليسية.

فيتلخص ممّا سبق: أنَّ القدرية ثلاثة أنواع:

المجوسية: وهم الذين آمنوا بالأوامر، والنواهي، والشرع، وكذَّبوا بالقدر، وهم أحسنها وأفضلها.

ومشركية: وهم الذين كذَّبوا بالشرع وآمنوا بالقدر.

وإبليسية: وهم الذين آمنوا بالشرع والقدر، لكن جعلوا الرب متناقضاً؛ وقالوا: شرعه ينقض قدره، وقدره ينقض شرعه ـ قبحهم الله ـ.

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة، لا يصح الإيمان إلا به، فمن لم يؤمن بالقدر؛ فليس بمؤمن.

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: «ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة، لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر».

هذه الخصلة هي من السنة اللازمة، من تركها ولم يؤمن بها، فليس من أهل السنة، وهي «الإيمان بالقدر خيره وشره»؛ يعني: تؤمن بالقدر خيراً أو شراً، طاعةً ومعصيةً.

فالخيرُ: كأن يرزقك الله مالاً حلالاً، وزوجة صالحة، أو يعطيك الخصب، والمطر، والإبل، والبقر، والغنم، والصحة، والعافية، والولد، فهذا كله خير؛ تؤمن أنه من عند الله.

وكذلك الشر، تؤمن به، كأن يكون مصيبة تقعُ عليك؛ كمرضٍ، أو دَيْنٍ، أو تسليط بسجن، أو قتل، أو يكون ضرراً في أهلك أو في أولادك؛ فهذا تؤمن به. وبالجملة عليك أن تؤمن بالقدر خيره وشره، سواء أكان خيراً أو شرّاً.

وقوله: «والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان به»؛ أي: تصدق بالأحاديث الواردة في القدر وتؤمن بها، وهذا هو مذهب السلف.

وقوله: «لا يقال: لم؟ ولا كيف؟» معناه: لا يقال: لم في الأفعال، ولا كيف في الصفات، فلا تقل: لم فعل الله كذا؟ بل سلم لقضاء الله وقدره، فلا تقل ـ مثلاً ـ: لم أعطى الله فلاناً العلم، ولم يعط هذا؟ لم كان هذا عالماً وهذا جاهلاً؟ لم هذا فقير وهذا غني؟ لم كان هذا طويلاً وهذا قصيراً؟ لم كان هذا عمره مائة سنة ويموت شيخاً، وهذا يموت شابّاً؟

فمثل هذه الأمور، هي سر الله في القدر، لا تسأل عنها بلم؛ ولهذا يقول الطحاوي[1]: والقدر سر الله تعالى في خلقه. حَجَبَه عَن أنامه ـ؛ أي: حجبه عن الناس ـ ونهاهم عن مرامه، فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حُكم الكتاب، ومن رد حُكم الكتاب كان من الكافرين، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ

(١) العقيدة الطحاوية ص٣٢.

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فلا تسأل؛ فهذا سر الله في خلقه. واعلم أن ربك حكيم، لَمَّا جعل هذا طويلاً وهذا قصيراً، وهذا غنياً وهذا فقيراً، وهذا عالماً وهذا جاهلاً؛ فالقدر سر الله، وهو مبني على حكمة الله، التي لا نعلمها.

وكذلك: فلا تسأل عن الكيفية، فلا تقل: كيف صفاته تعالىٰ؟ لا تقل: كيف استوى؟ بل تؤمن بالاستواء، ولا تسأل عن الكيفية، فالاستواء معناه معلوم، لكن لا تسأل عن الكيفية، فتؤمن بأن الله استوى على العرش لكن لا تسأل عن كيفية الاستواء، كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سُئل عن الاستواء قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[1].

ومثل هذا أيضاً: النزول، معلوم معناه في اللغة العربية، لكن لا تسأل عن كيفيته، فالإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فالصفات معلوم معانيها في اللغة العربية، والإيمان بها واجب، ولا يُسأل عن الكيفية؛ لأن السؤال عنها بدعة، فلا تقل: كيف عِلْمُ الله؟ كيف سَمْعِ الله؟ كيف بصره؟ كيف رؤيته؟ لأن الكيفية لا يعلمها إلا الله؛ فكان السؤال عنها لذلك بدعةً، فكما أنك لا تعترض على الله في أفعاله، فلا تسأل عن كيفية صفاته، فلا يقال: «لم، ولا يقال: كيف، إنما هو التصديق بها».

❁ **قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ:** «ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها؛ لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟».

يعني لا يقال: لِمَ في الأفعال؛ فلا يُعترض على الله في أفعاله ويقال: لم فعل كذا؟ قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] فالله تعالىٰ لا يُسأل عما يفعل. لكمال حكمته؛ لا كما يقوله الجبرية؛

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني (٢/ ٢٧٤)، والعين والأثر، لابن عبد الباقي ص١٠٩، والمختارة في أصول السنة، لابن البنا ص١٤٥.

والجبرية يقولون: إن الله يفعل بالقدرة والمشيئة المحضة؛ بدون حكمة ولا سبب، ولا علّة فأنكروا حكمة الله وقالوا: إن الله يفعل بالإرادة المحضة، وليس له حكمة! وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه: أنَّ الإرادة والمشيئة تخبط خبط عشواء، فتجمع بين المختلفات، وتفرق بين المتماثلات، وهذا من أبطل الباطل. والأشاعرةُ والجهمية: جبرية، أنكروا حكمة الله، وقالوا: إن الله يفعل بالإرادة فقط.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الله يفعل بالحكمة؛ فكل شيء بحكمة؛ أمْره بحكمة، ونهيه بحكمة، وَقَدَرُهُ بحكمة، وخلْقه بحكمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٦]. فلا يقال: لِمَ، ولا يُسأل عما يفعل؛ لأنه حكيم ﷻ، ولا يقال: كيف في الصفات؛ لأن الكيفية لا يعلمها إلا هو ﷻ، فلا يعلم كيفية صفاته إلا هو، كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو ﷻ، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما هو التصديق والإيمان بها.

ولهذا روى الخلال في السنة[١]، والدارقطني في الصفات[٢]، والآجري في الشريعة[٣]، بإسنادٍ صحيح، عن الوليد بن مسلم أنه قال: «سألت سفيان، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث ـ؛ أي: أحاديث الصفات ـ فقالوا: مروها كما جاءت».

وروى ابن عبد البر في جامع بيان العلم[٤]، من طريق عبد الوهاب بن نجدة، قال: حَدَّثَنا بقية، عن الأوزاعي قال: كان مكحول، والزهري، يقولان: «أمِرّوا هذه الأحاديث كما جاءت». وسنده صحيح. وقال ابن عبد البر وقد روينا عن مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد، وسفيان بن

---

(١) رقم (٣١٣). (٢) ص٤٢.

(٣) ص٢٩٩، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٧٧) (٩٥٥).

(٤) (٢/٩٦).

عيينة، ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: «أمروها كما جاءت». وروى عبد الله بن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في السنة[١] بسند صحيح عن وكيع بن الجراح قال: «نسلّم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا، ولا لم كذا؛ يعني مثل حديث ابن مسعود: «**أن الله عَزَّ وَجَلَّ يحمل السماوات على أصبع والجبال على أصبع**»[٢] وحديث النبي ﷺ قال: «**قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن**»[٣] ونحوه من الأحاديث.

وروى اللالكائي[٤] بإسناده عن محمد بن الحسن، فقيه العراق قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات، عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عَزَّ وَجَلَّ، من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه»؛ يعني: من غير تفسير كتفسير الجهمية، إلى أن قال: «فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة، ومن قال بقول جهم، فقد فارق الجماعة؛ فإنه

(١) رقم (٤٩٥)، والدارقطني في الصفات ص٤١.

(٢) حديث صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «عن عبد الله قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنَّا نَجِدُ أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع وسائر الخلائق على أصبع، فيقول: أنا الملك؛ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]. أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٢٣٨، ٣٢٣٩)، والنسائي في الكبرى (٧٦٨٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٢٩، ٤٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٤٢).

(٣) حديث صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**». أخرجه مسلم (٢٦٥٤)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٢)، وابن حبان في صحيح (٩٠٢).

(٤) (٣/ ٤٣٠).

وصفه بصفة لا شيء»؛ يعني: الجهم؛ فإنه نفى الأسماء والصفات، ووصفه بصفة المعدوم.

وروى الدارقطني في الصفات[١] بسند صحيح عن العباس بن محمد الدوري: قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام ـ وذكر الباب الذي يروى في الرؤية، والكرسي، ووضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره، وأين كان ربنا قبل أن يخلق السماء، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك ﷻ قدمه فيها فتقول: قط قط، وأشباه هذه الأحاديث فقال: «هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه وكيف ضحك؟ قلنا: لا يُفسَّر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسره».

وكلام السلف في هذا كثير. قال أبو بكر الخلال في السنة[٢]: حدثنا أبو بكر المروزي رحمه الله، قال: «سألت أبا عبد الله، عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصة العرش وصححها أبو عبد الله وقال: قد تلقتها العلماء بالقبول، نُسَلِّم الأخبار كما جاءت، قال: فقلت له: إن رجلاً اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت، فقال: يجفى، وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع؟! يسلم الأخبار كما جاءت»، فأقوال العلماء في هذا كثيرة.

۞ **ولهذا قال المؤلف** رحمه الله: «ومن لم يعرف تفسير الأحاديث ويبلغها عقله، فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان والتسليم مثل: أحاديث الصادق المصدوق»؛ يعني مقصوده بـ«حديث الصادق المصدوق» حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه أصحاب الكتب الستة، والإمام أحمد، قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه**

(١) ص٦٨ ـ ٦٩.
(٢) (٢٨٣).

وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[1]؛ يعني: الكتاب الذي كُتب عليه وهو في بطن أمه.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣)، واللفظ له، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٦٦)، وابن ماجه (٧٦)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٢)، والحميدي في مسنده (١٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٦١٧٤)، وغيرهم.





الإيمان بما جاء في الأحاديث الشريفة

ومثل ما كان مثله في القدر ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

الشرح

❁ **مُرادُ المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: أن على المسلم أن يُسَلِّم الأحاديثَ، ويؤمن بها، ولا يعترض، ولا يسأل عن الأفعال بلم؟ ولا عن الصفات بكيف؟ مثل هذا الحديث عن الصادق المصدوق الوارد في القدر؛ فيسلِّم المؤمنُ بأن هذا قدره، وأنَّ الله تعالى كتب الرزق، والأجل، والعمل، والشقاوة، والسعادة. فلا تسأل ولا تعترض؛ فالله حكيم، وعليم بالذوات التي تصلح لغرس الكرامة، فلا تسأل لماذا قدَّر على هذا الشقاوة؟ ولماذا قدَّر على هذا السعادة؟ ولماذا قَدَّرَ الفقر على هذا؟ ولماذا قَدَّر الغنى على هذا؟ فلا تعترض على الله، بل عليك الإيمان والتسليم؛ فإن الله حكيم عليم.

«ومثله ما كان مثله في القدر»؛ يعني: كذلك كل ما كان في القدر فلا تسأل، بل سَلِّم لله؛ ولهذا قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته[1]: «فمن سأل لِمَ فعل؟ فقد رَدَّ حُكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين»، قال: لأن القدر سر الله في خلقه، وهو تعالى لا يُسأل عما يفعل، فمن سأل: لِمَ فعل؛ فقد ردّ حُكم الكتاب؛ ومن ردّ حُكم الكتاب كان من الكافرين، وهذا سبق شرحه.

---

(١) ص٣٢.

وقوله: «ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات»؛ يعني: على الإنسان أن يُسَلِّم بأحاديث الرؤية؛ والمراد بأحاديث الرؤية؛ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة؛ فعليه أن يؤمن بها؛ وقد عرفنا أن من لم يؤمن بالقدر: فهو كافر، فكذلك من لم يؤمن برؤية الله يوم القيامة: فهو كافر أيضاً؛ كَفَّره الأئمةُ كالإمام أحمد وغيره، قالوا: من لم يؤمن بأن الله يُرَى في الآخرة، فهو كافر.

والمراد بالكفر، هنا، الكفر على سبيل العموم، أما فلان بن فلان المُعَيَّن الذي أنكر الرؤية؛ فلا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة؛ يعني: إذا بلغه الدليل ثم عاند؛ فإنه يكفر في هذه الحالة، أما من أنكر الرؤية، فيقال: هذا كفرٌ؛ على العموم؛ ويقال: كل من أنكر رؤية الله فهو كافر، لكن فلان بن فلان الذي ينكر رؤية الله، لا يكفر إلا إذا وُجِدَتْ الشروطُ، وانتفت الموانعُ.

ورؤية الله تعالىٰ في الآخرة، وردت في نصوص الكتاب العزيز، وفي السنة المطهرة. فمثل أمثلتها في الكتاب العزيز: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]: حيث أسند النظر إلى الوجه الذي هو محله، وعدَّاهُ بأداة «إلى» الدالة على النظر بالعين المجردة إلى الرب، وأخلىٰ الكلام عن قرينة تدل على خلاف الموضوع وحقيقته؛ فدل على أن المراد: النظر بالعين التي في الوجه، إلى الرب ﷻ.

ومن الأدلة: قوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. جاء في صحيح مسلم في حديث صهيب[1] تفسير الزيادة بأنها: النظر إلى وجه الله الكريم.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، النسائي في الكبرى (٤/ ٤٢٠) (٦/ ٣٦١)، وابن ماجه (١٨٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣) (٦/ ١٥ ـ ١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٤١)، وغيرهم.

ومنها: قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] استدل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فقال: «لما أن حُجب هؤلاء في السخط؛ دل على أن المؤمنين يرونه في الرضا»، ولو كان المؤمنون لا يرون ربهم؛ لاستووا هم والكفار في الحجب، فلما حجب هؤلاء عن الرؤية؛ دل على أن المؤمنين يرونه.

وأما الأحاديث الصحيحة فقد ذكر الإمام ابن القيم[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الروح: أنها متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد، رواها عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابياً، كلها تُثبت رؤية المؤمنين لربهم ﷻ. منها: حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**»[(٢)]؛ يعني: العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] وهذا يدل على أن المحافظة على هاتين الصلاتين الفجر والعصر لها سبب في رؤية الله يوم القيامة.

ومن هذه الأحاديث: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال ناس: يا رسول الله أنرى ربنا ﷻ يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة**»، قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية القمر

---

(١) في (حادي الأرواح) طبعة دار الكتب ص١٩٥: كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، واللفظ له غير كلمة (فافعلوا)، فهي عند البخاري، وأخرجه أبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١/ ١٧٦) (٦/ ٤٦٩)، وابن ماجه (١٧٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦)، وغيرهم.

ليلة البدر ليس في سحابة، قالوا: لا، قال: «**والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**»[١] متفق عليه.

ومن الأدلة حديث أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**»[٢]. رواه الشيخان وغيرهما.

ومن ذلك حديث صهيب: إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: «**تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**»[٣]. رواه الإمام مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم.

ومن ذلك حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه الشيخان: البخاري ومسلم وغيرهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[٤]؛ ولهذا روى أبو بكر الخلال في السنة[٥] والآجري في الشريعة[٦] بسند صحيح عن أبي عُبيد القاسم بن سلَّام

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ٢٩٦٨)، وأبو داود (٤٧٣٠) واللفظ له، والترمذي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (١٧٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨٩، ٤٩٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٤٢، ٧٤٢٩، ٧٤٤٥).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٨١، ٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣)، والترمذي (٢٥٩٨)، والنسائي (٨/ ١١٢)، وغيرهم.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨١)، واللفظ له، والترمذي (٢٥٥٢)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٢٠) (٦/ ٣٦١)، وابن ماجه (١٨٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣) (٦/ ١٥ ـ ١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٤١) وغيرهم.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، واللفظ له، والترمذي (٢٥٢٨)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٢٠)، وابن ماجه (١٨٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٤١١)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٨٦).

(٥) رقم (٣١١). (٦) ص٢٤٣.

قال: ـ وذكرت عنده هذه الأحاديث في الرؤية ـ: هذه عندنا حق، نقلها الناس بعضهم عن بعض.

وأقوال أهل العلم في وجوب الإيمان والتصديق برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، أكثر من أن تحصى، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «مثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع».

اعْلَمْ أن الذين يستوحشونها هم أهل البدع، من الجهمية، والمعتزلة، الذين أنكروا رؤية الله يوم القيامة، مع أن الآيات فيها صريحة، والنصوص واضحة، لكنهم أولوها وقالوا: المراد بالرؤية: العلم؛ قالت المعتزلة: معنى قوله: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر»؛ أي: إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون هذا القمر أنه قمر؛ لا تشكون في العلم به، فتعلمون ربكم كما تعلمون أن هذا القمر قمر!!!

وهذا تفسير باطل؛ لأن العلم بذلك يحصل لجميع الناس يوم القيامة، بلا إشكال، حتى الكفرة الذين ينكرون وجود الله؛ يؤمنون بذلك يوم القيامة، فيكون قول المعتزلة من باب تحصيل الحاصل. وقد استدل المعتزلة على أن الرؤية معناها العلم، بمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] فقالوا: معناها: ألم تعلم. لكن الأحاديث صريحة جداً في إثبات الرؤية البصريّة، فلا يمكن أن يكون قوله: **«إنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»**[١]، معناه: العلم، بل المراد: الرؤية البصريّة؟ ومع ذلك فإن المعتزلة أنكروا رؤية الله كما أنكروا علوه، وأنكروا كونه فوق السماوات، وفوق العرش، وأهل السنة آمنوا بالعلو؛ وأن الله فوق العرش، وآمنوا برؤية الله يوم القيامة.

أما الأشاعرة فهم مذبذبون؛ لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء؛ أرادوا بزعمهم أن يسلكوا المسلك الوسط بين المعتزلة وبين أهل السنة؛ فرامُوا أن يكونوا مع أهل السنة في الرؤية، ومع المعتزلة في إنكار العلو؛ فأثبتوا رؤية الله يوم القيامة؛ كما أثبتها أهل السنة، لكن أنكروا علو الله، وأن يكون فوق العرش، فوافقوا المعتزلة في ذلك، وأتوا بقولٍ عجيب لا تستسيغُه العقول، فقالوا: الله يُرى، لا في جهة!!.

(١) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥).

فلا يُرى من فوقٍ، ولا من أمام، ولا من خلف، ولا عن يمين، ولا عن شمال!! ولذلك: أنكر عليهم أهل السنة وبدَّعوهم، بل أنكر عليهم الصبيان وضحكوا من قول الأشاعرة: إن الرؤية تكون بلا مقابلة! وهذا مذهبٌ باطل؛ لأن الرؤية لا تكون إلا بمقابلة المرئي؛ فالمرئي لا بد أن يكون مقابلاً للرائي؛ مواجهاً له؛ مبايناً له؛ أما رؤية بدون جهة، وبدون مقابلة، فلا يمكن أن تقع؛ ولهذا سمَّاهم بعضُ أهل العلم (خناثى) كالخنثى الذي لا أنثى هو ولا ذكر. فالأشاعرة في هذه المسألة، ليسوا من أهل السنة، وليسوا من المعتزلة. وفي هذه المسألة أرادوا أن يكونوا مع المعتزلة في إنكار العلو، وأرادوا أن يكونوا مع أهل السنة في إثبات الرؤية، فعجزوا عن ذلك، فلجؤوا إلى حجج سوفسطائية وهي المُمَوَّهَة؛ وهي التي تُشبه الحجة، وليست حجة.

فقالوا: إن عندنا دليلاً على إمكانية الرؤية بلا مواجهة؛ وهي رؤية الإنسان لوجهه في المرآة؛ فإنه يرى وجهه بلا جهة.

نقول لهم: هذا تلبس؛ لأن الإنسان لا يرى في المرآة إلا خيال صورته المنطبعة في الجسم الصقيل، وهو مع هذا؛ في جهةٍ منها، فبطل بهذا دليلهم العقلي.

وبهذا يكون أهل السنة والجماعة آمنوا بعلو الله، وأنه فوق العرش، وبالرؤية، والمعتزلة أنكروا الأمرين؛ أنكروا علو الله، وأنكروا الرؤية؛ حيث فسروها بالعلم، والأشاعرة آمنوا بالرؤية، وأنكروا العلو، فصاروا مع المعتزلة في إنكار العلو، ومع أهل السنة في إثبات الرؤية.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «يجب الإيمان بها وإن نأت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع». والذين يستوحشون منها هم أهل البدع. فالواجب فيها كما قال المؤلف: «وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفاً واحداً» فالإمام أحمد يقول: لا ترد ولا حرفاً واحداً، وآمنْ بالنصوص من الكتاب والسنة؛ لأنَّ من ردَّ حرفاً من القرآن: كفر، وكذلك السنة.

«وألا يرد منها حرفاً وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات»؛ يعني: كل الأحاديث التي أُثرت ورُويت عن الثقات الأثبات؛ يجب الإيمان بها.





الجدال في الدين

وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن: مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه ـ وإن أصاب بكلامه السنة ـ: من أهل السنة حتى يدع الجدال، ويسلّم، ويؤمن بالآثار.

الشرح

هذا الكلام حق؛ بيَّن فيه المؤلف رحمه الله: أنه يجب على المسلم أن يؤمن بالأحاديث، وألّا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال؛ فكل هذا مطلوب من المسلم: وألّا يخاصم أحداً ولا يناظره؛ فإن الخصومات، والجدال في الدين منهي عنه؛ لأنه إذا خاصم الإنسان وناظر في النصوص؛ فقد يؤدي به ذلك إلى الإنكار وإلى التأويل، فالخصومات والجدال؛ من طريقة أهل البدع.

وفي الحديث: «**إن الله يبغض الألد الخصم**»، وقال تعالى في ذمهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]. فالخصومة والجدال والمناظرة؛ كل ذلك مذموم بنص الكتاب والسنة؛ ولهذا روى الآجري في الشريعة[1] بسند حسن، عن معن بن عيسى قال: انصرف مالك بن أنس رضي الله عنه يوماً من المسجد وهو متكئ على يدي، فلاحقه رجل يقال له أبو الحورية ـ كان يتهم بالإرجاء ـ فقال: يا أبا عبد الله ـ يخاطب مالكاً ـ اسمع مني شيئاً أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك فاتبعني، قال: فإن جاء

(١) ص٥٥.

رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، فقال مالك رَحِمَهُ اللهُ: يا عبد الله، بعث الله عَزَّ وَجَلَّ محمداً بدين واحدٍ، وأراك تنتقل من دين إلى دين». قال عمر بن عبد العزيز[١]: «من جعل دينه غرضاً للخصومات: أكثر التنقل» وعنه رَحِمَهُ اللهُ، قال: «الكلام في دين الله أكرهه».

وعن سلام بن أبي المطيع، أن رجلاً من أصحاب الأهواء ـ؛ يعني: من أهل البدع ـ قال لأيوب السختياني: «يا أبا بكر أسألك عن كلمة، فولى أيوب وجعل يشير بأصبعه ولا نصف كلمة»؛ يعني: لا يريد يكلم أهل البدع، ولا يريد الجدال، ولذلك قال له: «ولا نصف كلمة» لمّا علم أن السائل من أهل البدع والخصومات. رواه الآجري في الشريعة[٢].

وعن معاوية بن قُرَّة قال: «الخصومات في الدين تحبط الأعمال»[٣]. قال الحسن بن علي البربهاري في شرح السنة[٤]: «والكلام والجدال والخصومة في القدر خاصة، منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله، ونهى الرب ـ جلَّ اسمه ـ الأنبياءَ عن الكلام في القدر، ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر؛ فعليك بالتسليم، والإقرار، والإيمان، واعتقاد ما قاله رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، واسكت عن ما سوى ذلك». فلا يجوز للإنسان أن يخاصم أحداً، ولا يناظره في النصوص، ولا يتعلم الجدال.

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة، حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار». يعني: أنَّ كلام الإنسان في القدر، وسؤاله عنه، واعتراضه على الله؛ وقوله: لم فعل كذا؟ وسؤاله عن كيفية

---

(١) رواه اللالكائي (١/١٢٨) (٢١٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٠٣).
(٢) ص٥٥، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة رقم (٢٩١).
(٣) الشريعة ص٥٤. (٤) ص٢٦.

الصفات، وتأويل نصوصها، وإنكارها بحجة التنزيه، كما يفعله المتكلمون، وكذلك الجدال في القرآن، وغيرها من السنن: مكروه، ومنهي عنه. يقول: «لا يكون صاحبه، وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة»؛ أي: لا يكون صاحبه، ـ حتى ولو أصاب السنة بكلامه: لا يكون من أهل السنة؛ حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار، ويدع الخصومات. والمقصود بالآثار: كلام الرسول ﷺ وآثار الصحابة والتابعين.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح السنة[1]: «اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه»، وقال الإمام أبو محمد البربهاري في شرح السنة[2]: «واعلم أنها لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين: إلا من الكلام، والجدال، والمراء، والخصومة. والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال، والله يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] فعليك بالتسليم والرضا بالآثار، والكف والسكوت».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً سبب ذم السلف لعلم الكلام في كتابه «موافقة صحيح المنقول لصريح المقول»[3] قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالسلف والأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة؛ كلفظ الجوهر، والعَرَض، والجسم، وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها في هذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ على معان مجملة في النفي والإثبات، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه لأهل البدع فقال: هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس، ثم يلبسون عليهم»، وكلام السلف في هذا طويل.

---

(١) طبعة المكتب الإسلامي.
(٢) ص٣٨.
(٣) طبعة دار الكتب العلمية.



القرآن كلام الله وليس بمخلوق

والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق.

الشَّرْح

❁ **يقول المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن كلام الله، وليس بمخلوق»؛ يعني: القرآن كلام الله: لفظُه ومعناه، حروفه ومعانيه، كما دلت على ذلك النصوص، وكما أقرَّ بذلك أهلُ السنة والجماعة؛ بأن كلام الله يشمل: اللفظ والمعنى، وأن الله تعالى تكلم بكلامٍ؛ بحرف وصوت يُسْمَع. فلا بد من الإيمان بأن كلام الله؛ حرف وصوت؛ لفظٌ ومعنى. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ بدلالة النصوص، فيجب على المؤمن أن يعتقد ذلك. ويعتقد أنه ليس بمخلوق.

وكلام الله نوعان:

النوع الأول: مسموع من الله بواسطة. كما سمع الصحابةُ كلامَ الله، بواسطة النبي ﷺ، وكما يُسمع كلامُ الله بواسطة قراءة القارئ.

والنوع الثاني: مسموعٌ من الله بلا واسطة، كما سمع جبرائيلُ من الله، وكما سمع موسى كلامَ الله بدون واسطة، وكما سمع نبينا ﷺ ليلةَ المعراج كلامَ الله بدون واسطة، وكما يكلم اللهُ الناسَ يوم القيامة فيسمعون كلامه بلا واسطة، وكما يكلم آدمَ يوم القيامة، فيقول الله تعالى يوم القيامة: «يا آدم» يُسْمِعُهُ الصوت، وفي الحديث: «**ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ**»[1]. وهذا هو الصوت المسموع من كلام الله؛ يسمعه

---

(١) حديث صحيح لغيره: وهو جزء من حديث ذكره الإمام البخاري بصيغة الجزم في =

مَنْ بَعُدَ، كما يسمعه من قَرُبَ؛ بخلاف صوت المخلوق، فإن القريب يسمعه أكثر من البعيد.

أما الصوت المسموع من كلام الله فإن البعيد والقريب يسمعونه على حد سواء، فيسمعه مَنْ بَعُدَ، كما يسمعه مَنْ قَرُبَ، كما في الحديث الذي ذكرنا طرفاً منه، وتمامه: «**يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرجْ بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين». ثم قال: «أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف»**[1].

فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه. يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق»؛ أي: لا تضعف وكن قوياً نشيطاً في معتقدك وفي إعلانك وإظهارك معتقدَ أهل السنة والجماعة، وقل: القرآنُ ليس بمخلوق؛ لا تضعف أمام أهل البدع. ثم قال: «فإن كلام الله ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوق» فمعنىٰ كلام الله ليس ببائن منه؛ أي: لم يفارقه وينتقل منه إلى غيره؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولهذا قال الإمام الحافظ أبو داود الطيالسي: «القرآن كلام الله ليس ببائن منه». وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قول السلف كلام الله منه بدا وإليه يعود، منه بدا: لم يريدوا به أنه فارق ذاته، وحلّ في غيره، فإن كلام المخلوق، بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره، فكيف يجوز أن تفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته»[2].

= كتاب العلم باب (١٩)، وفي كتاب التوحيد باب (٣٢)، بصيغة التمريض، وأخرجه في الأدب المفرد (٩٧٠)، وفي أفعال العباد (ص٨٩)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٤)، وفي الآحاد والمثاني (٢٠٣٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨٥٩٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٤)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٧٠).

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٨)،واللفظ له ومسلم (٢٢٢) الإيمان، وأحمد في المسند (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، وأبو عوانة في مسنده (٢٥٣ ـ ٢٥٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ١٠)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٤).

قال أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن أحمد[١] رَحِمَهُ اللهُ: «سمعت أبي يقول مرة: وسئل عن القرآن؟ قال: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بمخلوق، ولا تخاصموا ولا تجادلوا من يخاصم». إذن: القرآنُ كلام الله، ليس بمخلوق، ولا يضعف الإنسان أن يقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه؛ يعني: ليس بمنتقل عنه إلى غيره، «وليس منه شيء مخلوق»؛ أي: ليس من الله شيء مخلوق، فكلام الله صفة من صفاته، والله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق، وغيره مخلوق.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فالله بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق، وما عداه مخلوق، أما أهل البدع فاختلفوا في كلام الله، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ قال: «إنهم مختلفون في الكتاب، مخالفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب»، فعقيدة أهل السنة: أنَّ القرآن كلام الله؛ لفظه ومعناه، وأنه حروف وأصوات مسموعة.

أما المعتزلة فقالوا: كلام الله مخلوق؛ لفظه ومعناه، وعلىٰ هذا: فالقرآن مع كونه كلام الله، إلا أنه ـ عندهم ـ مخلوقٌ؛ لفظه ومعناه، وقالوا: إن الله تعالى لما كلم موسى وناداه قائلاً في الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: ٢٩ ـ ٣٠] قالوا: إن الله خلق الكلام في الشجرة، فنادت موسى؛ فالشجرة هي التي قالت: يا موسى إني أنا الله رب العالمين!! وهذا من أبطل الباطل أن تقول الشجرة: إني أنا الله رب العالمين. فالمعتزلة تقول كلام الله مخلوق؛ لفظه ومعناه، والقرآن مخلوق، تعالى الله عما يقولون، وكذلك الجهمية.

وأما الأشاعرة فقد تذبذبوا في الكلام الإلٰهي، وأخذوا نصفَ مذهب أهل السنة، ونصف مذهب المعتزلة، وقالوا: كلام الله نصفان: نصف مخلوق،

---

(١) في السنة (١/ ١٣٢)، رقم (٨٠).

ونصف غير مخلوق، فاللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق. فصار مذهبهم مكوناً من نصف مذهب أهل السنة، ومن نصف مذهب المعتزلة؛ المعتزلة الذين يقولون: الكلام مخلوق؛ اللفظ والمعنى معاً، والأشاعرة الذين يقولون: اللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق؛ فالمعنى وافقوا فيه أهل السنة، واللفظ وافقوا فيه المعتزلة، فصاروا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، فصاروا خنثى، لا ذكر ولا أنثى. فالحاصل أنَّ الأشاعرة يقولون: الكلام من حيث هو اسم للمعنى، وأما اللفظ والحروف والأصوات، فليستْ من الكلام، بل هي دليل على الكلام. فالكلام ـ عندهم ـ معنى قائم بالنفس، لا يُسمع؛ ليس بحرف ولا صوت، ويستدلون ببيت منسوب للأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلا

وهو بيت مصنوع، لا يُدرى مَن قائله وإنما هو منسوب للأخطل. ثم أين دليلكم من الكتاب والسنة؟ كيف تعتمدون على كلام مصنوع، منسوب للأخطل؟! والأخطل لو سلمنا أنه قاله، فالمقصود بقوله: «إن الكلام لفي الفؤاد»؛ يعني: الكلام الذي يُعدّه الإنسان، ويهيئه في نفسه قبل أن يتكلم به؛ ويزنه بعقله قبل أن ينطق به، وليس المقصود أن اللفظ ليس من الكلام. ولو سلمنا جدلاً أن مقصوده: اللفظ؛ فهذا قول نصراني ولا يُحتج به؛ والنصارى ضلوا في معنى الكلام، فقالوا: إن عيسى نفس الكلمة ـ أي: جزء من الله ـ، وليس هو الكلمة، والكلام صفة من صفات الله، فجعلوا عيسى جزءاً من الله، والمسلمون يقولون: عيسى مخلوق بالكلمة، وليس هو الكلمة، خَلَقَهُ اللهُ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]، فعيسى مخلوق بالكلمة، وليس هو الكلمة، والنصارى يقولون: عيسى هو الكلمة؛ فهو جزء من الله ـ تعالى الله عما يقولون ـ. فإذا كان النصارى ضلوا في معنى الكلام، فكيف يُستدل بقول نصراني ضَلَّ في معنى الكلام، على معنى الكلام؟ ويُترك ما يُعرف من معنى الكلام، من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام أهل اللغة؟!

فالأشاعرة ـ كما مضى ـ يقولون: الكلامُ هو اسم للمعنى، أما اللفظ

فليس بكلام الله، بل دليل على الكلام، ولهذا قالوا: القرآن معنى قائم بنفس الرب؛ لم يتكلم الرب بحرف ولا صوت، ولم يُسمع منه أيُّ كلمة!! فجعلوا الرب أبكم لا يتكلم ـ نعوذ بالله ـ، ولهذا قالوا: الله اضطر جبريل اضطراراً فَفَهِمَ المعنى القائمَ بنفسه، فعبّر بهذا عن القرآن، فالقرآن عبارة عبَّر به جبريل؛ أي: عبَّر به عن المعنى القائم بالرب!! فجعلوا الرب كالأبكم الذي يأتي بحركات ليعبّر بها عَمَّا في نفسه، تعالى الله عما يقولون. وشبهتُهم في أنّ الرب لا يتكلم بحرفٍ ولا صوت؛ قالوا: لأنه لو تكلم بحرف وصوت، لصار محلاً للحوادث ـ بزعمهم ـ، والرب منزه عن الحوادث؛ أي: الحرفُ حادث، والصوت حادث، والرب ليس محلاً للحوادث؛ ففراراً من ذلك قالوا: الكلام ليس بحرف ولا صوت، بل هو معنى قائم بنفسه تعالىٰ، اضطر اللهُ جبريلَ إلى فَهْمِ المعنى القائم، فعبَّر بهذا عن القرآن، فالقرآن عبارة عبَّر به جبريل.

وقالت طائفة أخرى من الأشاعرة: الذي عبَّر به هو محمد، ليس جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقالت طائفة ثالثة من الأشاعرة: جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، ولم يتكلم الله بكلمة واحدة منه، ولذلك يقولون: إن القرآن هو كلام الله مجازاً؛ أي: يُسَمَّىٰ ما في المصحف كلام الله مجازاً؛ ليس حقيقة، لكن عند التحقيق والمناقشة يقولون: ليس كلامه حقيقةً، وأنَّ الرَّب ﷻ، لم يتكلم بهذه الألفاظ أصلاً.

وقد تَرَتَّبَ على اعتقادهم بأنَّ المصحف ليس فيه كلام الله، لكن تأدى به كلام الله: أن استهان بعضهم بالقرآن، ومنهم من كان يرميه ولا يبالي ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

وللناس في «مُسَمَّىٰ الكلام» و«القول» عند الإطلاق أربعة أقوال، والذي عليه السلف والفقهاء والجمهور؛ أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً؛ كما يتناول لفظُ الإنسان: الروح والبدن جميعاً. وقال المعتزلة: مُسَمَّاهُ هو اللفظ، والمعنى ليس جزء مُسمَّاه، بل هو مدلول مسمَّاهُ. وقيل: مُسمَّاهُ هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجازٌ؛ لأنه دال عليه. وهذا قول ابن كُلَّاب. وقيل: هو مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قولُ بعض المتأخرين من الكُلَّابية.

وهناك قول ثالث يُروى عن أبي الحسن؛ أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العقيدة الواسطية[1] مقرراً مذهب السلف في كلام الله تعالى: والقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف. هذا مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، أنه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، كما يقوله أبو المعالي الجويني، وليس كلام الله المعاني دون الحروف كما يقوله الأشاعرة.

والقرآن صفة من صفاته تعالى لفظه ومعناه، وليس مخلوقاً كما تقوله المعتزلة، فالكلام اسم للفظ والمعنى في اللغة العربية، فإطلاق الكلام على المعنى إطلاقه على جزء معناه، وإطلاقه على اللفظ إطلاقه على جزء معناه، وإطلاقه على اللفظ والمعنى إطلاق على جميع مسماه؛ مثل الإنسان؛ فمسمى الإنسان: اسم للروح والجسد، فإطلاق الإنسان على الروح إطلاق على جزء معناه، وإطلاقه على الجسد إطلاق على جزء معناه، وإطلاقه على الروح والجسد إطلاق على كل معناه، فالإنسان اسم للروح والجسد، والكلام اسم للفظ والمعنى. هذا هو الصواب. والله الموفق.

الأسئلة

س١ ـ أحسن الله إليكم هذا يسأل يقول: القدرية ينكرون علم الله فهل يلزم من ذلك أنهم ينكرون أن الله خلق أفعال العباد؟

ج١ ـ لا القدرية المتوسطون، وهم القدرية المجوسية، يقولون: إن الله خلق كل شيء إلا أفعال العباد، فالعباد هم الذين خلقوها، وهم يقولون: إن الله خلق الإنسان وأعطاه القوة؛ لكن الإنسان هو الذي خلق فِعله؛ خيراً أو شراً، طاعةً أو معصيةً؛ فراراً من القول بأن الله خلق المعاصي وعذَّب عليها، حتى لا يكون ظالماً.

---

(١) ص١٦.

فهم يعترفون بأن الله خلق الإنسان وأعطاه القوة، لكن يقولون: هو الذي خَلَقَ فِعْلَ نَفْسِه؛ ولهذا يوجبون على الله أن يثيب المطيع؛ لأن من أصولهم: إنفاذ الوعد والوعيد؛ فيوجبون على الله أن يثيب المطيع، وأن يعاقب العاصي؛ لأن الإنسان هو الذي خلق فعله، فيجب على الله أن يثيب المطيع، كما يستحق الأجير أجرته، ويجب عليه أن ينفذ الوعيد في العاصي، وليس له أن يعفو عنه. هكذا يقول المعتزلة، وهكذا يوجبون على الله أن يعاقب العاصي، وليس له أن يعفو عنه ـ تعالى الله عما يقولون ـ.

س ٢ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس في السنة قياس»، أليس قياس الأولى من القياس العقلي، وقد أثبته المحققون في صفات الله؟

ج ٢ ـ بلى ليس في السنة قياس لا يستند إلى نص، يعني: لا يقيس الإنسان بعقله، أما قياس الأولى فأنا بينتُ هذا وقلتُ: إن القياس الشرعي لا يكون فيه هذا؛ لأنه مُستنِد إلى الشرع، والمراد القياس: المستند إلى العقل المجرد.

س ٣ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: ما معنى قول المؤلف: «ترك الجلوس مع أهل الأهواء»؟

ج ٣ ـ يعني: ترك الجلوس مع أهل البدع؛ فأهل الأهواء هم أهل البدع، فلا تجالس أهل البدع؛ لأنهم يضرونك ويشبّهون عليك، ويلبسون عليك، فقد يلبسون عليك، ويوردون عليك شبهة، ولا تستطيع ردها، ولهذا ورد أن الإمام (أيوب السختياني)، قالوا له في شَأن مُبْتَدِعٍ: كَلِّمْهُ كلمةً، قال: «ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمه»؛ يعني: لا يريد أن يتكلم مع أهل البدع فقد تكون هذه الكلمة التي يكلمه بها، فيها شُبهة، فتتمكن من نفسه ولا يستطيع ردها. فلا ينبغي مجالسة أهل الأهواء، أو أهل البدع.

س٤ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: يجب علينا أن نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله، فكيف تفسر قول الله ﷿: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾؟ [النساء: ٧٩].

ج٤ ـ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء: ٧٩]؛ يعني: فبفضل الله وتوفيقه، وما أصابك من سيئة؛ فبسبب ذنوبك التي كسبتها، والله تعالى قدَّر الجميع، ولهذا قال بعدها: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء: ٧٨] ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩] ثم قال بعدها: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨] وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢].

س٥ ـ أحسن الله إليك، يقول السائل هل الأشعري معتزلي أو العكس؟

ج٥ ـ الأشعري له مذهب، والمعتزلي له مذهب؛ مذهب المعتزلة، إنكار جميع الصفات، وإثبات أسماء الله، لكن بدون معاني، فيقولون: رحمٰنٌ بدون رحمة، عليمٌ بلا علم، قديرٌ بلا قدرة، سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر.

وأما الأشاعرة، فهم يثبتون الأسماء، ويثبتون سبع صفات: الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والعلم، والقدرة، والإرادة، والباقي يؤولونه، ومنهم من يثبت عشرين صفة، ومنهم من يثبت أربعين. لكن المشهور عنهم سبع صفات، وهي التي مَرَّتْ. هذا مذهبهم في الصفات.

وأمَّا في القدر فالأشعرية جبرية، والمعتزلة قدرية. فالأشاعرة ينكرون الأسباب؛ مثل الجهمية، وأما المعتزلة فهم يعتمدون على الأسباب ولا ينكرونها، فهم في هذا الباب ضد الأشعرية.

س٦ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: من الذي قال: إن الكلام هو حروف وألفاظ؟

ج٦ ـ القائل بذلك هم أهل السنة يقولون: الكلام حروف، وألفاظ، ومعاني. والحروف والألفاظ واحد، ويقول شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: «والقرآن كلام الله حروفه ومعانيه»، فالحروف هي: الألفاظ، ليس كلامُ الله الحروف دون المعاني، كما يقوله أبو المعالي الجويني، ولا المعاني دون الحروف كما يقول الأشاعرة.

س٧ ـ أحسن الله إليكم. هذا السائل يسأل عن قول النصارى في عيسى ابن مريم؟

ج٧ ـ النصارى يقولون: عيسى ابن الله، فجعلوه جزءاً من الله ـ تعالى الله عما يقولون ـ، وغلوا في عيسى حتى رفعوه من مقام العبودية والنبوة، إلى مقام الألوهية، فقالوا: عيسى ابن الله، وفسَّروا قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ [النساء: ١٧١] وقالوا: هو نفس الكلمة وهو جزء من الله، وأما أهل السنة فيقولون: عيسى كلمة الله؛ يعني: مخلوق بالكلمة، خلقه الله بكلمة كن.

س٨ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: إن تخلل حياة الصحابي ردة هل يعتبر صحابياً؟

ج٨ ـ إذا مات على الإسلام فإنه لا تضرّه هذه الردة، وكذلك الإنسان إذا تخلل عمله ردة ثم تاب ومات على الإسلام لا يبطل عمله، بل يحرزه بتوبته، أما إذا مات على الكفر ـ والعياذ بالله ـ فإنه تبطل أعماله كلها، لكن إذا تاب الله عليه؛ فتاب، ومات على الإسلام، بقيت أعمالُه؛ قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧]. فاشترط لحبوط العمل الموت على الكفر، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥].

س٩ ـ أحسن الله إليكم. هذا سائل من فرنسا يقول: جاء في حديث: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن**

حسن خلقه»[١] ما صحة هذا الحديث؟ وهل ترك الجدال في أمور الدين ولو كان الحق معك، يدخل في مفهوم هذا الحديث؟

ج ٩ ـ الحديث حَسَنٌ، وقوله: أنا زعيم؛ يعني: أنا كفيل وضامنٌ ببيتٍ في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقاً؛ أي: ترك الجدال في الدين، ولو كان على حق؛ لأن الجدال قد يفضي به مثلاً إلى ما لا تحمد عقباه، وأقل ما فيه: أن تماري صاحبَك وتغضبه، فتكون حزازات في النفوس، وإحن، وضغائن، فتركُ المراء والجدال مطلوب، فلا ينبغي للإنسان أن يماري، ومن ذلك قول الله تعالى في الحج: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] فالجدال هو المراء.

س ١٠ ـ أحسن الله إليكم. هذا السائل يقول: ما المقصود بقوله: ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفي ذلك وأحكم له؟

ج ١٠ ـ يعني: عليه أن يُسَلِّمَ إذا بلغه لفظ الحديث، لكن إنْ لم يفهم معناه وتفسيره، فإن عليه أن يسلّم لله ولرسوله؛ لأنك إن لم تكن قد عقلتها وفهمتها، فقد يعلمُها غيرك، فأنت مكفي؛ أي: يكفيك في هذا المقام أن تُسَلِّمَ، وتؤمن وتقول: آمنت بالله، وبما جاء عن الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله، كما رُوي هذا عن الإمام الشافعي، أنه قال: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

س ١١ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: هل نُكَفِّر الأشاعرة بسبب تذبذبهم بين أهل السنة والمعتزلة؟

ج ١١ ـ لا، الأشاعرة ما كفرهم العلماء؛ بل جعلوهم من أهل البدع؛ لأنهم متأولون، فَفَرْقٌ بين الجاحد والمتأول، فالجاحدُ: الذي يجحد؛ وهذا

---

(١) حديث حسن لغيره: عن أبي أمامة ﷺ أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤١)، وفي الشعب (٨٠١٧)، والطبراني في الكبير (٧٤٨٨)، ومسند الشاميين (١٥٩٤)، والروياني في مسنده (١٢٠٠)، وجاء من حديث معاذ بن جبل ﷺ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤).

كافر، كالشخص الذي يجحد قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ويقول: الرب لم يستو على العرش؛ فهذا كافر؛ لأنه كَذَّبَ الله؛ ومن كَذَّبَ اللهَ: كَفَرَ، لكن إذا كان شخص يقول في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، هذا كلام الله، وأنا أؤمن به، لكن معنى استوى: استولى؛ لأنه لا يليق بالله أن يستوي. فهذا لديه شُبهة، فمثل هذا لا يكفر؛ لأنه متأول؛ يقول: لا يليق بالله أن يستوي؛ لأنه إذا استوى شابه المخلوق. فهذا مبتدع؛ لا يكفر. لكن الفرق بينه وبين الأول: أنَّ الأول: ينكر الاستواء، ويقول: لم يستو على العرش، فهذا ـ كما سبق ـ كافر؛ لأنه مكذب لله، ومكذّب للقرآن، ومن كذَّب الله كفر. فالأشاعرة متأولون، ولهم شبهة، والمتأول لا يكفر.

س ١٢ ـ أحسن الله إليك. يقول: هل ثبت أن أبا الحسن الأشعري رجع عن قوله أم لا؟ وهل ترحم عليه شيخ الإسلام رحمه الله؟

ج ١٢ ـ نعم ثبت أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله رجع عن معتقد الأشاعرة. وأبو الحسن الأشعري له أطوار، فقد كان على مذهب المعتزلة وجالسهم مدةً طويلة، يقال: جالسهم أربعين سنة، ثم أعلن رجوعه، وجلس على منبر الجامع، وقال لهم: إني راجع عن مذهبي، وإني منخلع من الأقوال والآراء التي تذكرونها، كما أخلع هذا الثوب. وخلع ثوباً كان عليه، ثم صار إلى مذهب ابن كُلَّاب، وهو إثبات الصفات الذاتية، وتأويل الصفات الفعلية، ثم تحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كما يدلُّ على ذلك كتابه «الإبانة»، وهو آخر ما كتب، واسمه: «الإبانة في أصول الديانة»، وقال فيه: إنه على معتقد الإمام أحمد بن حنبل، وأثنى على الإمام أحمد، وترحَّم عليه، وترضَّىٰ عنه، وصرَّح بأنه: الإمام الكبير؛ والإمام المبجل؛ والإمام المفخم، رحمه الله ورضي عنه، وقال: نحن على مذهبه في كذا وكذا وكذا. وهذا تجدونه وتقرؤونه في كتابه: «الإبانة في أصول الديانة»، لكن بقيتْ عليه أشياء يسيرة؛ بسبب طول مكثه في المذهب الأول، وإلا في الجملة فقد رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة، لكن أتباعه بعضهم لم يرجعوا، بل استمروا على المذهب السابق.

س ١٣ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: لو ترشدونا إلى أفضل الكتب في أصول المعتزلة، والأشاعرة، والجهمية؟

ج ١٣ ـ لا ننصحك بأن تذهب إلى أصول الأشاعرة والمعتزلة، بل لا تقرأ فيها أصلاً، وننصحك بكتب أهل السنة والجماعة، أمَّا أصول المعتزلة، فمعروفة في كتب المعتزلة، وكتب الأشاعرة تجدها في بعض المكتبات، في دواليب خاصة، وكذلك مصنفات المعتزلة الذين يقولون بالأصول الخمسة، كالقاضي عبد الجبار المعتزلي. فلا ننصحك بقراءة كتبهم، ويكفي أن تعرف عن المعتزلة من كتب أهل السنة والجماعة، حينما يردون عليهم، ويبينون مذاهبهم الباطلة، فلا ننصح بالرجوع إلى كتبهم إلا لطالب علم، أو عالم يريد أن يرد عليهم، فلا بأس أن يرجع إلى كتبهم، أما طالب العلم المبتدئ، فلا ننصحه بالرجوع إلى كتب الأشاعرة، ولا كتب المعتزلة؛ لأنه قد يزل ويضل، وَتَعْلَق به شبهة، لا يستطيع الردّ عليها، ولا يجد لها دَفْعاً.

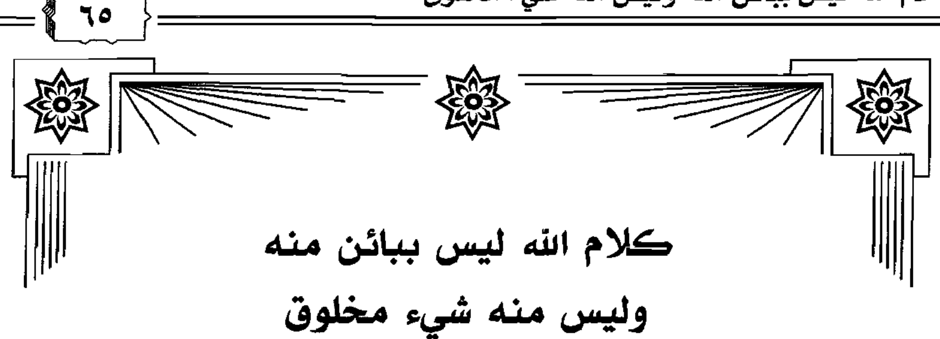
س ١٤ ـ أحسن الله إليكم. يقول السائل: ما هي الكتب التي تنصحونا بها فيما يتعلق بسيرة الصحابة ﭫ؟

ج ١٤ ـ سيرة الصحابة رضوان الله عليهم تأخذها من القرآن ومن السنة، فمن القرآن الكريم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]، وترجع أيضاً إلى سيرهم في كتب السنة كالصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ تجد فيهما مناقب الصحابة، كمناقب الصدِّيق، ومناقب عمر، ومناقب عثمان، ومناقب علي ﭬ، وكذلك تجد في مسند الإمام أحمد، وفي السنن الأربع، وكذلك في كتب السير، كسيرة ابن هشام، وهي من أمثل ما كتب في هذا الباب، وكذلك أيضاً: البداية والنهاية لابن كثير، فيها ذكرُ سير الصحابة، وكذلك العواصم من القواصم لابن العربي كتابٌ جيد، ذكر فيه ما حصل للصحابة، وكذلك مختصر

سيرة النبي ﷺ للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كتاب عظيم في سيرة النبي ﷺ وأصحابه، وكذلك مختصر السيرة لابنه عبد الله، وغير ذلك.







كلام الله ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوق

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أخذل فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق؛ وإنما هو كلام الله؟ فهذا صاحب بدعة، مثل من قال: هو مخلوق، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق.

الشَّرح

تقدمت بعضُ المباحث في القرآن، وبيان أنه كلام الله، وليس بمخلوق. فالقرآن كلام الله؛ وكلام الله صفة من صفاته، وصفات الله ليست ببائنة منه، وليست بمنفصلة عنه، فالله ﷻ بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق؛ ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن كلام الله»؛ يعني: ألفاظه وحروفه ومعانيه، كل ذلك كلام الله؛ لأن الكلام، اسم للحروف والمعاني، وهذا هو الصواب في مسمَّىٰ الكلام من حيث هو اسم للفظ وللحروف والمعاني، كما أن مسمَّىٰ الإنسان اسم للروح والجسد، وهو الصواب الذي عليه أهل اللغة، وعليه المحققون. وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، كما قرره الإمام أحمد بن حنبل؛ إمام أهل السنة والجماعة.

وقد تقدمت حكاية المذاهب الباطلة في كلام الله، والردّ عليهم، وأن الصواب: أن الله تعالى تكلم بهذا القرآن بحرف وصوت ولفظ، وسمعه منه

جبرائيل؛ فنزل به على قلب محمد ﷺ، كما قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، كما يقول الأشاعرة، الذين يزعمون أنَّ القرآن الذي يُتلى عبارة عن كلام الله، وهذا باطل كما سبق. ولهذا روى البخاري رحمه الله في «خلق أفعال العباد»[1] بسنده عن سفيان بن عيينة، قال: أدركتُ مشيختنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار، يقولون: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق، وفي رواية أبي سعيد الدارمي في الرد على الجهمية[2]، قال سفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار: أدركتُ أصحابَ النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج، وإليه يعود. وسنده صحيح. ومعنى: منه خرج: يعني: أنَّ الله هو الذي ابتدأ الكلام به، ومعنى: وإليه يعود؛ أي: في آخر الزمان، حينما يُرفع القرآن، وهو شرط من أشراط الساعة الكبار؛ وذلك: إذا ترك الناسُ العملَ به؛ نُزع القرآنُ من الصدور، ومن المصاحف، نسأل الله السلامة والعافية.

وروى البيهقي في الأسماء والصفات[3] من طريق ابن راهويه، أنه قال: «وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ: البدريين والمهاجرين والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة؛ لم يختلفوا في ذلك: أن القرآن كلام الله».

قال علي بن المديني: «القرآن كلام الله، ومن قال: إنه مخلوق: فهو كافر، لا يُصلى خلفه». وقولُ المؤلف رحمه الله: «ولا يضعف أن يقول ليس بمخلوق» هذا سبق شرحُه، ومعناهُ: أنه لا ينبغي للسني أن يضعف، بل عليه

(١) ص٢٩.
(٢) رقم (٣٤٤).
(٣) (١/٥٩٨).

أن يقول بصراحة وقوة، ويُعْلِنَ بالحق، ويقول عن اعتقادٍ جازمٍ: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولو كان بين أهل البدع؛ لأن بعض الناس قد يضعف إذا كان بين أهل البدع، وقد يستحي، ومثل هذا يقول له الإمام احمد: لا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه؛ يعني: لم يفارقه ولم ينتقل منه إلى غيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: «وليس منه شيء مخلوق»؛ يعني: من الرب. وقد تقدَّم شرح هذه الجملة.

يقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإياك ومناظرة من أخذل فيه»؛ يعني: لا تجادل أهل الباطل؛ لأن الجدال والخصومات قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فلا تجادل أهل البدع، وأبلغهم أن القرآن كلام الله، ولا تجادل في ذلك. قال أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في السنة: «سمعت أبي ـ يعني: الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مرةً أخرى سُئل عن القرآن؟ فقال: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بمخلوق، ولا تخاصموا، ولا تجالسوا من يخاصم»، هذا معنى قوله هنا: وإياك ومناظرة من أخذل فيه.

ثم قال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله؛ فهذا صاحب بدعة، مثل من قال: هو مخلوق. وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق». هنا ذكر طائفتين:

الطائفة الأولى: من تقول باللفظ، والطائفة الثانية: الواقفة، والطائفة الثالثة: من تقول: هو مخلوق؛ فتكون طوائف أهل البدع كالآتي: من قال: القرآن مخلوق. وهذا قول المعتزلة، وهؤلاء أهل بدعة، والطائفة الثانية: قالوا: المعنى ليس بمخلوق، واللفظ مخلوق، وهم الأشاعرة، والطائفة الثالثة: من تقول باللفظ، أي التي تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، والطائفة الرابعة: الواقفة كمن يقول: أنا لا أدري، ومتوقف، لا أقول: مخلوق، ولا غير مخلوق. وكل هؤلاء أهل بدع، فالذي يقول: القرآن مخلوق، هؤلاء هم المعتزلة، والذي يقول: اللفظ مخلوق، والقرآن هو المعنى؛ هؤلاء هم الأشاعرة، وهم أهل بدع، ومن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أيضاً مبتدع،

ومن يتوقف ويقول: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق؛ مبتدع أيضاً، ولهذا قال بعض السلف[١]: «الواقفة شر من اللفظية»، واللفظية هؤلاء: طائفة حدثت متأخرة؛ يقول أحدهم: لفظي بالقرآن مخلوق، وهؤلاء مبتدعة؛ لأنهم تكلموا بكلام لم يتكلم به أحدٌ من السلف، وطريقتهم مبتدعة، ابتدعها بعضُ أهل البدع؛ وحاولوا ترويجها. وقد عدهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من العلماء؛ من الجهمية.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في السنة[٢]: «سألت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ فقلت: إن قوماً يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق؟ قال: هم جهمية، وهم أشر ممن يقف، هذا قول جهم، وعظّم الأمر عنده في هذا، وقال هذا كلام جهم». وقد اشتهر عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع». هذه عبارة مشهورة عن الإمام أحمد.

ومقصوده ـ رحمه الله ـ: سد الباب من الجهتين، وقد قرر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح، أن أفعال العباد مخلوقة، ألفاظهم، وحروفهم، وأصواتهم، وأداؤهم، وحركاتهم؛ مخلوقة، وأما كلام الله فليس بمخلوق، ولهذا بوب رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك فقال: «باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وقراءتهم لا تجاوز حناجرهم»[٣]، واستدل بحديث: «**إن من ضئضئي هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم**»[٤]، وذكر أدلةً في هذا، وسرد أدلةً أخرى في كتاب «خلق أفعال العباد» وبيَّن أنَّ العبادَ مخلوقون، ومن ذلك: ألفاظهم، وأصواتهم، وحركاتهم، وأداؤهم، فظن بعضُ الناس أن هناك

(١) هو قتيبة بن سعيد كما في الشريعة للآجري ص٨٤.
(٢) (١/ ١٦٤)، (١٨٠).
(٣) كتاب التوحيد باب (٥٧).
(٤) حديث صحيح: وهذا جزء منه؛ أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٤)، وأبو داود (٤٧٦٤)، والنسائي (٢٥٧٧).

اختلافاً بين الإمامين؛ أي: بين الإمام أحمد، والإمام البخاري، وقالوا: إن البخاري، يقرر كلام اللفظية، أو مذهب اللفظية، حتى هجر جماعةٌ الإمامَ البخاري، وهجره محمد بن إبراهيم الذهلي، وقال: من جالس محمد بن إسماعيل بعدنا، فهو مبتدع.

وهجر طائفة من الناس الإمام البخاري، وقالوا: إنه مبتدع؛ لأنه تكلم باللفظ!! وقد بيَّن العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصواعق المرسلة» سبب هذه الفتنة التي حصلت في صفوف المحدثين، وأن هذه الفتنة حصل فيها لبس، وسببها أمران:

الأمر الأول: القول المجمل الذي قاله الإمام أحمد.

والقول الثاني: الحسد الذي أصاب بعض الناس؛ لأن الإمام البخاري هو إمام أهل السنة، إمامٌ رفع الله ذكره وأعلى قدره، وله جهود عظيمة في الحديث وفي علوم الحديث، ولو لم يكن إلا كتابه العظيم «الصحيح»، الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ لكفاه ذلك فخراً، وقد نشر الله صيته، فحسده بعض الناس، وتعلقوا بالقول المجمل عن الإمام أحمد، حينما قال: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع»، فقالوا: إن البخاري قرر أن الألفاظ مخلوقة؛ فهو مبتدع؛ وسبب ذلك ـ كما قلنا ـ: الحسد الذي أصابهم، مع تعلقهم بالشبهة التي حصلت، بسبب القول المجمل للإمام أحمد في هذه المسألة، والواقع أنه لا اختلاف بين الإمامين: أحمد والبخاري؛ إذْ كُلٌّ من الإمامين يقرر أن القرآن: لفظه، ومعناه، وحروفه، هو كلام الله، فاللفظ، والمعنى، والحروف، والأصوات: كلها صفة الله، وكُلٌّ من الإمامين يقرر أن العبد مخلوق، ومن ذلك: أفعاله، وحركاته، وكلامه، ولكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أجمل وسدَّ الباب؛ حتى لا يكون هناك طريق للمبتدعة، فقال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي؛ لأنَّ قائل هذا قد خالف قول السلف، فلا حاجة إلى التلفظ بهذه العبارة؛ فأنت مخلوق؛ لفظُكَ وغيرُ لفظِكَ، فلماذا تخصص اللفظ؟ فتخصيصك للفظ بدعة؛ قل: الإنسان مخلوق، بحركاته، وأفعاله، وأصواته، ومن ذلك: قراءتُه.

وأما كونك تخصص، وتقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فهذا بدعة، كما لو قال شخص: الفاتحة ليست مخلوقة، أو قال: البقرة ليست مخلوقة، أو السور المطولة ليست مخلوقة، نقول له: أنت مبتدع، القرآن ليس بمخلوق؛ فلماذا تخصص الفاتحة، وتخصص البقرة، ولماذا تخالف قول السلف؟ فقولك هذا بدعة. فكذلك إذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق، نقول له: أنت مبتدع؛ لأنك مخلوق بجميع أفعالك وحركاتك، فلماذا تخصص لفظك بالقرآن، وتخالف السلف.

وكذلك إذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق: فهو مبتدع؛ لأنه خالف أيضاً قول السلف. ومن العلماء من فسر كلام الإمام أحمد: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي»، قال: لأن كلمة اللفظ تطلق على الشيء الساقط، ولأنه يراد باللفظ: الملفوظ وهو القرآن، فإذا أُريد باللفظ: الملفوظ، وهو القرآن، صار هذا قول الجهمية، وكذلك من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق صار قوله مبتدَعاً؛ لأنه مخالفٌ لقول السلف.

وأما الإمام البخاري فإنه ميّز وَفَصَلَ بيْن ما قام بالرب من الكلام؛ الذي هو صفته، وليس بمخلوق، وما قام به العبد من الكلام، ومن ذلك قراءتُه للقرآن؛ الذي هو مخلوق؛ فلا اختلاف بين الإمامين: إماميْ أهل السنة: أحمد والبخاري ـ رحمهما الله ـ لأنهما متفقان وليسا بمختلفيْن، لكن الإمام أحمد سَدَّ البابَ وَأَجْمَل، والإمام البخاري فصل وميّز بين ما يقوم بالرب، وبين ما يقوم بالعباد، لكن الفتنة التي حصلت في صفوف المحدثين ـ كما سبق ـ سببها الحسد؛ فَحَسَدَ مَنْ حَسَدَ منهم الإمامَ البخاري؛ لمَّا رفعه الله، ونشر صيته. وأيضاً: بسبب ما حصل من الشبهة؛ حيث تعلقوا بالقول المجمل من الإمام أحمد، فالحاصل: أنَّ ما جرىٰ من الفتنة في صفوف المحدثين؛ مركبة من الحسد والشبهة التي حصلت من القول المجمل من الإمام أحمد، وإلا في الواقع؛ لا اختلاف بين الإمامين.

والواقفة: هم الذين قالوا: القرآن كلام الله ﷻ ولكن وقفوا، فقالوا: لا نقول: غير مخلوق، ولا نقول: مخلوق، قال عبد الله ابن الإمام أحمد في

كتابه «السنة»[1]: «سمعت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ سُئل عن الواقفة الذين يقفون يقولون: لا مخلوق ولا غير مخلوق، فقال أبي: من كان يخاصم ويرفض الكلام، فهو جهمي، ومن لا يرفض الكلام يُجَانَب حتى يرجع، ومن لا يكن له علم يسأل، وقال مرة: هم شر من الجهمية الواقفة».

وروى الآجري في الشريعة[2] عن أبي داود السجستاني قال: «سمعت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ سئل: هل له رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؛ يعني: لا يقول مخلوق ولا غير مخلوق؟ فقال: ولما يسكت، ولولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون».

فالواقفة مبتدعة، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن وقف فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله، فهذا صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق، لا فرق بينهما».

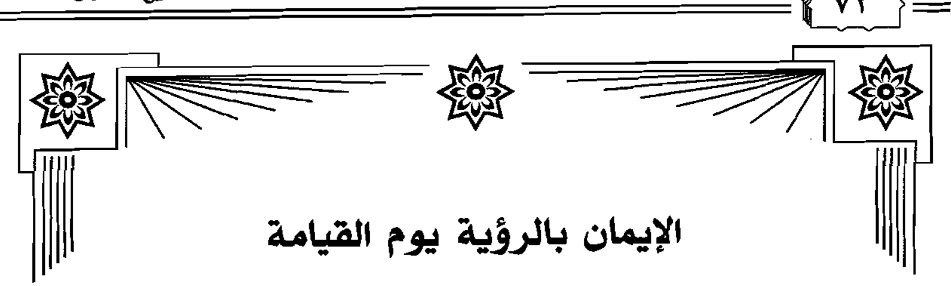
إذاً مَنْ قال: القرآن مخلوق؛ فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو مبتدع، ومن توقف وقال: لا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق؛ فهو مبتدع؛ مثل مَنْ قال: مخلوق. كما قال المُصَنِّف: «فهذا صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق».

والخلاصة في هذا الباب أن مذهب أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله؛ مُنزل غير مخلوق، وأن كلامه اسم للفظ والمعنى، والحروف، والأصوات، وأما الطوائف المبتدعة كالمعتزلة، فقالوا: القرآن لفظه ومعناه مخلوق، وقالت الأشاعرة: اللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق، وطائفة كأبي المعالي الجويني، قالوا: الكلام اسم للفظ دون المعنى، وهؤلاء أيضاً مبتدعة، واللفظية الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق: مبتدعة، والواقفة الذين يقولون: نتوقف لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق؛ مبتدعة أيضاً.



(١) رقم (٢٢٣).

(٢) ص٨٣.



الإيمان بالرؤية يوم القيامة

والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح، وأن النبي ﷺ قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيحاً، رواه قتادة، عن عكرمة عن ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس[(٢)] رضي الله عنهما ورواه علي بن

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤٠)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨١٧)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٧)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٤٤ ـ ٤٤٥)، كلهم عن أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الآجري في الشريعة (ص٤٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٤٤)، من طريقين عن حماد بن سلمة به. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٥)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٩٠٥)، عن طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى؛ والرؤية لمحمد ﷺ، وصحح الحديثَ الشيخُ الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٦).

(٢) حديث صحيح بما قبله: أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٧)، وابن خزيمة (٢٧٣، ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١١٦١٩) من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحكم بن أبان قال الحافظ في التقريب (صدوق).

وأخرج الترمذي (٣٢٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٩)، وابن خزيمة (٢٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٥٧)، والطبراني في الكبير (١٠٧٢٧)، والآجري في الشريعة (ص٤٩١) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس[١] ﵄ والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ.

الشَّرْحُ

سَبَق أنَّ الإيمان بالرؤية يوم القيامة ـ يعني: رؤيةَ المؤمنين لربهم يوم القيامة ـ هو من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول السنة عندهم. وقد جاءت الأحاديث أن المؤمنين يرون ربهم، كما يرون القمر ليلة البدر. فالمؤمن يرى ربه بعيني رأسه؛ ويراه من فوقه، كما في الحديث المتقدم، قال: (ترون ربكم كما ترون القمر) ونحن نرى القمر من فوقنا، فكذلك نرى الله من فوقنا. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي؛ أي: ليس تشبيهاً لله بالقمر؛ لأن الله لا يشبه أحداً من خلقه، والمعنىٰ: أنكم سَتَرَوْنَ ربكم رؤيةً واضحةً: من فوقكم، كما ترون القمر رؤية واضحة من فوقكم، وليس المراد: أن الله مثل القمر، تعالى الله عن ذلك.

وقد سَبَق أن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالنصوص من القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥] وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما ثبت ذلك في حديث صُهيب ﵁، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥] فيه دليلٌ على إثبات الرؤية. وأمَّا النصوص من السنة، فمتواترة كما ذكر العلامة ابن القيم في كتاب حادي الأرواح ـ كما تقدم ـ، وأنها مروية في

= وأخرجه بن أبي عاصم في السنة (٤٣٤)، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة به. ورواية سِماك عن عكرمة فيها اضطراب، وفيه أيضاً أسباط بن نصر، وهو كثير الخطأ.

(١) حديث صحيح بما قبله: أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٧٦٧)، وفيه علي بن زيد وهو ابن جُدعان؛ ضعيف، وفيه مبارك بن فضالة؛ فيه ضعف.

الصحاح، والسنن، والمسانيد، وأنه رواها نحو ثلاثين صحابياً، وفيها: أنهم يرون ربهم كما يرون القمر، وفيها قوله ﷺ: «**أنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**». ولهذا قال الإمام أحمد وغيره: من أنكر رؤية الله؛ فهو كافر.

فمن قال: إن الله لا يُرى في الآخرة؛ فهو كافر؛ لأنه مكذبٌ لله. والآياتُ القرآنيةُ صريحة في هذا؛ ولأنه مكذب للأحاديث المتواترة؛ ولهذا قال الإمام هنا: «والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح، وأن النبي ﷺ قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيح»(١).

والذين أنكروا الرؤية، هم الجهمية والمعتزلة، وتأوَّلوا نصوصَ الرؤية وقالوا: معنى الرؤية؛ العلم، وأنَّ المقصود بقوله: ترون ربكم كما ترون القمر؛ أي: تعلمون ربكم كما تعلمون القمر، فتعلمون أن لكم رباً، كما تعلمون أن القمر قمر، ففسَّروا الرؤية بالعلم! وهذا باطل. ثم إننا نقول لهم: فماذا تقولون في قوله: «**ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**»، أهذا علم أم رؤية بالبصر؟! لا شك أن قوله: «**ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**» صريحٌ في رؤية البصر.

وأما الأشاعرة ـ كما تقدَّم ـ فإنهم أثبتوا الرؤية، ونفوا الجهة، وقالوا: يُرى لكن في غير جهة؛ أي: بدون تحديد جهة! وهذا باطل. وأهل السنة أثبتوا الرؤية، وأثبتوا العلو، وقالوا: إن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم؛ لأنَّا نرى القمرَ مِن فوقنا.

وأما مسألة رؤية النبي ﷺ لربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيح، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي عاصم في السنة، وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ ربي** عز وجل»(٢)، ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس(٣) أيضاً؛ أخرجه ابنُ أبي عاصم في السنة، والترمذي، والنسائي،

(١) قد تقدم فيما قبله.
(٢) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٢).
(٣) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٣).

عن ابن عباس قال: «رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ـ سأل عكرمة ابن عباس ـ، أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فقال ابن عباس: «ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقال: أريه مرتين»[(١)]. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس؛ يعني: رؤية النبي ﷺ لربه مأثوراً[(٢)].

ولهذا قال الإمام: «والنبي ﷺ قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله صحيح، وفي حديث ابن عباس قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ، صحيح، رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما...». وفي الحديث الآخر: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»[(٣)] لكن هل هذه الرؤية بالبصر أم بالفؤاد، وهل هي يقظة أم مناماً؟

أَمَّا ليلة المعراج فإن النبي ﷺ لما أُسري به من مكة إلى بيت

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٣).

(٢) حديث صحيح بما قبله تقدم برقم (٧٤).

(٣) حديث صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد في المسند (١/٣٦٨)، من طريق عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس وقال أبو عيسى: (وقد ذكروا بين أبي قلابة وابن عباس في الحديث رجلاً وقد رواه قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس.
وقد رواه بهذا الإسناد الترمذي (٣٢٣٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٠٨)، وخالد بن اللجلاج قال الحافظ في التقريب: (صدوق فقيه) وقال البخاري سمع عمر، كما في التهذيب (١٧٣١)، وفي الباب عن عبد الرحمٰن بن عائش، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.
أخرجه أحمد في المسند (٤/٦٦) (٥/٣٧٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨، ٤٦٧، ٤٦٨)، والدارمي في سننه (٢١٤٩)، ففي رواية أحمد (أبو عامر هو عبد الملك بن عمرو القيس) ثقة كما في القريب (٤٣٢٣)، وزهير بن محمد التميمي وهو ضعيف كما في التقريب (٢١١٦).
وفي الباب عن أبي رافع، وعن أبي أمامة، ومعاذ بن جبل، وجابر بن سمرة، وثوبان، وأم الطفيل: امرأة أبي بن كعب، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣١٦٩).

المقدس[١]، عُرِجَ به إلى السماء، وجاوز السبع الطباق، ورأى في كل سماء أنبياء؛ رأى في السماء الأولى آدم، وفي الثانية يحيى، وعيسى؛ ابني الخالة، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، ثم جاوز السبع الطباق، حتى وصل إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، فكلمه الله وخاطبه من دون واسطة، وسمع كلامَ الله كما سمعه موسى، وَفَرَضَ ربُّ العزة والجلال عليه الصلاةَ خمسين صلاة، في ذلك المقام الأعلى، الذي يُسمع فيه صريف الأقلام، ثم نزل وبصحبة جبرائيل. فلمَّا هبط به جبرائيل مَرَّ على موسى في السماء السادسة، فسأله: ماذا فرض عليك ربك؟ قال: «**خمسين صلاة في اليوم والليلة**»، فقال: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك؛ فإن أمتك لا تطيق خمسين صلاة في اليوم والليلة، فرجع فاستشار جبريل فأشار إليه، وسأل ربه التخفيف حتى وضع عنه عشراً»، وفي بعض الروايات «أنه وضع خمساً»[٢] ثم رجع مرة أخرى، فأمره موسى أن يرجع، فجعل يتردد بين ربه وبين موسى؛ إذا وصل إلى موسى قال: اسأل ربك التخفيف فإنَّ أمتك لا تطيق أربعين صلاة، ثم صارتْ ثلاثين، فقال: أُمتك لا تطيق ثلاثين صلاة، ثم صارت عشرين فقال: لا تطيق عشرين صلاة، ثم صارت عشرة، فقال: لا تطيق عشرة، وفي بعض الروايات «**أنه في كل مرة يخفف عنه خمساً**»[٣]، حتى وصلت إلى خمس، فقال له موسىٰ لما خُففت إلى خمس، ماذا فرض عليك ربك؟ فقال محمد ﷺ: «**فرض خمس صلوات**»، فقال موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إني سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأُسَلّم،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٢٦٣)، والنسائي (٤٤٨)، وابن ماجه (١٣٩٩)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفي الباب عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، الإيمان.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٦٢).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٦٢).

فنادى مناد من السماء: أني أمضيتُ فريضتي، وخففتُ عن عبادي ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] هي خمس في العدد وخمسون في الميزان والأجر، الحسنة بعشر أمثالها». فلله الحمد. وهذا مثال النسخ قبل التكليف؛ حيث نسخ التكليف من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

فالإشكالُ والخلاف في: هل رأى محمدٌ رَبَّهُ ليلة المعراج؟ وأمَّا سماعه كلام الله؛ فهذا لا إشكال فيه، فقد سمع كلام الله من دون واسطة، كما سمع موسى كلام الله من دون واسطة، ولهذا سُمِّيَ موسى كليم الله؛ لأنه سمع كلام الله من دون واسطة، وشاركه نبينا في التكليم، فسمع كلام الله من دون واسطة، وإبراهيم خليل الرحمٰن، وشاركه نبينا في الخُلة، فيسمى أيضاً: خليل الرحمٰن، فالخليلان: إبراهيم، ومحمد، وكذلك الكليمان: موسىٰ ومحمد. بقيتْ مسألة الرؤية بعين الرأس، هل رأى الرسول ﷺ ربه بعين رأسه؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، وقالوا: هذا من خصوصياته، وأما غير النبي ﷺ فلم يره أحد بالاتفاق، لا موسى، ولا غيره؛ ولذا لما سأل موسى الرؤية، منعه الله، وقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: لا تستطيع؛ لأنك ما دمتَ في الدنيا، فإنك لا تتحمل ولا تثبت لهذا التجلي. ولهذا لم يثبت الجبل.

واستدلوا بما رُوي عن ابن عباس، أنه قال: رأى ربه، وفي رواية أخرى: أنه رآه بفؤاده، وكذلك استدلوا بما روي عن الإمام أحمد أنه قال: رأى ربه، وفي رواية أخرى: أنه رآه بفؤاده. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ.

والقول الثاني: أنه لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رآه بعين فؤاده، وهذا هو الصواب، وهو قول المحققين، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، وقول جمع من الصحابة، منهم: عائشة ﵂، فقد أنكرتْ على مسروق ـ مسروق التابعي ـ أنكرت عليه لَمَّا سألها، قال: هل رأى محمد ربه

بعيني رأسه ليلة المعراج؟ فقالت عائشة: لقد قفَّ شَعْري مما قلتَ، ثم قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ»، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1] [الشورى: ٥١] قالت: سمع كلامه من وراء حجاب.

وأجابوا عن استدلال من قال بالرؤية بما يلي:

فقالوا: أما ما رُوي عن ابن عباس من أنه رآه، فيُحمل على رؤية الفؤاد؛ بدليل الرواية الأخرى؛ قال: «رآه بفؤاده»، فالمطلق يُحمل على المقيد. وكذلك ما روي عن الإمام أحمد أنه قال: «رآه» يُحمل على قوله في الرواية الأخرى المقيدة «رآه بفؤاده». وهذا هو الصواب، أنه لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رآه بفؤاده.

ومن الأدلة على ذلك: ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ لما سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أَنَّىٰ أراه**»[2]؛ يعني: كيف أراه والنور حجاب يمنعني من رؤيته؟!.

والدليل الثاني: حديث أبي موسى الأشعري، عند مسلم أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور**»، وفي رواية أبي بكر: «**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[3]؛ يعني: أن الله تعالى يحتجب عن خلقه بالنور، لو كشف

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، واللفظ له، ومسلم (١٧٧) و(٢٨٩) الإيمان، والترمذي (٣٢٧٨)، وأحمد في المسند (٦/ ٤٩ ـ ٥٠)، عن عائشة ﵂.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٧٨) (٢٩١) الإيمان، والترمذي (٣٢٨٢)، وأحمد في المسند (٥/ ١٥٧)، عن أبي ذر ﵁.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٧٩) الإيمان، وابن ماجه (١٩٥، ١٩٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٥)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٩، ٢٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٦٦)، عن أبي موسى الأشعري ﵁.

هذا الحجاب؛ لاحترق الخلقُ كلهم، ومنهم محمد، أليس هو من خلقه؟ فلو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ومحمد من جملة خلقه؛ ولأن البشر لا يستطيعون أن يثبتوا لرؤية الله، ولا لتجلّي الله في الدنيا، بدليل أن موسى لما سمع كلام الله في الدنيا؛ طمع في رؤيته، وقال: رب سمعت كلامك ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فقال الله لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلما تجلى الله للجبل ماذا حصل؟ اندك وانساخ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: صعق وغشي عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] من غشيته ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣] بأنه لا يراك في الدنيا أحد، إلا مات، ولا جبل إلا تدهده. فلا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله في الدنيا، لكن في يوم القيامة ينشأ الناس تنشئة قوية، يثبتون فيها لرؤية الله، فيراه المؤمنون؛ ولأن رؤية الله نعيم ادخره الله لأهل الجنة، ليس لأهل الدنيا، بل أعظم نعيم يُعطاه أهل الجنة هو: رؤيتهم لربهم ﷻ. فإذا كشف الحجابَ ﷻ ورآه المؤمنون، نسوا ما هم فيه من النعيم، من عظمته. وهو الزيادة التي قال الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فمجموع ما تدل عليه هذه النصوص: أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رآه بعيني فؤاده. ومن العلماء من قال: جعل الله له عينين لفؤاده، وأما قول بعض العلماء: التكليم لموسى، والخلة لإبراهيم، والرؤية لمحمد، فهذا ليس بصحيح، بل التكليم لموسى، ولمحمد، والخلة لإبراهيم ولمحمد، والرؤية ليست لأحدٍ. هذا هو الصواب، والله أعلم.

ولهذا قال المؤلف رحمه الله: «والنبي ﷺ قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ». وأما قول النبي ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»[1] فهذه رؤيته في المنام، ورؤية الله في المنام حق أثبتها جميع الطوائف، كما قال

(١) حديث صحيح لغيره تقدم برقم (٧٥).

الشيخ، فجميعُ الطوائف تثبت رؤية الله في المنام إلا الجهمية، وهذا من شدة إنكارهم لرؤية الله في الآخرة، أنكروا رؤيته في المنام أيضاً.

والرؤية في المنام لا يلزم منها المشابهة، فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أن الإنسان يرى ربه على حسب معتقده، فإن كان اعتقاده سليماً، رأى ربه في صورة حسنة، وإن كان اعتقاده سيئاً، رأى ربه في صورة تناسب اعتقاده، ولا يلزم من ذلك التشبيه، ولما كان النبي ﷺ أصح الناس اعتقاداً قال: «**رأيت ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد! فقلت: لبيك ربي وسعديك، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمتُ ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد، فقلت: لبيك وسعديك قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: في الدرجات والكفارات، وفي نقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة...**»[(١)]. وشرح الحافظُ ابن رجب هذا الحديث في رسالة سماها شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.

هذا هو معنى قول المؤلف: «وأن النبي ﷺ قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيح، رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس[(٢)]، ورواه الحاكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس[(٣)] رضي الله عنهما ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس»[(٤)].

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: «والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ»؛ يعني: الأحاديث الواردة في هذا الباب، على ظاهرها في إثبات الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ فالحديث يُحمل على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء؛ على ظاهره، ولا نناظر فيه أحداً.

هذا الكلام يؤيد ما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وَما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ من

(١) حديث صحيح لغيره تقدم برقم (٧٥).
(٢) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٢).
(٣) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٣).
(٤) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٣).

أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لم يقل بأن الرسول قد رأى ربه بعيني رأسه، قال: إنما قال: والنبي ﷺ قد رأى ربه ـ رأى ربه مجملاً ـ؛ يعني: رأى ربه بفؤاده، لا بعين رأسه، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ وليس قول ابن عباس: أنه رآه، نقضاً لهذا، ولا قوله: رآه بفؤاده. وقد صح عنه أنه قال: «**رأيت ربي تبارك وتعالى**»[(١)]، فالأمر فيها، كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: الحديث على ظاهره.

فالأحاديث كلها تُجرى على ظاهرها، ولا يُتكلم فيها، والكلام الذي يخالف قول السلف ويخالف ظاهر الحديث؛ بدعة، نقول: إن الرسول رأى ربه، ونؤمن به كما جاء؛ على ظاهره، ولكن عند التحقيق: نبين أن النبي ﷺ ـ جمعاً بين النصوص ـ: لم ير ربه بعيني رأسه؛ ولهذا قال: «**نور أنى أراه**»[(٢)]. وقال: «**لو كشف** ـ أي: الحجاب ـ **لأحرقتْ سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[(٣)].

وقوله: «ولا نناظر فيه أحداً»؛ أي: لا نناظر ولا نجادل، وكما سبق: أن الجدال والخصومات في الدين منهي عنهما، لهذا قال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تخاصموا، ولا تجالسوا من يخاصم».



(١) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٧٢).
(٢) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٨٥).
(٣) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٨٦).





الإيمان بالميزان يوم القيامة

والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء، يوزن العبد يوم القيامة، فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به، والإعراض عَمَّن رد ذلك، وترك مجادلته.

الشَّرْحُ

من أصول السنة التي بيَّنها الإمام وقرَّرها: الإيمان بالميزان يوم القيامة، وأنه كما جاء في الأخبار: يُوزن العبد يوم القيامة، فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر أيضاً، والإيمان به والتصديق به واجبٌ، وكذلك: الإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته.

فأهل السنة يؤمنون بالميزان، وأنه ميزان حسي؛ توزن فيه أعمال العباد، وأنَّ له كفتين عظيمتين؛ الكفة الواحدة أعظم من أطباق السماوات والأرض، ولهذا جاء في الحديث: «**إن السماوات السبع والأراضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إلٰه إلا الله في كفة رجحت بهن لا إلٰه إلا الله**»[1].

لكن ما الذي يوزن في هذا الميزان؟ الجواب: توزن فيه الأعمال،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٨)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠، ١٨٦، ١٨٧)، واللفظ له، من طريق عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣٤)، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بسند ضعيف، قال: (لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إلٰه إلا الله في كفة، مالت بهم لا إلٰه إلا الله) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٧٠)، والطبراني في الدعاء (١٤٨٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٢١٨)، =

ويوزن الأشخاص، فتوزن الأعمال، فتكون الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فمن ثقلت موازينه: نجا وسعد، ومن خفت ميزان حسناته، وثقلت ميزان سيئاته: هَلَكَ، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١] وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٤].

فهذه الأدلة كلها تثبت الميزان، وأن الأعمال توزن، وأن الحسنات تكون في كفة، والسيئات في كفة، وأنه ميزان حسي حقيقي، وكذلك يوزن الأشخاص، ويكون ثقل الأشخاص وخفتهم، على حسب العمل، فإذا كان عمله حسناً: ثقل ولو كان خفيفاً؛ أي: ولو كان خفيف الوزن في الدنيا.

والدليل على أن صاحب العمل يُوزَن، ما ثبت عن النبي ﷺ، أنه كان جالساً وحوله بعض أصحابه، وأمَامَهم عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، فكشفت الريح عن ساقيْ عبد الله بن مسعود، فضحك الصحابة، فقال النبي ﷺ: «**مم تضحكون؟**»[1] قالوا: من دقة ساقيه يا رسول الله ـ وكان دقيق

= والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص١٠٢ ـ ١٠٣)، كلهم عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم، وَدَرَّاج في روايته عن أبي الهيثم ضعف كما في التقريب (١٨٣٣).

(١) حديث صحيح لغيره: أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، والطيالسي في مسنده (٣٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣١٠)، والطبراني في الكبير (٨٤٥٢، ٨٤٥٣، ٨٤٥٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٦٦)، كلهم من طريق زر بن حُبيش =

الساقين ـ، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد**»[(١)]. قال النبي ﷺ عن ساقيْ ابن مسعود الدقيقتين: «**لَهُمَا في الميزان أثقل من جبل أحد**»[(٢)]. فما الذي ثقلهما؟ العمل الصالح.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرؤا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾**»[(٣)] [الكهف: ١٠٥] وقال تعالى في الآيات التي قبلها، مبيِّنا أن ما أصابه بسبب عمله السيء: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ٩٩ ـ ١٠٤].

والأحاديث الصحيحة التي وردت في إثبات الميزان كثيرة ذكرنا طرفاً منها، يُضاف إليها: حديث النواس بن سمعان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الميزان بيد الرحمٰن يرفع قوماً ويخفض آخرين**»[(٤)]، رواه الإمام

= «أن عبد الله بن مسعود كان يحتز لرسول الله ﷺ سواكاً...». الحديث. وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٧٥٠).

وفي الباب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٤)، وأبو يعلى (١/ ٤٠٩، ٤٤٦)، والضياء (٢/ ٤٢١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٧، ٨٥١٦).

(١) حديث صحيح لغيره، تقدم فميا قبله.

(٢) حديث صحيح لغيره؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، وأحمد في المسند (٤/ ١٨٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٨٠)، والطبراني في الدعاء (١٢٦٢)، والآجري في الشريعة (ص٣١٧)، وابن حبان في صحيحه (٩٤١)، =

أحمد، وابن أبي عاصم في السنة وغيره، ومنها حديث سلمان الفارسي، قال: «**يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى**»[(١)]، قال: «**ويوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**»[(٢)].

ومن الأدلة على ثبوت الميزان ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[(٣)] وهذا آخر حديث في صحيح البخاري.

الشاهد: قوله: «**ثقيلتان في الميزان**»، فيه: إثبات الوزن.

ومن الأدلة أيضاً: حديث البطاقة، وهو حديث مشهور، رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، من طريق الليث بن سعد، وسند الحديث صحيح، وهو أرجى حديث لأهل المعاصي، ونص الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر سيئات، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتُخرج له**

= والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٧٤٧)، وفي الباب عن سَبْرة قاتك الأسدي عند الطبراني (٦٥٥٧)، وفي الباب عن نعيم بن همار عند البزار وغيرهما.

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٦)، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (٣٨٢)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٩٤١).

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٢)، عن أبي هريرة ﷺ.

بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فتوضع السجلات في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمٰن الرحيم»[1].

فلما ثقلت البطاقة: نجا، قال الله سبحانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف: ٨].

فهذا أرجى حديث لأهل المعاصي، وفيه إثبات الميزان. لكن كيف نجا هذا الرجل؟! أليس كل مسلم له مثل هذه البطاقة (أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)؟ فكل مسلم يشهد بذلك، وكثيرٌ من العصاة يعذب في النار، وله مثل هذه البطاقة، فلماذا نجا هذا الرجل دون غيره، مع أن كل شخص من المسلمين له مثل هذه البطاقة، ولو لم تعط له مثل هذه البطاقة ما صار مسلماً؟.

الجواب: أن هذه البطاقة التي فيها تلك الكلمات، قالها هذا الرجل عن إخلاص، وعن صدق وعن توبة، وقد يكون قالها عند الموت؛ عن توبة، وإخلاص، وصدق، فأحرقتْ الشبهات والشهوات، وأحرقت السيئات؛ لمَّا قالها عن إخلاص، وصدق؛ فامتلأ قلبه بمحبة الله، وامتلأ قلبه بحقائق الإيمان، ولم يقلها عن غفلة، وذهول، بخلاف غيره، فإنه قالها بإخلاصٍ؛ لكنَّه إخلاصٌ ضعيفٌ. فإذا قال الشخصُ: لا إلٰه إلا الله، وضعف الإخلاص؛ تأتي الشبهات والشهوات، فإذا قوي الإخلاص والتوحيد؛ فلا يمكن أن يصر الإنسان على معصية؛ ولذا طاشت السجلات، وثقلت البطاقة، لكن إذا ضعفت كلمة التوحيد؛ جاءت الشبهات والشهوات، فأصر على المعصية،

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد في المسند (٢/٢١٣)، وهو عند ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٧١)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٤٣٢١)، والحاكم في المستدرك (١/٥٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

ومات على الكبيرة، من غير توبة، فيُعذَّب، ويكون تحت مشيئة الله.

أما أهل البدع كالمعتزلة، فإنهم خالفوا أهل السنة والجماعة، وأنكروا الميزان، وقالوا: ليس هناك ميزان حسي له كفتان. وسبب إنكار المعتزلة للميزان؛ لأنهمْ يعتمدون على عقولهم، ولا يعتمدون على النصوص، بل يجعلونها وراءهم ظهرياً. فبسبب اعتمادهم على العقل، أنكروا كثيراً من الحقائق الغيبيّة، ومنها: الميزان، واستطراداً للفائدة. نذكر أصولهم الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتوحيد ستروا تحته معنى باطلاً؛ وهو: القول بنفي الصفات، وخلق القرآن، ونفي رؤية الله في الآخرة. والعدل: ستروا تحته: التكذيب بالقدر. والمنزلة بين المنزلتين: قالوا: بأن مرتكب الكبيرة، ليس بمسلم ولا كافر، بل في منزلةٍ بينهما، وحكموا بتخليده في النار. وإنفاذ الوعيد: قالوا: بنفي الشفاعة عن أهل المعاصي. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أجازوا الخروج على أئمة الجور بالسيف. أما العقل فقد قدَّموه على النصوص، وقالوا: إن العقل كاف في إقامة الحجة، وأما الكتاب والسنة فهما زائدان احتياطيان؛ بمثابة الشهود الزائدين على النِّصَاب، كما لو طلب القاضي شاهديْن، ثم أتيتَ بأربعة شهود، يأخذُ القاضي شاهدين، والباقي يكون احتياطاً. فذكرهم للكتاب والسّنّة هو على سبيل الاحتياط؛ لأن العقل عندهم كاف، ولهذا يقولون أيضاً: مثل الكتاب والسنة بالنسبة للعقل، كمثل المدد اللاحق بجيش؛ والجيشُ مستغن عنه! حتى غلا بعض المعتزلة في العقل، وقالوا في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥] قالوا: الرسول: العقل.

ومن هذا المبدأ أنكروا الميزان الحسي، وقالوا: ليس هناك ميزان حسي أبداً، وإنما النصوص التي فيها إثبات الميزان المراد بها: العدل، والله لا يحتاج إلى الميزان!! فانظر إلى سخافة عقول هؤلاء!! قالوا: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفوَّال، فالذي يحتاج إلى ميزان هو الذي يزن، أما الرب فلا يحتاج إلى ميزان؛ لأنه يعدل بين عباده بدون ميزان!! أرأيتم كيف قابلوا

النصوص بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وكذبوا بالنصوص التي فيها إثبات المَيزان الحسي؟!.

وعنى المؤلفُ بقوله: «والإعراض عَمَّن ردَّ ذلك، وترك مجادلته» المعتزلَة الذين ردوا النصوص، وأشار إلى ترك مجادلتهم، ولكن نبيّن لهم النصوص؛ فإن قبلوها؛ فالحمد لله، وإن تركوها؛ فلا نجادلهم.







الله يكلم العباد يوم القيامة

وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان.



قال: من أصول السنة: الإيمان بأن الله تعالى يكلم العباد يوم القيامة؛ ليس بينهم وبينه ترجمان. والترجمان: الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة؛ يقال له: ترجمان. ومترجم. فالإمام رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إن من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول السنة: الإيمان بأن الله يكلم العباد يوم القيامة؛ ليس بينهم وبينه ترجمان؛ أي: يكلّمهم بلا حجاب. وهذا تصديقاً للحديث الصحيح الذي رواه البخاري، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»[١].

وجاء في الحديث الآخر: «**يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه**»[٢]؛ أي: يستره عن الناس؛ فلا يفتضح، ـ وهذا من ستر الله على المؤمن ـ، «**فيذكِّره ببعض غدراته في الدنيا، ويقول له: ألم تفعل كذا؟ ألم**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٩،٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٥٦)، وابن عاصم في السنة (٦٠٦)، مختصراً، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٣). عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، واللفظ له، وابن ماجه (١٨٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٧٤، ١٠٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٥)، وابن حبان (٧٣٥٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تفعل كذا؟ ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: يا رب ألم تغفرها لي؟ فيقول الرب: بلى؛ بمغفرتي بلغت منزلتك هذه».

وجاء في الحديث الآخر[1]: ولفظه: عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول: رب! قد عملت أشياء لا أراها هنا**»، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، واللفظ للإمام مسلم.

فهذا فيه إثبات أن الله تعالى يكلم العباد يوم القيامة، وفيه إثبات البعث والجزاء والحساب، ومن كذب بالبعث أو كذب بيوم القيامة؛ فهو كافر بنص القرآن وبالإجماع، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

فائدة في معنى الترجمان: هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة، يقال: تَرْجَمان؛ بفتح التاء والجيم، والوجه الثاني: تُرْجُمان بضم التاء والجيم، وقيل: فيها أيضاً وجه ثالث وهي: تُرْجَمان بضم التاء وفتح الجيم، وعلى هذا فلا يُغَلَّط أحدٌ إذا قال: تَرْجَمان، أو تُرْجُمان، أو تُرْجَمان فهي؛ ثلاث لغات مشهورة.

والمعنى ـ كما تقدم ـ: أن الله تعالى يكلّم العبادَ بدون واسطة، ولا حجاب. فلا بد من الإيمان بذلك؛ لأن هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصولهم الاعتقادية.

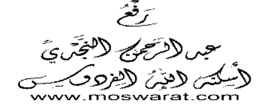
---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٠)، (٣١٥) الإيمان، والترمذي (٢٥٩٦)، وأحمد في المسند (٥/ ١٥٧)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٦٩، ١٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٥).

وكما مضىٰ: فإن تلك الأحاديث فيها: إثبات البعث والجزاء، والحساب؛ ومعلوم أن إثبات البعث، والجزاء، والحساب، من أصول الإيمان الستة، وأن من كَذَّبَ بذلك: كَفَرَ، وقد أمر الله نبيّه أن يقسم على البعث والساعة في ثلاثة مواضع، قال ـ سبحانه ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] أقسم على البعث، وَكَفَّر من أَنْكَرَهُ. وقال سبحانه: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ [يونس: ٥٣]؛ يعني: البعث ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس: ٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سبأ: ٣].

فهذه ثلاثة مواضع أمر الله فيها نبيه أن يقسم على البعث، والقيامة، والساعة. فهذا أصل من أصول الإيمان، فمن كَذَّبَ بالبعث، أو بالجزاء، أو الحساب يوم القيامة، أو بالجنة أو بالنار: فهو كافر؛ لأنه مُكَذِّبٌ لله؛ ومن كَذَّب الله: كَفَرَ.







الإيمان بالحوض

والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته، عَرْضُه مثل طوله، مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار من غير وجهٍ.

[الشَّرْح]

من أصول السنة: الإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة، تَرِدُ عليه أمته، عَرْضُهُ مثل طُوله؛ مسيرة شهر، فعرضه مسيرة شهر، وطوله مسيرة شهر، وآنيته كعدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار من غير وجه، فالإيمان بالحوض من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول السنة. وهذا الحوض الذي لنبينا ﷺ في موقف القيامة؛ يَصُبُّ فيه ميزابان من نهر الكوثر؛ من الجنة، فالحوض في الأرض في موقف القيامة، والجنة فوق، يصب في الحوض ميزابان من الجنة، هذا الحوض كما ذكر المؤلف رحمه الله، جاءت النصوص بوصفه، كالآتي:

أولاً: أَنَّهُ يكون في موقف يوم القيامة.

ثانياً: أنه تَرِدُ عليه أمته؛ للشرب.

ثالثاً: عَرْضَه مثل طوله؛ فطوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر.

رابعاً: آنيته؛ يعني: الكيزان، وهي: الأواني التي يُشرب فيها، عدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

وجاء أيضاً في وصفه: أنه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل،

وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، وأن من شرب منه، فإنه لا يظمأ حتى يدخل الجنة. نسأل الله الكريم من فضله.

وروى الشيخان: البخاري، ومسلم، من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**»(١). وقد جاء وصف الحوض في أحاديث كثيرة، وجاء في بعض الأحاديث بيان مسافته، وأن طوله «**ما بين صنعاء إلى المدينة**»(٢)، وفي بعضها ما بين «**أيلة إلى مكة**»(٣)، وفي بعضها «**ما بين جرباء وأذرح**»(٤). وقد اختلف العلماء في هذا؛ قال بعضهم: يُجمع بينهما: بأن المسافة القصيرة للعرض، والمسافة الطويلة للطول، وقال بعضهم: إن هذا يختلف باختلاف السير، وأن المسافة الطويلة إذا كان للجاد في السير، والمسافة القليلة لغير الجاد في السير.

وأنكرت الخوارج والمعتزلة الحوضَ، مع أن الأحاديث فيه متواترة، وهذا من جهلهم وضلالهم، ولهذا قال العلماء، ومنهم الطحاوي في عقيدته: «حري بمن أنكر الحوض أن يُحرم منه يوم القيامة؛ جزاءً وعقوبة»؛ أي: أخْلق بمن أنكره أن لا يَرِدَ عليه.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٢٨)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٥٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٠٣)، وابن ماجه (٤٣٠٤)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٠)، والطيالسي (١٩٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٥١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
وفي الباب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣، ١٩٩)، من طريق عبد الرزاق، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٨٥٢).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٤٥، ٣٨٤)، والآجري في الشريعة (٣٥٧)، والطبراني في الأوسط (٧٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٤٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٤)، وقال رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً، وفي إسناد المرفوع ابن لهيعة، ورجال الموقوف رجال الصحيح.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩)، وأبو داود (٤٧٤٥)، وأحمد في المسند (٢/ ١٢٥، ١٣٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٥٣).

إذاً: فقد أنكر طوائف من أهل البدع الحوضَ، كالخوارج والمعتزلة، وأنكروا الميزان، وأنكروا الشفاعة أي: خروج العصاة من النار بالشفاعة، وقالوا: إنهم يجب تخليدهم في النار ولا يخرجون منها!! وهذا من جهلهم وضلالهم، مع أن النصوص في هذا متواترة؛ أي: نصوص الحوض متواترة، ونصوص الميزان كذلك، ونصوص الشفاعة كذلك، ومع هذا أنكرها هؤلاء: لجهلهم وضلالهم.

فهذا الحوض الذي لنبينا محمد ﷺ تَرِدُ عليه أمته يوم القيامة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً**»[١]. والفرط: هو الذي يتقدم القومَ، ويستقبلهم، ويُعد لهم الضيافة، فهو ﷺ يقول: «**أنا فرطكم؛ أستقبلكم، وأتقدمكم، وأنتظر مجيئكم**».

وثبت في الأحاديث الصحيحة أنه يرد على الحوض أناسٌ من هذه الأمة، قد غيّروا وبدّلوا، فيذادون كما تذاد الإبل العطاش، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم**»[٢]، وفي لفظ: «**حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب أصحابي أصحابي**»[٣] وفي لفظ: «**فأقول: أصحابي أصحابي**»[٤] وفي لفظ: «**فأقول: يا رب أصيحابي أصيحابي**»[٥] ـ تصغير أصحابي ـ فيقال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٦]، وفي لفظ: «**إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ**

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠)، واللفظ له، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠)، واللفظ له.
(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، واللفظ له من طريق عبد الله بن مسعود، وفي مسلم (٢٣٠٤)، عن أنس رضي الله عنه.
(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧)، واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٥) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤)، واللفظ له عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٦) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١١٢).

فارقتهم»(١). قال النبي ﷺ: «**فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن بدل بعدي**»(٢)؛ يعني: بُعداً وبُعداً.

قال العلماء: إن هؤلاء الذين يذادون، هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وهم الأعراب الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم، أمّا الصحابة رضوان الله عليهم، الذين رسخ الإيمانُ في قلوبهم، والذين جاهدوا مع النبي ﷺ، ولازموه، فَثَبَّتَهُمُ اللهُ، وإنما هذه الردة حصلت من بعض الأعراب الذين رأوا النبي ﷺ ولم يلازموه، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم؛ فارتدوا.

وفيه من الفوائد: أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب؛ لأنه قال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»(٣)، فلو كان يعلم الغيب لَعَلِمَ بذلك، وفيه: الرد على الغلاة الذين عبدوا النبي ﷺ وقالوا إنه يعلم الغيب، ومنهم طوائف رفعوا النبي ﷺ إلى مقام العبودية؛ كالبريلويّة في الهند، فإنهم يقولون: إن الرسول يعلم الغيب، وهم طائفة كافرة، قد كتب فيهم بعض الإخوان رسالةً في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود، بيَّنَ كفرهم وضلالهم.

وفيه دليل على ضعف الحديث الذي ورد أن النبي ﷺ قال: «**تُعْرَضُ عَلَيَّ أعمالكم فما رأيتُ من خير حمدتُ الله عليه، وما رأيتُ من شر استغفرت الله لكم**(٤)» هذا حديث ضعيف؛ يَرُدُّهُ هذا الحديث الصحيح؛ لأنه لو كانت تعرض عليه أعمال أمته، ولو كان يعلم الغيب؛ لعلم بهؤلاء وبحالهم، ولم يقل له: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»(٥)، فهذا دليلٌ على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يعلم الغيب.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)، واللفظ له، والترمذي (٢٤٢٣، ٣١٦٧)، والنسائي (٢٠٨١، ٢٠٨٦)،وأحمد في المسند (١/ ٢٣٥، ٢٥٣) والدارمي (٢/ ٣٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٩٩١).

(٣) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١١٢).

(٤) حديث ضعيف جداً: رواه البزار في مسنده، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧٥).

(٥) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١١٢).

وهل الحوض خاص بنبينا ﷺ أو لكل نبي حوض؟!

ورد في الترمذي وغيره: «**أن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده**»[1]، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

وهل الحوض قبل الصراط أو بعد الميزان؟

نقولُ: الأمور التي تكون يوم القيامة:

أولها: نفخ الصور، وذلك حين يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، نفخةَ الصعق والموت، فيموت الناس، وهذا هو ابتداء يوم القيامة من النفخ في الصور.

والصور قرن عظيم يلتقمه إسرافيل فينفخ فيه نفخة طويلة يطوّلها؛ فيفزع الناسُ ـ أولها فزع وآخرها صعق وموت ـ، فلا يسمع أحدُ الصوت إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، هكذا يتسمع الصوتَ يميناً وشمالاً، والليت صفحة العنق، فلا يزال الصوت يقوى ويقوى ويقوى حتى يموت الناس. فأولها فزع، وآخرها صعق وموت، كما قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] وفي سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

ثم يمكث الناس أربعين، وينزل اللهُ مطراً تنبت منه أجساد الناس، وينشئ الله الناس نشأة قوية؛ تُعادُ فيه الذرات التي استحالت تراباً، والإنسان يبلى إلا عجب الذنب، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خُلق وفيه يُركب**»[2]، وعجب الذنب هو العصعص؛ عظم صغيرٌ، وهو آخر فقرة من العمود الفقري. فهذا الجزءُ لا يبلى، وأما بقية الجسد فإنه يبلى ويستحيل تراباً فيعيده الله خلقاً

(١) حديث حسن لغيره: أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، واللفظ له، والطبراني في الكبير (٦٨٨١)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٥٨٩)، ولمزيد من البحث انظر الكلام على الحديث هناك.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٥)، واللفظ له، وأبو داود (٤٧٤٣)، والنسائي (٤/ ١١١ ـ ١١٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٢ ـ ٤٢٨)، عن أبي هريرة ﷺ.

جديداً؛ يعيد الله الذرات التي استحالت؛ لأن الله عالم وقادر كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]، وقال: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: ٤]. فيعيدها خلقاً جديداً، فيكون الإنسان هو نفسه، وذاتُه هي هي، لكن الله ينشئه تنشئة قوية، فتعاد الذرات التي استحالت، وينشأ الناس تنشئة قوية.

فإذا تكامل خلقهم أَذِنَ اللهُ لإسرافيل فنفخ في الصور النفخة الثانية، وهي: نفخة الحياة. فالأُولى: نفخةُ الموت والصعق. فتعود الأرواح إلى أجسادها؛ لأن الأرواح باقية إما في نعيم أو في عذاب؛ لأنَّ روح المؤمن إذا خرجت منه تُنقل إلى الجنة؛ تنعم فيه ولها صلة بالجسد، وروح الكافر تُنقل إلى النار، ولها صلة بالجسد، كما سبق، وفي الحديث: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة**»[(١)]؛ أي: تأخذ شكل طائر.

فإذا أذن الله لإسرافيل بالنفخ في الصور، فنفخ في الصور: تطايرت الأرواح إلى أجسادها، فدخلت كلُّ روح في جسدها، فيقوم الناس ينفضون التراب عن رؤوسهم، حفاةً لا نِعال عليهم، عراةً لا ثياب عليهم، غرلاً غير مختونين، «**وأول من يُكسى إبرَاهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ**»[(٢)]، بثياب من الجنة.

ثم النفخة الثانية: نفخة البعث، قال بعض العلماء: هي ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة الموت، لكن هذا جاء في حديث

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٢)،واللفظ له وابن ماجه (١٤٤٩،٤٢٧١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥)، ومالك في الموطأ (٨٢٠)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٥٦) وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). ولمزيد من البحث راجع السلسلة الصحيحة (٩٩٥)، وصححه الشيخ الألباني بطرقه وشواهده من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٣٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٠)، والترمذي (٣١٦٧،٢٤٢٣)، والنسائي (٤/ ١١٧)، وأحمد في المسند (١/ ٢٣٥، ٢٥٣)، والدارمي (٢/ ٣٢٦)، وغيرهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ضعيف في سنده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف. والصواب أنهما نفختان، لكن النفخة الأولى طويلة، يطوّلها إسرافيلُ؛ أولها فزعٌ، وآخرها موت وصعق، ثم النفخة الثانية. والله تعالى ـ كما قلنا ـ يعيد الذرات التي استحالت. وقال الجهم بن صفوان: إن الذي يُعاد ويبعثه اللهُ، يكون شخصاً آخر، وجسداً آخر!! وهذا باطل؛ لأنه يلزم على قوله، أن الله يعذب جسداً لم يعصه، ولما قال الجهم بن صفوان: إن الذي يعاد جسد آخر؛ أنكر ابنُ سينا البعث؛ فقال: لا تعاد الأجساد إنما التي تُعاده الروح، وهذا كفر. وقد قرر ابن سينا هذا في رسالته الأضحوية؛ فَكَفَرَ بذلك؛ لأن التكذيب بالبعث كُفْرٌ بنص القرآن، وإجماع المسلمين، كما سبقت الآيات بذلك. فمن أنكر بعث الأجساد؛ فهو كافر. والفلاسفة يقولون بِبَعْثِ الأرواح لا الأجساد؛ فكفروا بذلك. فالحاصل: أن البعث للأجساد، أما الأرواح فهي باقية إما في نعيم، أو في عذاب.

فأول أَمْرٍ من أمور الآخرة: النفخ في الصور ـ نفخة الصعق، ثم نفخة البعث ـ، ثم بعث الأجساد، ثم الوقوف بين يدي الله للحساب؛ يقف الناس وتدنو الشمس من رؤوسهم، ويُزاد في حرارتها حتى يلجمهم العرق على حسب الأعمال، فمنهم من يلجمه العرقُ إلى ركبتيه، أو إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرقُ إلجاماً، ومنهم من يذهب عرقه مسافاتٍ في الأرض، ثم تكون الشفاعة بعدما يفزع الناس إلى الأنبياء، ويتأخر عنها آدمُ، وأولو العزم: نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فيشفع النبي ﷺ للناس.

هذه هي الشفاعة العظمى في موقف القيامة، وهي المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخِرون، وهذه الشفاعة للمؤمن والكافر ـ لجميع الأمم ـ وهي إراحةُ الناس من الموقف، فيحاسبهم الله كلهم في وقت واحد، لا يلهيه شأن عن شأن؛ لأنه الخالق ﷻ، أما المخلوق الضعيف فلا يستطيع أن يكلم اثنين في وقت واحد، أو ثلاثة، لكن الخالق يحاسبهم في وقت واحد، كما أنه يخلقهم ويرزقهم في وقت واحد، ويفرغ منهم في قدر منتصف النهار، ففي

هذا المقدار من الوقت، ينتهي من حسابهم حتى يصل أهل الجنة إلى الجنة، ويصلونها في وقت القيلولة قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤].

ثم بعد ذلك تتطاير الصحف، فآخذٌ صحيفته بيده اليمنى؛ مستبشراً، وكل من لقيه يريه إيَّاها، يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] ومعنىٰ ظننتُ: تيقنتُ؛ فالظن يعني اليقين هنا. ثم قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٤]. نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وأما الصنف الثاني وهم أصحاب الشمال فيُعطىٰ كل واحد منهم صحيفته بيده الشمال؛ ملوية وراء ظهره؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥] فإنه سيندم أشد الندم ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٩] قال الله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢]. ثم ذكر تعالىٰ أعماله الخبيثة التي استحق بها دخول النار، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحاقة: ٣٣]؛ أي: ينكر البعث ولا يؤمن به، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ قال الله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٤ ـ ٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٢]. فيعطى كتابه بشماله، ملوية وراء ظهره ـ نعوذ بالله من ذلك ـ. إذاً: فترتيب أمور الآخرة كالآتي: نفخة الصعق والموت، ثم نفخة البعث، ثم بعث الأجساد، ثم الوقوف بين يدي الله للحساب، ثم أخذ الكتب بالأيمان وبالشمائل، ثم بعد ذلك الورود على الحوض؛ يَرِدُهُ الناسُ، وهذا هو الصحيح؛ لأن المعنى يقتضي هذا قبل الميزان.

وقال بعض العلماء: وزن الأعمال يكون قبل الورود على الحوض، والصواب أن الحوض قبل الميزان، لأمرين:

الأمر الأول: أن الناس يَرِدُون عطشى؛ فيناسب ذلك ورودهم على الحوض أوّلاً.

والأمر الثاني: أنه ثبت في الحديث الصحيح[١] أنه يُطرد قوم ويذادون عن الحوض، ولو كان الورود على الحوض بعد الوزن؛ لعرف الذين خف ميزانهم أنهم لا يَرِدُون على الحوض، فَلَمَّا وردوا على الحوض وطُردوا؛ دلَّ على أنه قبل الميزان. ثم بعد الحوض يكون وزن الأعمال، ثم المرور على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم، ثم الجنة أو النار. هذا الترتيب الصحيح: نفخة الصعق، ثم نفخة البعث، ثم البعث وهو النشر ـ نشر العباد ـ، ثم الحشر، ثم الشفاعة ـ الشفاعة العظمى ـ ثم أخذ الكتاب بالأيمان وبالشمائل، ثم الورود على الحوض، ثم وزن الأعمال، ثم المرور على الصراط، ثم الجنة أو النار؛ عشرة أشياء.

وقال بعض العلماء: وزن الأعمال قبل الورود على الحوض، والصواب كما سبق: أن الحوض قَبْلُ. وقال آخرون: الورود على الصراط قبل الحوض. واستدلوا ببعض النصوص منها: عن أنس قال: سألت نبي الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**أطلبني أول ما تطلبني على الصراط**» قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فأني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**»[٢].

قال بعض العلماء: إن الناس يمرون على الصراط، ثم بعد تجاوز الصراط يردون على الحوض، وهذا مرجوح، والصواب أن الورود على الحوض قبل الصراط؛ لأنه لو كان الورود على الحوض بعد الصراط، لكان الحوض بعد الصراط، والصراط منصوب على متن جهنم، والحوض يصب فيه

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١٢١).

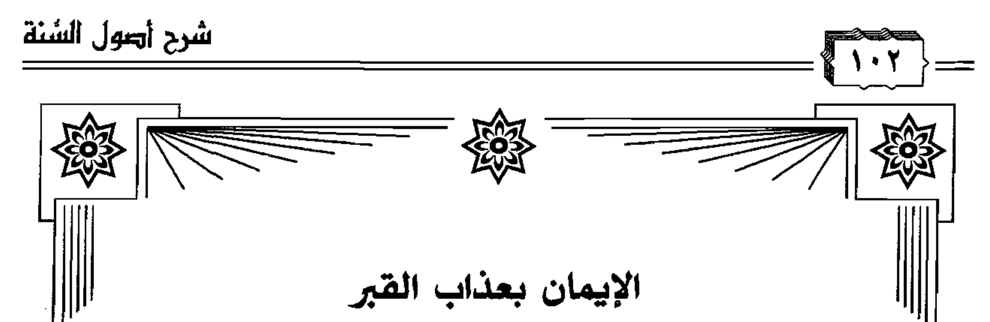
(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ١٧٨)، وصححه الشيخ الألباني (٢٦٣٠). في السلسلة الصحيحة.

ميزابان من نهر الجنة، فتكون النار تحول بين الميزابين اللذين يصبان في الحوض. فلو كان بعد المرور على الصراط ـ والصراط منصوب على متن جهنم، والحوض بعد ذلك ـ: لصارت النار تحول بين الحوض وبين الميزابين اللذين يصبان فيه.

وقال بعض العلماء: إن الحوض طويل؛ فالناس يمرون على الصراط، ثم إذا انتهوا من الصراط، ظَهَرَ لهم طرفُ الحوض، وقال آخرون: إنهم يردون على الحوض بعد الصراط، وقبل الصراط، وكل هذه أقوال ضعيفة؛ لأن الحوض في موقف القيامة، والصراط منصوب على متن جهنم، ومن تجاوزه وصل إلى الجنة، ولا يرجع مرة أخرى إلى الموقف.

وهناك قنطرة يحاسب فيها المؤمنون، ثم يدخلون الجنة، فلا يرجعون مرة أخرى إلى الحوض؛ لأن الحوض في الموقف، فدل على أن الحوض قبل الصراط، هذا هو الصواب في الترتيب، والله أعلم.





الإيمان بعذاب القبر

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ: «والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتتن في قبورها وتُسأل عن الإيمان، والإسلام، ومن ربه، ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله ﷻ، وكيف أراد. والإيمان به والتصديق به».

الشَّرْحُ

من أصول أهل السنة: كما قرر الإمام أحمد في هذه الرسالة: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، على ما صحت به الأخبار.

وقد دلت النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ على إثبات عذاب القبر ونعيمه؛ من ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]. فهذا اليوم الذي يكون فيه العذاب؛ عند خروج الروح. وهذا فيه إثبات عذاب القبر.

ومن الأدلة: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]؛ أي: يضربون وجوههم وأدبارهم بعد خروج الروح، وهذا عذاب من عذاب القبر. وقال سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

قيل: المراد بالعذاب الأدنى: عذاب القبر، وبالعذاب الأكبر هو عذاب يوم القيامة، وقيل: المراد بالعذاب الأدنى: ما أصاب الكفار من القتل والأسر يوم بدر، وقيل: العذاب الأدنى هو عذاب القبر.

ومن الأدلة على عذاب القبر ـ وهو من الأدلة الصريحة الواضحة ـ قول الله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] إذاً هذا العرض يكون قبل قيام الساعة؛ لأنه قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] بعدما ذكر الله قصة المؤمن من آل فرعون الذي قال فيه: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: ٤٥] فوقاه الله؛ يعني: الرجل المؤمن من آل فرعون، وقال بعد ذلك: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦] فهذا العرض يكون في القبر، والدليل: أنه قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] إذاً: العرضُ على النار يكون قبل قيام الساعة، غدواً وعشياً، ويوم تقوم الساعة يقال لهم: أدخِلوا آل فرعون أشد العذاب. فهذا صريح في إثبات عذاب القبر، وأنهم يعذبون غدوّاً وعشيّاً.

ومن الأدلة أيضاً على نعيم القبر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]. فالمؤمن يُبَشَّر بثلاث بشارات: عند خروج الروح، تبشرهم الملائكة وتتنزل عليهم، وتقول لهم: لا تخافوا من المستقبل، ولا تخافوا من أهوال يوم القيامة، ولا تخافوا من الشدائد، ولا تخافوا من عذاب القبر، ولا تخافوا من عذاب النار؛ تُؤَمِّنُ رَوْعَهُمْ الملائكةُ؛ تؤمِّن رَوْع من قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ يعني: مَنْ قالوا: ربنا وإلٰهنا ومعبودنا بالحق؛ هو الله ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ بالعمل، فـ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]. هذه البشارة الأولى.

والبشارة الثانية في قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]؛ أي: على ما خلفتم من أموال وأولاد، فنحن نخلفكم في ذلك كله.

والبشارة الثالثة في قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠]. فهذه الآية وغيرها؛ من أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه في القرآن. ووردت في السنة أيضاً أحاديث كثيرة، منها في الصحيحين وغيرهما؛ وهو ما رواه البخاري ومسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يُعذَّبُون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ـ ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ـ ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: «**صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم**»، ثم قالت: «فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[1].

ومن الأدلة ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[2] وهذا حديث ثابت في الصحيحين وغيرهما. فالنبي ﷺ أمر أن يُتعوذ في التشهد الأخير من أربع، فإذا تشهد أحدنا وصلى على النبي ﷺ، فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال)، وهذا عند جمهور العلماء، سُنّة مستحبة مؤكدة، والواجب هو التشهد: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله اللهم صلِّ على محمد. . .) وأما الدعاء، فهو مستحب.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦)، واللفظ له، والنسائي (٢٠٦٥).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، واللفظ له، والترمذي (٣٦٠٤)، والنسائي (٨/ ٢٧٥، ٢٧٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٥٢٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وذهب بعض العلماء، كطاوس بن كيسان اليماني ـ من التابعين ـ إلى وجوب التعوذ بالله من هذه الأربع. وثبت عنه أنه قال لابنه مرة لمَّا صلى: هل استعذت بالله من أربع؟ قال: لا، قال: أعدْ صلاتَك؛ أَمَرَهُ أن يعيد الصلاة، فدل على أنه يرى وجوب التعوذ بالله من هذه الأربع، ولكن جمهور العلماء على أنه ليس بواجب وإنما هو مستحب. والشاهد قوله: «**ومن عذاب القبر**» وهو صريحٌ في إثبات عذاب القبر.

ومن ذلك: حديث البراء بن عازب المشهور الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمَّا يلحد، فجلس رسول ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**، ـ مرتين أو ثلاثاً»[1] ـ هذا دليل على ثبوت عذاب القبر ـ ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بِيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت** عليه السلام **حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**».

«**قال: فتخرج**» ـ؛ يعني: الروح ـ «**تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء**» ـ أيْ: من فَم القربة، ـ «**فيأخذها**» ـ؛ يعني: ملك الموت ـ، «**فإذا أخذها لم يدعوها**» ـ؛ يعني: الملائكة الذين يعاونونه ـ «**في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط**»، «**ويخرج منها**» ـ؛ يعني: من الروح ـ «**كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها**» ـ؛ يعني: إلى السماء ـ «**فلا يمرون**» ـ؛ يعني: الروح ـ **بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، واللفظ له، والنسائي في الكبرى (٣٩٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والمروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢١٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧ ـ ٣٨)، وصححه وغيرهم.

بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعها من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى.

قال: «**فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فَيُجْلِسَانِه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟**» ـ؛ يعني: وما علمك بذلك ـ «**فيقول: قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به وصدقت، فينادي مناد من السماء أنْ صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي**».

فهذا الحديث الطويل فيه إثبات نعيم القبر، وفيه إثبات السؤال، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وأن الميت يُسأل عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه. وتتمة الحديث «**قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح**» ـ؛ أي: كفن أسود ـ «**فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده فينتزعها**» ـ؛ يعني: ملك الموت ـ «**كما ينتزع السفود من الصوف المبلول**» ـ؛ أي: الشوك من الصوف المبلول؛ يشق نزعُه واستخراجه ـ «**فيأخذها فإذا أخذها**» ـ؛ يعني: ملك الموت ـ «**لم يدعوها في يده طرفة عين**» ـ يعني: الملائكة الذين معه ـ «**حتى يجعلوها في تلك المسوح**» ـ أي: الكفن ـ «**ويخرج منها**» ـ من هذه الروح ـ «**كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه**

الأرض - لخبث رائحتها - **فيصعدون بها»** -؛ يعني: هذه الروح - **«فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له»**.

ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: **«اكتبوا كتابه في سجين** -؛ أي: في الأرض السفلى - **فتُطرح روحه طرحاً، ثم قرأ رسول الله:** ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] **فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ها ها لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النارَ وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة»**[١].

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند وابنه عبد الله في السنة[٢]، وأبو داود[٣]، وسنده حسن، وفيه: فيه إثبات عذاب القبر ونعيمه، وإثبات الفتنة في القبر، وسؤال منكر ونكير، وهما ملكان، يقال لأحدهما: منكر، والثاني: نكير، كما جاء في حديث آخر. فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها؛ يعني: تُسأل، وتُختبر، وتُمتحن، بالسؤال عن الإسلام، وعن الإيمان، ويقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله المؤمن، ويضل الله الكافر والفاجر.

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله، واللفظ للإمام أحمد من قوله: **«إن العبد المؤمن...»** الحديث.

(٢) السنة رقم (١٤٣٨).

(٣) في سننه (٤٧٥٣).

وفي الحديث قال: «**أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير**»[(١)].

۞ **وقول المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويأتيه منكر ونكير كيف شاء وكيف أراد»؛ يعني: لا نسأل عن الكيفية، فإنهما يأتيان على أي طريقة أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلا بد من الإيمان بذلك، واعتقادُه. ولهذا قال الطحاويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته، وشارحُ الطحاوية ابن أبي العز: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين[(٢)]، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته».

فإذا ثبت تواتر الأخبار بذلك؛ فمن أنكر المتواتر والمعلوم من الدين بالضرورة، بغير شبهة: كفر. فيجب اعتقاد ثبوت ما جاء في تلك الأخبار والإيمان بها، ولا يتكلم في كيفيتها، إذ ليس للعقل وقوفٌ على كيفيتها؛ لكونها لا عهد له بها في هذه الدار.

يقول شارح الطحاوية: والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكن يأتي بما تحار فيه العقول؛ يعني: الشريعة لا تأتي بشيء تُنكره العقول وتُحيله، لكن تأتي بشيء تتحير فيه العقول ولا تدركه على انفراده، وهذا هو معنى قول العلماء: الشريعة تأتي بمحارات العقول، لا بمحالاتها، فالعقل الصحيح الصريح يوافق النقلَ الصحيح.

ولهذا ألَّف أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً عظيماً سماه «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، وبيَّن أن العقل لا يخالف النقل، وقد سماه بعض العلماء (كتاب العقل والنقل)؛ يعني: أنه لا يمكن أن يتعارض نقلٌ صحيح وعقلٌ صريح أبداً، وإذا وُجد أنَّ العقلَ يخالف النص؛ فهذا لأحد أمرين: إما أنَّ النقل غير صحيح، أو أن العقل غير صريح؛ أي:

(١) حديث حسن: أخرجه الترمذي (١٠٧١)، واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، والآجري في الشريعة (٣٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٧).
(٢) تحقيق الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

فيه شبهة وشهوة. والعقل الصريح هو: السالم من الشبهات والشهوات، ولهذا سَمَّى شيخ الإسلام كتابه: «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول».

وكما أنه لا بُدَّ من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه؛ فكذلك يجب الإيمان بضمة القبر، فقد ثبت أن للقبر ضمة؛ قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ»**[1]؛ قاله النبي ﷺ في الحديث الصحيح، لما مات سعد بن معاذ؛ قال: **«اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ»**[2]. ومع ذلك ما سَلِمَ من ضمّة القبر. فالقبور تضمّ الميّت، ثم يفرج الله عنه.

ومما يدخل في الإيمان بعذاب القبر ونعيمه: اعتقاد أن العذاب يكون للروح والجسد؛ فالروح تُعذب وتُنعم مفردة ومتصلة بالجسد، فروح المؤمن تنعم في الجنة وحدها، وروح المؤمن هذه؛ هي طائر في الجنة، لا صلة لها بالجسد؛ لأن الروح سريعة الطيران، بسرعةٍ تذهب وتأتي وتطير، ولهذا فإنَّ النائم تجد روحه خرجت حال نومه، لكن بمجرد أنْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ: جاءت روحُه من بعيد. وكذلك الكافر تعذب روحه في النار، ولا صلة لها بالجسد؛ فالجسد يبلى والروح باقية في نعيم أو في عذاب.

وذهب المعتزلة إلى أن العذاب والنعيم يكون للروح؛ قالوا: أما الجسد فلا يُعذب ولا يُنعم: وهذا باطل؛ لأنهم أنكروا عذاب القبر ونعيمه الواقع على الجسد، وأنكروا السؤال، وأنكروا تضييق القبر وتوسيعه للمؤمن؛ وقد ثبت في الأحاديث أن المؤمن يوسع له في قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٥٥، ٩٨)، واللفظ له، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٣، ٢٧٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، من حديث عائشة ﵂، وفي الباب عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) (١٢٤)، وابن ماجه (١٥٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٤٢)، والطبراني في الكبير (٥٣٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٣١)، عن جابر بن عبد الله ﵄، وفي الباب عن أسيد بن حضير.

الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، والكافر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ـ كما سبق ـ.

وحُجتهم من العقل والحس أنهم قالوا: لو فتحنا القبر لم نجد فيه ناراً تشتعل، ولا ميتاً، ولا شيئاً من ذلك النعيم الذي قُلتم إنه يأتيه من ثمر الجنة. وقالوا: كيف ينعم هذا ويعذب هذا، ولو فتحنا القبر ما وجدنا لا عذاباً ولا نعيماً، وكيف يُعذب مَنْ صُلب على خشبة، وكيف يُعَذَّبَ ويُنعم من أكلته الطيور، أو أكلته السباع، ومن أكلته الحيتان؟! والمقبرة التي زُرعت فصارت حبوباً وثماراً كيف يعذب وكيف ينعم أهلها؟!

نقول لهم: هذه أمور الآخرة لا تعلمون أنتم ولا نحن كيفيتها، ولا تدركون كنهها، والواجب على المسلم أن يُسَلِّم بهذه الأمور الغيبية، وكونك لا تراها ولا تُحسّ بها، فليس جهلك وعدم إحساسك بها؛ حجة على الشرع؛ فالميت ينعم ويعذب، وهو يجد ذلك، ويحس به؛ لأنه في البرزخ، لكن أنت لست في البرزخ، فلا تحسّ بذلك، بل أنت لو كشفتَ عن قبر ما، ووضعتَ يدك؛ ما أحسست بذلك؛ لأنك في الدنيا، لكن هو يحس بها. فأمور الآخرة لا نعلم كيفيتها، والواجب على المؤمن أن يسلم لله ولرسوله، ويؤمن بعذاب القبر ونعيمه، وأن الميت يناله عذاب القبر ونعيمه، حتى ولو كان مصلوباً على خشبة، ولو غرق في البحار، ولو أكلته السباع والحيتان؛ فإنه سينالُه ما قدر له، ويناله سؤالُ منكر ونكير، ويناله العذاب والنعيم، وتناله ضمة القبر، لكن الله أعلم بكيفية ذلك، فعليك التسليم، ودَعْ الاعتراضَ على الشريعة.

هذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»[1]؛ يعني: لولا ألَّا تتدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم أصواتَ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ١٨٥)، وابن حبان في صحيحه (١٠٠٠)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وفي الباب عن أنس بن مالك ﷺ، أخرجه مسلم (٢٨٦٨)، وأحمد (٣/ ١٧٦، ٢٧٣)، وغيرهما.

المعذَّبين في قبورهم، لكن من رحمة الله أن الإنسان لا يسمع أصوات أولئك المعذبين، وإلا لَمَا قَرَّ له قرار، ولَمَا عاش الناسُ، وجاء في الحديث: «**ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها كل شيء من يليه إلا الثقلين**»[(١)]؛ يعني: إلا الجن والإنس، ولو سمعها الإنسان لصعق، ولما عاش بعدها، ولو كنا نسمع أصوات المعذبين فهل يقرّ للناس قرار؛ لو كُنَّا نسمع بكاءهم وصياحهم وصراخهم؟ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»[(٢)].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول للجيش من الجيوش التي تربي الخيول وتهيؤها وتُعدها للجهاد: إذا أصاب ـ يعني: الخيول ـ ألم في بطونها: ائتوا بها إلى قبور الرافضة أو قبور اليهود. فيأتون بها إلى تلك القبور، فتسمع أصواتَ المعذبين؛ فتستطلقُ فيخرج منها إسهال. فيكون هذا علاج دائها.

والمعتزلة بسببِ أصولهم العقلية الفاسدة عارضوا النصوص، وأوجبوا على الله أموراً باطلة؛ كإيجابهم على الله أن يثيب المطيع؛ لأن من أصولهم إنفاذ الوعيد، فيوجبون على الله أن يثيب المطيع، وأن يعاقب العاصي؛ لأن العاصي ـ بزعمهم ـ هو الذي خلق فعله؛ فعلى هذا: فيجب على الله أن يثيب المطيع؛ لأنه يستحق الثواب على الله؛ كما يستحق الأجير أجرته، ويجب عليه أيضاً أن ينفذ الوعيد في العاصي، وليس له أن يعفو عنه.



---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٠)، وأبو داود (٣٢٣١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١٣٩).



الإيمان بشفاعة النبي ﷺ

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبقومٍ يُخرَجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة ـ كما جاء في الأثر ـ كيف شاء الله وكما شاء، إنما هو الإيمان به والتصديق به».

الشَّرْحُ

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان بشفاعة النبي ﷺ»؛ يعني: ومن أصول السنة عند أهل السنة والجماعة: الإيمان بشفاعة النبي ﷺ. وشفاعة النبي ﷺ ـ كما سبق ـ أنواع، فله عليه الصلاة والسلام ثلاث شفاعات اختص بها، وثلاث شفاعات شاركه فيها غيره.

فالشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ، **أولها**: الشفاعة العظمى التي تكون في موقف القيامة، والتي يتأخر عنها أولو العزم، والتي يموج الناس فيها بعضهم ببعض، وهي عامة للمؤمن والكافر؛ لإراحة أهل الموقف، حتى يحاسبهم الله. هذه الشفاعة العظمى، خاصة بنبينا ﷺ، وهي المقام المحمود التي يغبطه فيها الأولون والآخرون، وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٩، ٨٠].

هذا هو المقام المحمود، وذلك أن الناس يقفون بين يدي الله للحساب، حفاة، عراة، غرلاً، وتدنو الشمس من الرؤوس، ويزاد في حرارتها، ويبلغ الناس من الكرب والهم والغم ما الله به عليم، فيموج الناس بعضهم في بعض

ويفزعون إلى الأنبياء؛ يطلبون منهم الشفاعة. والشفاعة من الحي الحاضر القادر: لا بأس بها، بخلاف الشفاعة من الميت أو الغائب، فلا يُطلب من الميت شفاعة؛ فلا تقل: يا فلان اشفع لي. ولا تُطلب من غائب؛ لأن هذا من الشرك، لكن الشفاعة من الحي الحاضر القادر: لا بأس بها.

وهذه الشفاعة التي يطلبها الناس من الأنبياء شفاعة جائزة؛ لأنهم يطلبون منهم أن يدعوا الله، وأن يسألوا الله، أن يحاسبهم، لكن يتأخر عنها أولو العزم، كما سبق في حديث الشفاعة، وكما هو مذكور في حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين وغيرهما، وأن الناس يأتون أوّلاً آدم فيقولون: «**يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح؛ فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ؛ فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته. نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، إلى موسى، فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى؛ فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلّمتَ الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه؛ فاشفع لنا**

إلى ربك؛ ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً. نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ؛ فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلقُ فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع. فأرفعُ رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك مَنْ لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»(١).

وقوله: اشفع تشفع، هذا هو الإذن المذكور في قول الله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فلا أحد يستطيع أن يشفع عند الله إلا بإذنه.

أما ملوك الدنيا والرؤساء والأغنياء والوجهاء، فالأمر بخلاف ذلك، كل واحد يشفع بدون إذنه، وقد يرغمه إرغاماً؛ قد يرغمه لأنه يحاذره؛ قد يشفع ابنه أو زوجته بشيء هو مكره عليه، لكن الله ﷻ لا مكره له، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. فيُشفِّعُ اللهُ نبيه محمداً ﷺ؛ فيقضي الله بين الخلائق، ويحاسبهم جميعاً، فينصرف الناس فريقين: فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير. هذه هي الشفاعة الأولى؛ الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا ﷺ.

الشفاعة الثانية: الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها؛ فأهل

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له، والترمذي (٢٤٣٤)، وابن ماجه مختصراً (٣٣٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣٥، ٤٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٨١١)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٢٤٢ ـ ٢٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٦٥)، عن أبي هريرة ﷺ.

الجنة لا يدخلونها إلا بشفاعة نبينا ﷺ؛ يشفع لهم عند ربه فيأذن لهم في دخول الجنة.

الشفاعة الثالثة: الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب؛ لأنه خَفَّ كفره بدفاعه عن النبي ﷺ؛ فصار أخف أهل النار عذاباً. فيشفع نبينا ﷺ في عمه أبي طالب؛ فيخرجه الله من غمراتٍ من نارٍ إلى ضحضاح؛ يغلي منها دماغه. فهذه شفاعة تخفيف فقط، كما جاء في الحديث الصحيح: عن العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يا رسول الله! هل نفعتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[1]؛ فهذه الثلاث، خاصة بنبينا ﷺ.

أما الشفاعات الأخرى، فهناك ثلاث شفاعات يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، والأولاد، والشهداء، وغيرهم.

الرابعة: الشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة وزيادة ثوابهم، فيشفع في قوم من أهل الجنة حتى يرفع بتلك الشفاعة درجاتِ قوم من أهل الجنة.

الشفاعة الخامسة: الشفاعة في قوم استحقوا دخول النار بمعاصيهم، فيشفع فيهم ألا يدخلوها.

الشفاعة السادسة: الشفاعة في قوم دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها.

هذه ثلاث شفاعات مشتركة، وهذه الشفاعات أنكر منها الخوارج والمعتزلة الشفاعتين الأخيرتين: الخامسة والسادسة، فأنكروا الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، ومن دخلها أن لا يخرج منها؛ لأن الخوارج والمعتزلة يرون أن العاصي كافر، وأنه يُخلد في النار؛ فلا يشفع فيه، ولهذا أنكروا النصوص التي فيها إخراج العصاة من النار، مع أنها

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ٩، ٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٧١).

متواترة، فأنكر عليهم أهل السنة وبدّعوهم، وضللوهم، وصاحوا بهم في إنكارهم أحاديثَ بلغت حد التواتر!!.

وقد ثبت أن النبي ﷺ يشفع أربع شفاعات في أهل النار العصاة، وفي كل مرة يحدّ اللهُ له حداً، ويخرجهم بالعلامة «**فيقال: أخرجْ مَنْ كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**»[١]، ثم «**مثقال برة من إيمان**»[٢]، «**مثقال ذرة من إيمان**»[٣]، «**مثقال حبة خردل من إيمان**»[٤]، حتى يقال له في المرة الرابعة: «**أخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان**»[٥].

وذلك أن المعاصي وإن كثرت وعظمت، لا تقضي على الإيمان، لكن تضعفه، حتى لا يبقى منه إلا أدنى مثقال حبة من خردل، لكنها لا تقضي عليه؛ لأن الذي يقضي على الإيمان هو: الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الظلم الأكبر، أو الفسق الأكبر؛ المخرج من الملة، هذا هو الذي يقضي على الإيمان، ولا يُبقي منه شيئاً، أما المعاصي: فتضعف الإيمانَ؛ ولو كثرتْ؛ ولو عظمت؛ فإنها لا تقضي عليه.

وذكر بعضهم الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أنه يشفع لهم في دخول الجنة.

يقول الإمام رَحِمَهُ اللهُ: «والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً». وهؤلاء هم عصاة الموحدين يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً، وفي الحديث: «**فجيء بهم، ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**»[٦].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، والترمذي (٢٥٩٣)، وابن ماجه (٤٣١٢)، وأحمد في المسند (١/١١٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٨٠)، وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٥) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٦) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥)، واللفظ له، وابن ماجه (٤٣٠٩)، وأحمد في المسند (٣/١١)، وابن حبان في صحيحه (١٨٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقوله: «كما جاء في الأثر...». يشير بهذا إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون حمماً منها قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحِبَّة في جانب السيل - أو في حميل السيل - ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**»(1). رواه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما، وقوله: «ينبتون كما تنبت الحبة»؛ يعني: البذرة، في حميل السيل.

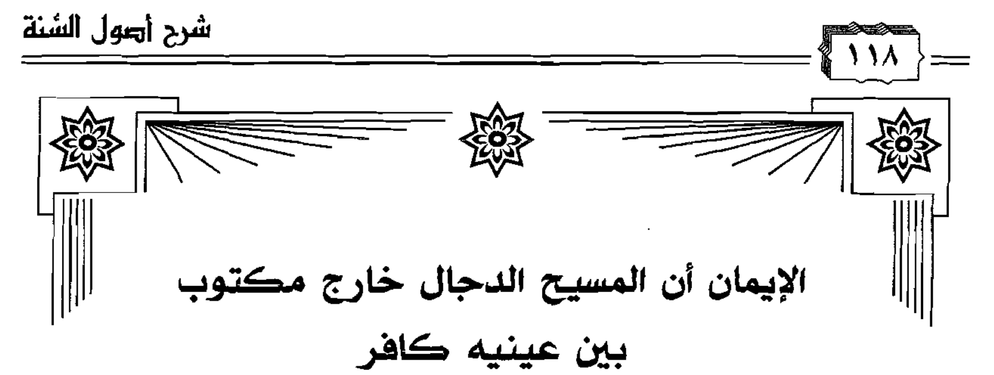
فإذا هُذِّبوا ونُقوا، أُذن لهم في دخول الجنة، فإذا تكامل خروج العصاة، ولم يبق أحد، بعد ذلك تطبق النارُ على الكفرة، بجميع أصنافهم؛ اليهود والنصارى، والوثنيين، والشيوعيين، والملاحدة. وأما المنافقون فهم في الدرك الأسفل من النار، فلا يخرج صنف من هذه الأصناف منها أبد الآباد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهمزة: ٨]؛ يعني: مُطبقة مُغلقة، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧]. وقال سبحانه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢٣]. وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] نسأل الله السلامة والعافية.

وقوله: «كيف شاء الله وكما شاء الله، إنما هو الإيمان به والتصديق به»، يشير إلى الوجوب الإيمان بالنصوص، والتصديق لها، وعدم الاعتراض عليها، والله أعلم.



---

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤)، واللفظ له، والترمذي (٢٥٩٨)، وأحمد في المسند (٣/٥٦)، وابن حبان في صحيحه (١٨٢)، عن أبي سعيد الخدري.



الإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر

قال ـ رحمه الله ـ: «والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه: كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد».

الشَّرْحُ

من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول السنة عندهم: الإيمان بأن المسيح الدجال خارج، وأنه يخرج في آخر الزمان. وسُمي المسيح بذلك؛ لأن عينه اليمنى ممسوحة. فلا بُدَّ من الإيمان بأنه خارج على الناس، وأنه مكتوب بين عينيه: كافر، وفي اللفظ الآخر: مكتوب بين عينيه كفر، يقرأها كل مسلم، كاتب وغير كاتب. فالإيمان بأن ذلك كائن؛ مما يجب اعتقادُه.

وخروج المسيح الدجال، هو الشرط الثاني من أشراط الساعة الكبرى، والشرط الأول من أشراط الساعة الكبار: خروج المهدي. وأشراط الساعة هي علاماتها، قال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ أي: علاماتها.

وأشراط الساعة قسَّمها العلماء إلى قسمين: أشراط صغرى، وأشراط كبرى، ومنهم من جعلها ثلاثة: صغرى، ووسطى، وكبرى، وأشراط الساعة الصغرى أولها: بعثة نبينا محمد ﷺ؛ فإنه نبيُّ الساعة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**بعثتُ أنا والساعة كهاتين**»[١]، وقرن بين أصبعه السبابة والوسطى؛ فهو نبي الساعة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠)، وأحمد في المسند =

ومن أشراط الساعة الصغرى: موته عليه الصلاة والسلام، ومنها: فتح بيت المقدس، ومنها: الحروب والفتن التي حصلت بين الصحابة، ومنها: إمارة الصبيان والأحداث، ومنها: إضاعة الأمانة، وإسناد الأمور إلى غير أهلها، ومنها: إماتة الصلاة، ومنها: كثرة شرب الخمور، ومنها: ظهور القينات والمعازف، ومنها: فشو الربا والزنا، ومنها: أن يُتعلم لغير الدين، ويتفقه لغير الدين، ومنها: كثرة العقوقِ، ومنها: كثرة الشُّرط، ومنها: كثرة النساء، وقلة الرجال، ومنها: كثرة الجهل، وقلّة العلم، ولهذا جاء في الأحاديث: «**إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**»[١].

ومنها: تقارب الأسواق، وظهور المخترعات الحديثة، ومنها: الخسوف؛ «**ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»[٢]، ومنها: كثرة الزلازل، وهي كثيرة لا تزال تكثر وتزيد في زماننا هذا.

وأما أشراط الساعة الكبرى فهي عشرة، لم يخرج منها شيء حتى الآن، وهي التي تليها الساعة؛ وهي متقاربة، إذا خرجتْ واحدة منها تتابعت كالسلك الذي نُظم فيه الخرز، فإذا انقطع تتابعت الخرزات. وأول أشراط الساعة الكبرى: خروج المهدي: محمد بن عبد الله المهدي، رجلٌ من آل بيت النبي ﷺ؛ من سلالة فاطمة؛ يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، واسمه محمد بن عبد الله المهدي، وخلافته خلافة نبوة، وقد جاءت في المهدي أحاديث، منها أحاديث

= (٥/ ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٨)، والحميدي (٩٢٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٤٢)، عن سهل بن سعد.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، والترمذي (٢٢٠٥)، وابن ماجه (٤٠٤٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٤١)، وأحمد في المسند (٤/ ٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٩١، ٦٨٤٣)، عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

صحيحة، ومنها حسنة، ومنها ضعيفة، فالأحاديث بخروجه ثابتة، وأنه يخرج في وقت ليس للناس فيه إمام، فيبايَع، وفي زمانه تكثر الحروب والفتن وتكون الحروب طاحنة بين المسلمين وبين النصارى، وتحصل للناس الفتن في الشام.

جاء هذا في أحاديث عند مسلم[١]، فيها: الحروب التي تقع، والقتل الذي يكون، ومن آخرها: فتح القسطنطينية، فإذا فتُحت القسطنطينية، وعلق الناسُ سيوفهم بالزيتون، صاح الشيطانُ للمرة الثانية: «**إن الدجال قد خلفكم في أهليكم**»؛ لأن المرة الأولى تكون خطأً؛ فيخرج الدجال في زمن المهدي، بعد فتح القسطنطينية.

والدجال رجل من بني آدم، أوّلاً يَدَّعي أنه رجل صالح، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، ويقول للناس: أنا ربكم؛ وهو كافر. وسُمِّي المسيح؛ لأن عينه اليمنى ممسوحة، وسُمِّي الدجال؛ لكثرة دجله، وكذبه ومخرقته، ومن أعظم كذبه دعواه الربوبية. والدجاجلة كثيرون، وكل السحرة دجاجلة، لكن الدجال الأكبر هو الذي يخرج في آخر الزمان، وهو آخرهم وأكبرهم. فيخرج هذا الرجل، ولا يترك بلداً إلا دخلها، إلا مكة والمدينة؛ لأنه ممنوع من دخولهما؛ تمنعُه الملائكة؛ فما من نقب من أنقابها إلا وعليه ملائكة؛ بيدهم السيوف فلا يستطيع دخلوهما، لكنه يأتي إلى المدينة، وينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إلى الدجال كل كافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل منافق ومنافقة، وحينئذ تنفي المدينة خبثها، وينصع طيبها، ولا يبقى في المدينة في ذلك الزمان إلا الطيبون.

ثم يَدَّعي الربوبيةَ، ويقول للناس: أنا ربكم، وتكون معه خوارقُ عاداتٍ؛ وهي فتن، وابتلاء، وامتحان، ابتلى الله العباد بها، ومن فتنته: أن معه صورة الجنة، وصورة النار، فالنار خضراء تجري، والجنة سوداء تدخن، فالذي يوافقه يلقيه فيما يرى الناسُ الجنة، وهي النار، والذي يعصيه يلقيه فيما يرى الناس أنها النار، وهي الجنة، ومكتوب بين عينيه كافر؛ يقرؤها كل مؤمن.

---

(١) انظر: صحيح مسلم من الحديث (٢٩٠٨ إلى ٢٩٢٣).

ومن فتنته: أنه يأمر السماء، فتُمطر، والأرضَ فتنبت؛ ابتلاء وامتحاناً. ومن فتنته: أنه يأتي إلى الخَربة فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ومن فتنته: أنه يسلط على رجل فيدعوه إلى الإيمان به، فيكذبه، فيقطعه نصفين بالسيف، ويمشي بين القطعتين ثم يقول له: قُمْ، فيحييه الله، فيستوي قائماً، فيقول: أتعرفني الآن، فيقول: ما ازددتُ فيك إلا بصيرة، ويقول لمن معه: أرأيتم إن قتلته ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه الله، ابتلاءً وامتحاناً، قال النبي ﷺ: «**هذا الرجل أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**»[1]. ثم يرى أن يقتله مرة أخرى فلا يستطيع.

وفتنته ـ كما قلنا ـ عظيمة؛ حيث يتبعه أناسٌ يعلمون أنه كاذب، لكن يخشون من الفقر؛ لأنه يأتي إلى القوم وإلى البادية فيدعوهم، فإذا استجابوا له أخصبتْ أرضُهم وجاءتهم الأمطار، وسمنت مواشيهم، وامتلأت ضروعها باللبن، ويأتي القوم فيردون عليه فيصبحون ممحلين وتهلكُ أنعامُهم؛ ابتلاءً وامتحاناً، حتى يتبعه أناس يقولون: نعلم أنه كاذب لكن نريد أن نعيش عيشة رغيدة؛ آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، ـ والعياذ بالله ـ ولهذا جاء في

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٨)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظهُ: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قِبلة رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج ـ قال: ـ فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ـ قال: ـ فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال: فيأمر الدجال به فيُشبَّح فيقول: خذوه وشُجوه. فيوسع ظهره وبطنه ضرباً ـ قال ـ فيقول: أو ما تؤمن بي قال فيقول: أنت المسيح الكذاب ـ قال: ـ فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يُفرق بين رجليه ـ قال ـ ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم. فيستوي قائماً ـ قال: ـ ثم يقول له: أتؤمن بي فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة ـ قال: ـ ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ـ قال: ـ فيأخذه الدجال ليذبحه فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نُحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً ـ قال: ـ فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما أُلقي في الجنة**». فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**».

الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من سمع بالدجال فلينأ منه**»[1]؛ لأن له فتنة عظيمة، فأمر بالابتعاد عنه. وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»[2]، وفي رواية: «**أمر أكبر من الدجال**».

وأما لبثه في الأرض فقد سُئل النبي ﷺ: كم يلبث في الأرض فقال: - «**أربعون يوماً**»[3]، فاليوم الأول طوله: سنة، واليوم الثاني طوله: شهر،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٣١، ٤٤١)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٢٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣١) عن عمران بن حصين ﷺ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٠١).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٦)، وأحمد في المسند (٤/ ١٩، ٢٠)، واللفظ له عن طريق عمران بن حصين ﷺ.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥، ٤٠٧٦)، واللفظ للإمام مسلم: عن النواس بن سمعان قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم**». قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شابٌ قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلّةً بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا**». قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**». قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا اقْدُرُوا له قدره**». قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيُصبحون مُمحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ويمر بالخَربة فيقول لها: أخْرِجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل، ثم يدعو رجلاً مُمتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه** =

واليوم الثالث طوله: أسبوع، ففي اليوم الأول، تطلع الشمس ولا تغرب ثلاثمائة وستة وخمسين يوماً، واليوم الثاني، تطلع الشمس ولا تغرب إلَّا بعد شهر ـ أي: إلا بعد ثلاثين يوماً ـ. واليوم الثالث، تطلع الشمس ولا تغرب إلا بعد سبعة أيام، والباقي سبعة وثلاثون يوماً كأيامنا. قيل: يا رسول الله اليوم الأول، والثاني، والثالث، كيف نصلي؟ قال: «**اقدروا له**»؛ أي: في كل أربعة وعشرين ساعة خمس صلوات؛ والشمس طالعة، حتى ينتهي هذا اليوم الطويل، وكذلك اليوم الثاني.

فهذا الدجال لا بد من الإيمان به. وقد ثبت أيضاً: أنه مربوط في جزر من جزائر البحر، كما في حديث تميم الداري[1]: ....

= **على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ فلا يحل لكافرٍ يجدُ ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدٍّ فيقتُله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيَمسح عن وجوههم ويُحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى إنّي قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرِّزْ عبادي إلى الطور. ويبعثُ الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بُحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماءٌ، ويُحصرُ نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيُرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيُصبحون فرسَى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البُختِ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يُقال للأرض: انبتي ثمرتك ورُدِّي بركتك.**

فيومئذ تأكلُ العصابةُ من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويُبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذْ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلمٍ، ويبقى شِرارُ الناس يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُرِ فعليهم تقوم الساعة».

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، والترمذي (٢٢٥٣)، وابن ماجه (٤٠٧٤)، واللفظ للإمام مسلم: عن فاطمة بنت قيس، وهذا لفظه: قالت: «نَكَحْتُ ابنَ المغيرة وهو من خِيار شباب قريش يومئذ فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيَّمت خطبني عبد الرحمٰن بن عوف في نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وخَطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد =

. . . .

= حُدِّثتُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبني فليُحب أسامة**». فلمّا كلّمني رسول الله ﷺ قلتُ: أمري بيدك فأنكحني مَن شئتَ فقال: «**انتقلي إلى أم شريك**». وأم شَريك امرأةٌ غنيةٌ من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان فقلتُ: سأفعل فقال: «**لا تفعلي إن أم شريك امرأةٌ كثيرة الضيفان فإني أكرهُ أن يَسقُط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمروٍ ابن أم مكتوم**». وهو رجلٌ من بني فهرٍ فهرِ قريشٍ وهو من البطن الذي هي منه ـ فانتقلت إليه فلما انقضت عدَّتي سمعتُ نداءَ المنادي منادى رسول الله ﷺ يُنادي الصلاة جامعة. فخرجتُ إلى المسجد فصلّيت مع رسول الله ﷺ فكنتُ في صف النساء التي تَلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «**ليلزمْ كلُّ إنسان مُصلَّاه**». ثم قال: «**أتدرون لِمَ جمعتكم**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الدَّاري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدَّثني حديثاً وافق الذي كنت أحدِّثكم عن مسيح الدجال؛ حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينة بحريةٍ مع ثلاثين رجلاً من لَخْم وجُذامَ فَلَعِبَ بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغربَ الشمس فجلسوا في أقرُبِ السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابةٌ أهْلَبُ كثيرُ الشعر لا يدرون ما قُبُلُهُ من دُبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما أنت. فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة. قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّيْرِ فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمَّتْ لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة ـ قال ـ فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الدَّيْرَ فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناه قط خَلْقاً وأشده وثاقاً مجموعةٌ يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت. قال: قد قَدَرْتُمْ على خبري فأخبروني ما أنتم. قالوا: نحن أناسٌ من العَرَبِ رَكِبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فَلَعِبَ بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربِها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابةٌ أهلب كثير الشعر لا يُدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك ما أنت. فقالت: أنا الجساسة.**

قلنا: وما الجساسة. قالت: اعْمِدُوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخلِ بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يُثمر. قلنا له: نعم. قال: أما إنه يُوشِكُ أن لا تُثمر؟ قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يُوشِك أن يَذهب. قال: أخبروني عن عينِ زُغَرَ. قالوا: عن أني شأنها تستخبر. قال: هل في العين ماءٌ وهل يزرَعُ أهلها بماء العين؟ قلنا: له نعم هي كثيرة الماء، وأهلها =

أنه لعب بهم الموج شهراً، وأنهم خرجوا إلى جزيرة من جزر البحر، فوجدوا الدجال، ووجدوا الدابة، فرأوا رجلاً عظيم الخلقة، مربوطة يداه إلى عنقه بالحديد، وأنهم سألوه وأنه أخبرهم وقال: يوشك أن يخرج إلى آخر القصة.
ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه كافر»؛ يعني: الإيمان بأن ذلك كائن، كما قد جاءت به الأحاديث.

من الأحاديث التي وردت في وصف الدجال، حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوباً بين عينيه ك ف ر**»[1]، وفي رواية: «**الدجال مكتوب بين عينيه كافر**»[2]، وفي حديث النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: «**إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة**

= **يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبيِّ الأُمِّيِّينَ ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أَقَاتَلَهُ العربُ. قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهرَ على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك. قلنا: نعم. قال: أما إنَّ ذاك خيرٌ لهم أن يُطيعُوه وإنيِّ مُخْبِرُكُمْ عنيِّ إني أنا المسيح، وإني أُوشِكُ أنْ يُؤْذَنَ لي في الخروج فأخرُج فأسيرَ في الأرضِ فلا أَدَعَ قريةً إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة؛ فهما مُحَرَّمتان عليَّ كِلْتَاهُما أَرَدْتُ أن أدخُلَ واحدةً أو واحداً منهما استقبلني مَلَكٌ بيده السيفُ صَلْتا يَصُدُّني عنها وإن عَلَى كل نقبٍ منها ملائكة يحرُسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ وطَعنَ بمخْصَرته في المنبر: (هذه طيبةُ هذه طيبةُ هذه طيبةُ)؛ يعني: المدينة (ألا هل كُنْتُ حدَّثتُكم ذلك). فقال الناس: نعم. (فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدِّثُكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحرً اليمن لا بل مِنْ قِبَلِ المشرق ما هو مِنْ قِبَلِ المشرق ما هو من قِبل المشرق ما هو). وأومأ بيده إلى المشرق.**
قالت: فحَفِظْتُ هذا من رسول الله ﷺ.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧١٣١، ٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، واللفظ له، وأبو داود (٤٣١٦، ٤٣١٧)، والترمذي (٢٢٤٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٥٠، ٧١٣٠)، ومسلم (٢٩٣٤/١٠٥)، وأبو داود (٤٣١٥)، عن حذيفة رضي الله عنه.

كأني أشبه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته»[١]؛ يعني: تجيركم من فتنته، قلنا: يا رسول الله وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: «**أربعون يوماً، يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**»، فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا: «**اقدروا له قدره**[٢]**، إذ بعث عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**[٣] **حتى يدركه عند باب لد فيقتله**»[٤]. رواه مسلم وأبو داود، وغيرهما، والأحاديث في هذا كثيرة.

ثم بعد مُكث الدجال هذه المدة؛ ينزل عيسى ابن مريم من السماء، وهذا هو الشرط الثالث من أشراط الساعة الكبار؛ ينزل واضعاً كفيه على جناح ملكين؛ عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، في وقت صلاة الفجر؛ وقد أقيمت صلاة الفجر، فيقدمه بعضُ المسلمين، فيمتنع ويقول: إنما أقيمت لكم، فإذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام صار فرداً من أفراد الأمة المحمدية، فيحكم بشريعة نبينا محمدٍ ﷺ؛ لأن كل نبي أخذ اللهُ عليه الميثاق لئن بُعث محمدٌ وأنت حيٌّ؛ لتتبعنه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١]، وفي الحديث الآخر يقول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتباعي**»[٥].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥، ٤٠٧٦).

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٥) حديث حسن لغيره: أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، والبيهقي في السنن (٢/ ١٠ ـ ١١)، وفي الشعب (١٧٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٢)، وغيرهم كلهم من طريق مجالد بن سعيد، عن الشعبي، ومجالد ليس بالقوي، وللحديث شواهد أخرى كثيرة، يتقوّى بها، ذكرها الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

فعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا نزل قَتَلَ المسيحَ الدجال بحربته؛ بباب لد ـ قرية من فلسطين ـ وفي الحديث: «**فإذا رآه**» يعني: إذا رأى مسيحُ الضلالة مسيحَ الهُدى «**ذاب كما يذوب الملح في الماء**»(١)، ولو تركه لماتَ، لكنه يقتله؛ أي: يقتل مسيحُ الهدى مسيحَ الضلالة، وحينئذ يكون الحُكْم لعيسى، وتكون الولاية له، ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى، وهي العلامة الرابعة من علامات الساعة الكبار، ويأجوج ومأجوج أمتان كافرتان، من بني آدم، الأولى تسمى: يأجوج، والثانية: مأجوج، وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله، حتى لما قال في الحديث: «**ينادي الله تعالى يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرجْ بعثَ النار، فقال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**» فشق ذلك على الصحابة ثم قال: «**أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف**»(٢)، كما قال العلامة ابن القيم:

يا سلعة الرحمٰن لست رخيصةً ... بل أنت غاليةٌ على الكَسْلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالُها ... في الألف إلا واحد لا اثنان

فالحاصل: أنه لما اشْتَدَّ ذلك على الصحابة، قال لهم رسول الله ﷺ: «**أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل**»؛ يعني: من يأجوج ومأجوج ألف، ومنكم واحد.

وقوم يأجوج ومأجوج هؤلاء قومٌ كُفَّارٌ يفسدون في الأرض؛ فيمر أولهم بأول بُحيرة فيشربون ماءها، ثم يمر مَنْ بعدهم فيقول: كان بهذه مرة ماء!! فيأمر الله نبيه عيسى أن يتحصن في جبال الطور؛ هو ومن معه من المؤمنين، ثم يدعو عيسى عليه السلام عليهم، هو ومن معه من المؤمنين، فيهلكهم الله ـ أي:

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، واللفظ له ومسلم (٢٢٢) الإيمان، وأحمد في المسند (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، وأبو عوانة في مسنده (٢٥٣، ٢٥٤). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قوم يأجوج ومأجوج ـ في ليلة واحدة، فيصبحون فرسى كَمَوْتِ نفسٍ واحدة، فإذا ماتوا صاروا كالجبال من كثرتهم؛ فيُرسل الله طيراً كأعناق الإبل، تأخذهم وتلقيهم في البحر، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض، وهذا من رحمة الله؛ لأنهم لو بقوا لأوخمت الأرض من رائحتهم، ومات الناس.

فهذه أربع علاماتٍ متوالية: المهدي، ثم الدجال، ثم عيسى، ثم يأجوج ومأجوج.

ثم تتوالى بقيةُ أشراط الساعة ومنها: نَزْعُ القرآن من الصدور، ومن المصاحف؛ وذلك إذا ترك الناس العمل به، هذا هو الخامس، والسادس: الدخان الذي يملأ الأرض، والسابع: هدم الكعبة ـ والعياذ بالله ـ، والثامن: طلوع الشمس من مغربها، والتاسع: طلوع الدابة، والعاشر وهو آخرها: النار تخرج من قَعْر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا. هذا باختصار ما يتعلق بأشراط الساعة، وتفصيله يطولُ.

إذاً: فلا بد من الإيمان بأن الدجال خارج، وأنه شرط من أشراط الساعة الكبار، والإيمان بأن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينزل فيقتله بباب لد؛ لأن الإيمان بهذا من أصول أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]؛ يعني: عيسى، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]؛ أي: عيسى، وفي قراءة (وإنه لعَلَمٌ)؛ أي: علامة.







الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

قال المؤلف رحمه الله: «والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر: (**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**)»(١).

الشَّرْح

عقيدة أهل السنة والجماعة: في الإيمان أنه: قول وعمل؛ يزيد وينقص، كما جاء في الخبر عن النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٢). وقال بعضهم: الإيمان قول وعمل ونيّة واتباع سُنَّة. وأصل الإيمان هو: التصديق في القلب، وقول القلب، هو: تصديقه وإقراره، وقول اللسان النطق والعمل، وعمل القلب هو: الاعتقاد، والمحبة، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة.

ولهذا روى عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة، عن أبيه، أنه قال: لما سُئل عن الإرجاء، قال: نحن نقول: الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه(٣). وروى إسحاق بن هانئ في مسائله(٤) عن الإمام أحمد أنه قال: أدركنا الناسَ وهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونية صادقة. هذا هو مذهب السلف رضوان الله عليهم، قد قرر

---

(١) حديث صحيح لغيره؛ أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٢/ ٤٧٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥١٥)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي (٢٦١٢)، وأحمد في المسند (٦/ ٤٧، ٩٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٢).

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) (١/ ٥٩٩).

(٤) (٢/ ١٦٢٠).

هذا العلماء في أصول السنة، كالآجري في الشريعة[1] وعن عبد الرزاق الصنعاني قال: سمعتُ مالكاً، والأوزاعي، وابن جريج، والثوري، ومَعْمَراً، يقولون: الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص.

وكذلك روى الخلال في السنة[2]، عن الإمام أحمد أنه قال: «حسن يحيى بن سعيد الزيادة والنقصان ورآه». وروى أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمع سفيان بن عيينة يقول: «الإيمان يزيد». وقال الإمام أحمد: «سمعت سفيان يقول: لا يعنف من قال الإيمان ينقص»[3]، وكذلك يحيى بن معين روى الخلال[4] عنه أنه قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وكذلك أيضاً روى عبد الله بن الإمام أحمد عن ابن إدريس، وجرير، ووكيع، قالوا: الإيمان يزيد وينقص[5].

وروى أيضاً مثله عن جمع من السلف؛ أنهم قالوا: الإيمان يزيد وينقص. وترجم البخاري في صحيحه (باب زيادة الإيمان ونقصانه)، وقول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فكلّ هذه النصوص تدل على أن الإيمان يزيد وينقص. وقال ابنُ أبي حاتم: سألت أبي وأبا زُرعة، عن مذاهب أهل السنة، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار؛ حجازاً، وعراقاً، ومصراً، وشاماً، ويمناً؛ فكان من مذهبهم: أن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص.

وكذلك قال الربيع بن سليمان: سمعتُ الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[6]. وكذلك أيضاً: فإن أبا عُبيد القاسم بن سلّام قد سَمَّىٰ في كتابه «الإيمان» من أهل الأمصار، من يقول: الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، وهذا قول أهل السنة قاطبة؛ كلهم يقول: قول وعمل؛ يزيد وينقص.

---

(١) (١/ ١٢٥، ١٢٦).
(٢) (١٠١٥).
(٣) ١٠١٦.
(٤) (١٠١٢).
(٥) في السنة (٧٠٠) بإسناد صحيح.
(٦) تهذيب سنن أبي داود، وإيضاح مشكلاته لابن القيم (٢/ ٣٤٥).

والقول نوعان: قول القلب وهو: التصديق والإقرار والاعتراف، وقول اللسان: وهو النطق. والعمل عملُ القلب، وهو النية والإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، وعمل الجوارح.

ومن أهل السنة من قال: قول وعمل ونية، ومنهم قال: وسنة. ومعنى: يزيد وينقص؛ أي: يزيد بالأعمال الصالحة، وينقص بالمعاصي. والنصوص في هذا كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

فالإيمان يزيد وينقص، كما أنَّ الكفر يزيد وينقص؛ فإذا أطاع الإنسان ربه: زاد، وإذا عصى: نقص. هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. وروي عن الإمام مالك أنه قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص(١). وما من شيء يزيد إلا وهو ينقص، وقد سَاقَ المؤلف رحمه الله حديث: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٢) دليلاً على أن الإيمان يزيد وينقص. وهذا الحديث صحيح رواه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وغيرهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وهذا دليل أيضاً على أن الإيمان يزيد وينقص. وكذلك الكفر، يزيد وينقص، قال تعالىٰ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وأما المرجئة فإنهم خالفوا أهل السنة والجماعة، فقالوا: إن الإيمان ليس قولاً، ولا عملاً، ولا يزيد ولا ينقص، وقالوا: الإيمان في القلب فقط، ومنهم من قال: الإيمان في اللسان فقط، فالمرجئة طوائف.

الطائفة الأولى: الجهمية، الذين قالوا: إن الإيمان مجرد المعرفة؛ يعني: معرفة الرب بالقلب، والكفر هو: جهل الرب بالقلب، فالمؤمن عند

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٦٣٦، ٦٣٨، ٧٠٢).
(٢) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١٧٢).

الجهم: هو الذي عرف ربه بقلبه، والكافر: هو الذي جهل ربه بقلبه. وعلى ذلك ألزمه العلماء القول بإيمان إبليس؛ لأنه عرف ربه بقلبه كما دَلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ⑭﴾ [الأعراف: ١٤]. وعلى مذهب الجهم يلزم أن يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه كان موقناً بالرب، وإن تظاهر بإنكاره، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وذكر الله عن موسى أنه قال لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] والعلمُ: معرفة القلب.

فأفسدُ ما قيل في تعريف الإيمان هو قول الجهم، وهو أفسد تعريف على وجه الأرض، وَطَرْدَ مذهبه يقتضي الحكم بالإيمان لكل أحد، ولو كان كافراً؛ لأنه ما من أحدٍ إلا وهو يعرف ربه بقلبه؛ فيكون مِنْ لازم مذهبه الباطل؛ تصحيح إيمان من فعل جميعَ أنواع الكفر، ونواقضَ الإيمان، حتى ولو قتل الأنبياء، وسب الله ورسوله، وهدم المساجد، فهؤلاء جميعاً مؤمنون على مذهب الجهم؛ لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم. وهو ـ كما تقدم ـ لا يُكَفِّرُ إلا من جهل ربه بقلبه!! فهذا من أشنع ما قيل في تعريف الإيمان.

الطائفة الثانية: الكرَّامية أتباع محمد بن كرام، يقولون: الإيمان هو النطق باللسان، فإذا نطق باللسان وقال: آمنتُ، أو قال: لا إله إلا الله، فهو مؤمن ولو كان مكذباً بقلبه، فإذا نطق بلسانه فهو مؤمن، كامل الإيمان عند الكرامية، وإن كان مكذباً بقلبه، فإنه يخلد بالنار، ولو كان مؤمناً!!، فيجمعون بين المتناقضين فيقولون: هو مؤمن كامل الإيمان؛ وهو مخلد في النار؛ هو مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه آمن بلسانه، وهو مخلد في النار؛ لأنه مكذب بقلبه. هذا مذهب الكرامية؛ الذين هم الطائفة الثانية من المرجئة.

الطائفة الثالثة: الماتريدية والأشاعرة. ومذهبهم: أنَّ الإيمان هو مجرد التصديق، ولو لم ينطق بلسانه، فبمجرد التصديق في القلب يحصل له الإيمان، ويثبت له. وهذا القول هو إحدى روايتين عن الإمام أبي حنيفة؛ يرى أن الإيمان هو: التصديق في القلب من دون إقرار اللسان. والتصديق المجرد

هذا يقول عنه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعسر التفريق بينه وبين المعرفة، وبينه وبين مذهب الجهم، ويقول: إن أبا الحسن الأشعري، نصر مذهب الجهم.

فالأعمالُ ليست داخلة في الإيمان، عند هذه الطوائف كلها.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء، وهم أهل الكوفة، ومذهبهم: أن الإيمان شيئان: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وأما الأعمال فليست داخلة في مسمى الإيمان، هذا مذهب مرجئة الفقهاء، وهي الرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة، وعليها أكثر أصحابه. وأول من قال بالإرجاء حماد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة.

هذه طوائف المرجئة الأربع، وكلهم يقولون: الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان.

وكلهم يقولون أيضاً: الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص. وشبهتهم في هذا؛ أنَّ الإيمان حقيقة مركبة، والحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها!! وهذا قولٌ باطل؛ من قال: إن الحقيقة تزول بزوال بعض أجزائها، فقوله باطل؛ لأن الإنسان حقيقة مركبة، وهو مُركَّب من أجزاء، فهل إذا قُطع نصفه؛ تزول حقيقته الإنسانية؟ لا تنقص ولا تزول.

فهؤلاء المرجئة ـ كما مضى ـ كلهم يقولون: إنَّ الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان. هذا قول المرجئة ـ بطوائفهم الأربع: الجهمية، والكرامية، والماتريدية والأشعرية، ومرجئة الفقهاء، كلهم يقولون: الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وكلهم يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وأما جماهير أهل السنة؛ الأئمة الثلاثة: الشافعي، ومالك، وأحمد، والجماهير، فإنهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل؛ قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح؛ يزيد وينقص، ويقوى ويضعف. والأدلة في هذا كثيرة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]؛ فأدخل عمل القلب، الذي في قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]،

وكذلك ما ذكره في الآية من زيادة الإيمان، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق؛ كلها دخلت في مسمى الإيمان.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]. وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»[١]، وفي رواية البخاري: «**بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٢]، فهذه النصوص دليل واضح على أن الإيمان يتبعَّض. والبضع: من ثلاثة إلى تسعة.

وقد تتبع البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الشُّعب من الكتاب والسنة، وأوصلها إلى أعلى الجمع، وهي تسع وسبعون؛ فألَّف كتاباً سَمَّاه «شُعب الإيمان»، وتتبعها من النصوص.

فالإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول: لا إلٰه إلا الله، وهي قول باللسان، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وهذا عمل بدن، والحياء شعبة من الإيمان، وهذا عمل قلبي، وبين تلك الشُّعب: الأعلى والأدنىٰ، شُعَبٌ أخرى، فالصلاة شعبة، والصيام شعبة، والزكاة شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، وهكذا. فكل هذه شُعب داخلة في مسمى الإيمان.

وفي الحديث الذي رواه الشيخان: لما قدم وفد عبد القيس على

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٨)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي (٨/ ١١٠)، وابن ماجه (٥٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وابن ماجه (٥٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤١٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن هذا الحي من ربيعة قد حالت بيننا وبينك كُفّار مُضر، ولسنا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه مَنْ وراءنا. قال: «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله، وعقد يده هكذا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفت. وقال سليمان وأبو النعمان عن حماد: الإيمان بالله شهادة أن لا إلا إله الله**»[1].

فَفَسَّرَ الإيمانَ في هذا الحديث، بالعمل؛ فأدخل في الإيمان بالله: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الخمس من المغنم، فكيف يقال بعد هذا: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان!!.

وأما الخوارج والمعتزلة، فإن مذهبهم في مسمى الإيمان، هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ لا يفترق. وذلك أنهم يقولون: الإيمان قول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، لكن الفرق بينهم وبين أهل السنة والجماعة، أنَّ أهل السنة والجماعة يقولون: إذا فعل الإنسان المعصية، نقص الإيمان وضعف، وأما الخوارج والمعتزلة فيقولون: إذا فعل الإنسان الكبيرة انتقض إيمانه وخرج من الإيمان؛ يعني: يخرج من الإيمان بالكبيرة؛ لأن الإيمان - عندهم - شيء واحد، إذا زال: زالَ جميعُه، وإذا ثبتَ: ثبت جميعه؛ لأنه لا يتبعض؛ ولأنه حقيقة مركبة، والحقيقة المركبة تزول بزوال أجزائها.

إذاً فالخوارج مع قولهم: إنَّ الإيمان قول، وعمل، وتصديق، لكنهم يقولون: إذا فعل المرءُ الكبيرةَ؛ زال عنه الإيمان بالكلية؛ أي: خرج من الإيمان ودخل في الكفر، ويخلدونه في النار. والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر؛ فيكون في منزلة بين المنزلتين، ويسمونه فاسقاً؛ لا هو مؤمن ولا هو كافر، ويخلدونه في النار؛ كالخوارج، وهذا من أبطل

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٨)، واللفظ له، ومسلم (١٧) الإيمان، وأبو داود (٣٦٩٢)، والترمذي (٢٦١١)، والنسائي (٨/ ١٢٠)، وأحمد في المسند (١/ ٣٣٣، ٣٣٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الباطل. وأمَّا مرجئة الفقهاء، وهم الإمام: أبو حنيفة وغيره، فيقولون: الإيمان شيئان: إقرار اللسان، وتصديق بالقلب. ويقولون: الأعمال ليست من الإيمان لكنها مطلوبة، فعندهم: أن الواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، لكن لا نسميها إيماناً، وإلا فهي مطلوبة، مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

وكذلك تَرْكُ المحرمات، فقالوا: المسلم مطلوب منه أن يترك المحرمات، مثل: شرب الخمر، والتعامل بالربا، ويترك الرشوة، لكن لا نسمي هذه إيماناً، بل نقول: الإنسان عليه فعل الواجبات، وترك المحرمات، لكنها ليست من الإيمان، وجمهور أهل السنة يقولون: الأعمال واجبة، وهي من الإيمان.

وعليه، فقد قيل: إن الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين الجمهور خلاف لفظي؛ لأن كلّاً من الطائفتين اتفقوا على أن الواجبات واجبات، واتفقوا على أن المحرمات محرمات، واتفقوا على أن الواجب يجب فعله، وأن من فَعَلَهُ يثاب، وأن مَنْ تركه فإنه يعاقب، وكذلك المحرم يجب تركه، وأن من فعله يعاقب. هذا ما اتفقوا عليه، لكن اختلفوا في التسمية، فجمهور أهل السنة قالوا: نسمي الأعمال إيماناً، والأحناف قالوا: لا نُسميها إيماناً.

لكن التحقيق أن الخلاف ليس لفظياً، ويتبيّن ذلك من وجوه:

أولاً: أنَّ جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، ومرجئة الفقهاء وافقوا الكتاب والسنة في المعنى وخالفوهما في اللفظ، والواجب على المسلم أن يتأدب مع النصوص، وأن يوافق الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، ولا يجوز له أن يخالفهما لا في اللفظ، ولا في المعنى.

ثانياً: أن مرجئة الفقهاء في اختلافهم مع جمهور أهل السنة، فتحوا البابَ للمرجئة المحضة، فدخلوا معهم؛ لما قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وإن كانت واجبة؛ فدخلتْ المرجئةُ المحضةُ الجهميةُ، وقالوا: ليست واجبة.

ثالثاً: أنهم فتحوا الباب للفُسَّاق، فيأتي الفاسق السّكير العربيد فيقول: أنا مؤمن كامل الإيمان؛ إيماني كإيمان أبي بكر، وعمر، وكإيمان جبريل، وميكائيل، فإذا قيل: كيف يكون إيمانك كإيمان أبي بكر، وعمر، وأبو بكر،

وعمر، لهما أعمال عظيمة؟! فيقول: لأن الإيمان هو: التصديق فقط، ولا علاقة للعمل بالإيمان، وعلى هذا: فأنا مصدّق وأبو بكر مُصدّق، فأنا وَهُمْ في هذا الأمر سواء!!

رابعاً: من ثمرات الخلاف بين مرجئة الفقهاء وجمهور أهل السنة: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول المُسلم: أنا مؤمن إن شاء الله، فمرجئة الفقهاء يمنعون أن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، يقولون: لأنك بهذا: تشك في إيمانك؛ والإيمان شيء واحد وهو: التصديق، وأنت تعرف من نفسك أنك مصدق، كما تعلم من نفسك أنك تحب الرسول، وتبغض اليهود، فكيف تقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟! ولهذا يقولون: من قال: أنا مؤمن إن شاء الله، فقد شكَّ في إيمانه، ويسمونهم: الشكّاكة. فيمنعون بناءً على أصلهم الفاسد هذا الاستثناءَ في الإيمان.

وأما جمهور أهل السنة فيفصّلون، فيقولون: يجوز الاستثناء باعتبار، ولا يجوز باعتبار؛ فإذا قصد الإنسانُ الشكَّ في أصل إيمانه، فلا يجوز له الاستثناء، فلا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أما إذا لم يرد الشك في أصل إيمانه، وأراد: أن الإيمان متعدد، وأنه شُعب، وأن الإنسان لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه أدّى ما عليه؛ فإنه يستثني، ويجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، ويكون الاستثناء راجعاً إلى شرائع الإيمان؛ لأنه متعدد، والإنسان لا يجزم بأنه أدى ما عليه، ولا يزكي نفسه، بل يزري على نفسه فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ يعني: إن شاء الله كملتُ وأديتُ ما عليَّ.

وكذلك إذا أراد بالاستثناء، التبرك بذكر اسم الله، فله أن يستثني فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وكذلك إذا أراد عدم علمه بالعاقبة، وأما إذا أراد الشك في أصل الإيمان فلا.

فهذه كلها من ثمرات الخلاف بين مرجئة الفقهاء؛ أبي حنيفة وأصحابه القائلين بأن الإيمان: تصديق القلب، وإقرار باللسان، وبين جمهور أهل السنة القائلين: بأن الإيمان: قول، وعمل، ونية.







كفر تارك الصلاة

قال رحمه الله: «ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله».

الشرح

من أصول السنة ـ كما قال الإمام أحمد ـ: أن مَنْ ترك الصلاة: فقد كفر؛ إذْ ليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة؛ فمن تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله. هذا دليلٌ على أن الإمام أحمد رحمه الله يُكَفِّرُ تاركَ الصلاة؛ لأنه ـ كما هاهنا ـ، يقول: من ترك الصلاة فقد كفر؛ يعني: كفراً أكبر مخرجاً من الملة. هذا معنى قوله: «وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة»؛ لأن هناك من الأعمال ما فِعْله كفر، لكنه لا يُخرج من الملة، مثل قول النبي ﷺ: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**(١)، سَمَّاهما النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: كفراً، ولكنهما لا يُخرجان مَنْ فعلهما من الملة. وقوله: «**وقد أحل الله قتله**» واضحٌ معناهُ، وأنَّ من صلى فلا يُقتل كما يفيدُه مفهومُ المخالفَة؛ ولهذا قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**نُهيتُ عن قتل المصلي**»(٢)؛ فدل على أن الذي لا يصلي لم يُنْهَ عن قتله، بل يُقتل.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٦٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٧، ٤١١، ٤٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث حسن لغيره: أخرجه أبو داود (٤٩٣٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦١٢٦)، والدارقطني في سننه (٢/ ٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٤٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٥٠٦)، ولمزيد من البحث انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٧٩).

ومسألة ترك الصلاة فيها تفصيل للعلماء، وهي على حالتين:

الحالة الأولىٰ: أن يتركها جحداً لوجوبها؛ فإذا تركها جاحداً لوجوبها، فهذا كافر بإجماع المسلمين، من غير خلاف؛ لأنه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، وهو: وجوب الصلاة، وهذه قاعدة عند أهل العلم: أنَّ مَنْ أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورةِ وُجُوبه: كفر، مثل لو أنكر وجوب الزكاة، واعتقد أنها غير واجبة؛ فإنه يكفر، وكذا لو أنكر وجوب الصوم، أو وجوب الحج: فهو كافرٌ؛ لأن هذه أمور معلوم من الدين بالضرورة: وجوبها؛ إذْ لَمْ يخالف أحدٌ في وجوب الصلاة، أو في وجوب الزكاة، أو في وجوب الصوم، أو في وجوب الحج.

لكن لو أنكر إنسان وجوبَ الوضوء من أكل لحم الإبل[1]، هل يكفر؟ لا يكفر؛ لأن انتقاض الوضوء بأكل لحم الجزور فيه خلاف بين أهل العلم، فبعضُ العلماء يرى الوضوء منه، وبعضهم لا يرى ذلك، فهذه مسألة خلافية، وليستْ وفاقيّة، لكن هل قال أحد منهم: إن الصلاة غير واجبة، أم أنهم أجمعوا على وجوبها، كما أجمعوا على وجوب الزكاة، والصوم، والحج، وأجمعوا على تحريم الخمر، والزنا، والربا، وعقوق الوالديْن، وقطيعة الرحم والغيبة، والنميمة، فكل هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة، إمَّا إيجابها، أو تحريمها؛ فَمُنْكِرُ ذلك: كافرٌ بإجماع أهل الإسلام.

لكن لو أنكر تحريم الدخان، فقال: الدخان ليس بحرام، فهل يكفر؟ لا يَكْفُر!! لماذا إذا أنكر تحريم الخمر يكفر، وإذا أنكر تحريم الدخان لا يكفر؟ الجواب: لأن الخمر مجمع على تحريمها، وأما الدخان ففيه شبهة؛ لأن هناك من يُفتي بإباحته، فتحصل له الشبهة بذلك، وإلا فالصواب أن الدخان حرام،

---

(١) وذلك لحديث النبي ﷺ الذي أخرجه مسلم (٣٦٠)، وغيره في الوضوء من لحوم الإبل.

وأنه لا شك في تحريمه؛ لأنه ضار بالصحة، والمال، والبدن، ولأنه مُنتن الرائحة، ولأن فيه من تضييع المال ما فيه، ومن الناس من يرى أنه يُسكر؛ وذلك أنه إذا تأخر عَنْ شُرْبِهِ ثم شَرِبَهُ فإنه يحصل له غيبوبة، وهذا نوعٌ من السكر، لكن متعاطيه له شبهة، كما تقدم. فالحاصل: أنه إذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وجوبه أو تحريمه: فإنه يكفر.

الحالة الثانية: أن يترك الصلاة مع الإقرار بوجوبها، فيعتقد أن الصلاة واجبة، ومفروضة، ويرى أنه مستحق للعقوبة بِتَرْكِها، لكنه تركها كسلاً وتهاوناً، فهل يكفر أو لا يكفر؟ هذا محل خلاف بين الأئمة، فالإمام أحمد يرى أنه يكفر ولو لم يجحد وجوبها، ولهذا قال: «**ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله**».

وهذا القول الذي ذهب إليه الإمام أحمد بتكفير تارك الصلاة كسلاً؛ هو الذي أجمع عليه الصحابة، وأشار الإمام أحمد إلى الإجماع الذي نقله عبد الله بن شقيق العقيلي التابعي الجليل الذي يقول: «ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة»[(١)].

ونقل الإجماع أيضاً إسحاق بن راهويه[(٢)]، والإمام أبو محمد بن حزم[(٣)]، فقالوا: إجماع العلماء على أن ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً يكون كفراً مخرجاً من الملة. فإذاً: قد أجمع الصحابة على هذا، وكذلك روىٰ الحاكم في مستدركه أن ترك الصلاة كفر، عن بعض الصحابة[(٤)].

---

(١) خبر صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٢).

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٢٩٢).

(٣) المحلى (٢/ ٢٤٢).

(٤) مثل أبي هريرة، وبريدة ﷺ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في الأحاديث القادمة.

فمن أدلة مَنْ يقول بكفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً؛ قول عبد الله بن شقيق المتقدم، وحديث بريدة بن حصين الذي رواه الإمام البخاري، أن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»[1]. والذي يحبط عمله هو الكافر. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى الْءَاخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، واستدلوا أيضاً بما رواه الإمام مسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»[2]، فجعل ترك الصلاة حَدّاً فاصلاً بين الإسلام وبين الكفر، والبَيْنِيَّةُ تَفْصِلُ ما بين الشيء والشيء.

وكذلك استدلوا بالحديث الذي رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن، بسند جيد، أن النبي ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[3]، فجعل الصلاة حداً فاصلاً بين أهل الإيمان والكفر. واستدلوا أيضاً بحديث: «**من ترك صلاةً متعمداً فقد برئت منه ذمة الله**»[4]، واستدلوا أيضاً

---

(١) خبر صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨٢)، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦١٨، ٢٦١٩)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٧٠)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٦، ٣٥٥)، وابن أبي شيبة (١١/ ٣٤)، وابن حبان (١٤٥٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦، ٧)، وصححه ووافقه الذهبي، والدراقطني (٢/ ٥٢)، والبيهقي (٣/ ٣٦٦)، من طرق عن الحسين بن واقد به، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٤) حديث صحيح لغيره: أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٨)، وفيه انقطاع فعبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يدرك معاذاً، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٦)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفيه عمر بن واقد متروك الحديث، وله شاهد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أخرجه بنحوه البخاري في الأدب المفرد (١٨)، وابن ماجه (٣٣٧١)، (٤٠٣٤)، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، وأخرجه أحمد في المسند (٦/ ٤٢١)، وعبده بن حميد (١٥٩٤)، والبيهقي في السنة (٧/ ٣٠٤)، وفي الشعب (٧٨٦٥)، وفيه مكحول وهو =

بحديث: النهي عن الخروج على الأمراء، وفيه: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[(١)]؛ يعني: واضحاً لا لبس فيه.

ثم قال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام مسلم، من حديث عوف بن مالك الأشجعي: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم**»[(٢)] ـ؛ يعني: تدعون لهم، ويدعون لكم ـ «**وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»[(٣)] «**قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة**»[(٤)]، فنهى عن الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة، فدلَّ ذلك على أنهم إذا لم يقيموا الصلاة؛ فيجوز الخروج عليهم.

فإذا ضممت هذا الحديثَ: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**»[(٥)] وفي لفظ: «**لا ما صلوا**»[(٦)] مع أحاديث النهي عن الخروج على الأمراء «**إلا أن تروا كفراً بواحاً**»[(٧)]، إذا جمعتَ بينهما؛ دل على أن ترك الصلاة كفرٌ بواح.

ومن ترك الصلاة فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل كفراً، وحينئذ لا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يُدفن مع المسلمين في مقابرهم، بل تُرمى جيفته كجيفة

= لم يسمع من أم أيمن، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٢٠٢٦)، ولمزيد من البحث انظر: الإرواء.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، واللفظ له، والدارمي (٢/ ٣٢٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٤، ٢٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥٥)، واللفظ له، والدارمي (٢/ ٣٢٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٤، ٢٨٩).

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٥) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٦) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥٤)، وأبو داود (٤٧٦٠، ٤٧٦١)، والترمذي (٢٢٦٥).

(٧) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٦).

الحمار أو الكلب، والعياذ بالله، ويُحفر له حفرة حتى لا يؤذي الناس بنتنه.

وذهب بعض الفقهاء المتأخرين إلى أن ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً لا يكون كفراً أكبر، وإنما يكون كفراً أصغر، واستدلوا بأن معه شعبة من شعب الإيمان، وهو التصديق، وقالوا: كيف نجعله مثل المكذب، فالمكذب هذا جاحد كافر، وهذا مؤمن يصدق بالصلاة ويقول: أنا أشهد أن الصلاة واجبة، لكنه تركها كسلاً، فمثل هذا لا يكفر؛ لأن معه شعبة من شعب التصديق، ولأن الصلاة عمل، فلا يكون كفره كفراً مخرجاً من الملة، بل كفراً أصغر. وهذا حُكمه أن يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل حداً، وإذا قُتِلَ فإنه يُصلى عليه؛ لأنه قُتل حداً.

هذا ما ذهب إليه كثير من الفقهاء المتأخرين من الشافعية، والحنفية، والمالكية، والحنابلة، يرون أن ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً؛ لا يُخرج من الملة. لكن أي القولين أصوب؟ الله تعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩] ونحن إذا رددنا هذه المسألةَ إلى النصوص، وجدنا أن النصوص، تؤيد القول الأول، وهو القول بكفر تارك الصلاة كَسَلاً وتهاوناً.

وحكم الحاكم عند أهل العلم يرفع الخلاف، فإذا رُفِعَ إلى القاضي رجل لا يصلي، فنقول: إن حكم عليه بالكفر الأكبر وقتله على أنه مرتد؛ فإنه يكون مرتداً، وإن حكم عليه بأنه يقتل حداً يكون كفره كفراً أصغر؛ لأن القاعدة عند أهل العلم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، وهنا مسألة: وهي: إذا قلنا بأنَّ تارك الصلاة يكفر، فهل يكفر بترك الصلوات كلها، أو بترك بعضها؟ على قولين:

قال بعض العلماء: إنه لا يكفر حتى يترك الصلوات كلها، أما إذا كان يصلي ويترك: فلا يكفر، بل لا بد أن يترك الصلوات كلها.

وقال آخرون من أهل العلم: إنه يكفر ولو ترك فرضاً واحداً عامداً متعمداً؛ فإذا ترك فرضاً واحداً متعمداً حتى خرج الوقت، وليس له عذر في

ذلك؛ أي: ليس متأولاً، ولا ناسياً، ولا نائماً نوماً يُعذر فيه، قالوا: بكُفْرِه، وعلى هذا: فالذي يؤخر صلاة الفجر ولا يصليها إلا بعد شروق الشمس متعمداً، كما يفعل بعض الناس، فإنه يكفر على هذا القول؛ لأن بعض الناس يضبط الساعة على وقت العمل، ولا يستيقظ إلا بعد شروق الشمس، ويستمر على هذا الأمر ويعتادُه، حتى إنه إذا نُبِّهَ وَحُذِّر، لم يلْتفتْ ولم يكترث. فمثل هذا كَفَّرَهُ جمع من أهل العلم، منهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أفتى بأن الذي يؤخر الصلاة عن وقتها باستمرار، بحيث يكون ذلك ديدنه وعادته؛ فإنه يكفر والعياذ بالله.

فالأمر في هذا جدٌّ خطير. فالواجب على المسلم أن تشتد عنايته بالصلاة، وأن يحافظ عليها، وأن يؤديها في وقتها، ويؤديها في الجماعة، ويحرص على الخشوع، وحضور القلب، والطمأنينة، ومتابعة الإمام؛ لأن الصلاة هي آخر ما يُفقد من الدين، ولأن حظ المسلم من الإسلام على قدر حظه من الصلاة، ولأن من حافظ على الصلاة، فإنه لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وليس بعد ذهابها إسلام ولا دين، ولأن المسلم إذا أقام الصلاة وأداها وأقامها كما أمر الله، نهته عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وصلاة الجماعة واجبة لا يجوز للمسلم أن يتخلف عن الجماعة إلا بعذر، ومن تخلف عنها من غير عذر؛ فقد تشبه بالمنافقين.

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من سمع النداء ثم لم يُجب فلا صلاة له إلا من عذر**»(١)، وثبت أن رجلاً أعمى سأل النبي ﷺ - وهو عبد الله بن أم مكتوم -، فقال: يا رسول الله إني رجل ضرير البصر ولي قائد

---

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه (٧٩٣)، والطبراني في الكبير (١٢٢٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبغوي في شرح السنة (٧٩٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٠٠).

شاسع الدار يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي، قال: «**هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: لا أجد لك رخصة**»[(١)]. وفي الصحيح: أنه رخص له أولاً ثم رده ثانياً. «**فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال نعم: قال فأجب**»[(٢)].

فإذا كان النبي ﷺ لا يجد رخصة لهذا الأعمى الضرير، الذي ليس له قائد يلائمه، فكيف يجد الإنسانُ لنفسه رخصةً وهو صحيح ليست به علة؟ وفي الحديث: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان**»[(٣)]. أو كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقد هَمَّ النبي ﷺ أن يحرق بيوتَ قوم بالنار؛ لا يشهدون الجماعة، فقال: «**لقد هممتُ أن آمُرَ بحطبٍ ليحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أخالف إلى رجال فأحرّق عليهم بيوتهم**»[(٤)]؛ يعني: بيوتهم.

وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»[(٥)]،

---

(١) حديث صحيح لغيره: أخرجه أبو داود (٥٥٢)، وابن ماجه (٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٤٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٨٠)، والطبراني في الصغير (٧٣٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٧، ٣/ ٦٣٥)، والبيهقي في السنن (٣/ ٥٨)، والبغوي في شرح السنة (٧٩٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٧٩٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٣)، والنسائي (٨٤٩)، ولم يذكر الصحابي الذي رخص له ثم رده.

(٣) حديث حسن: أخرجه أبو داود (٥٤٧)، واللفظ له، والنسائي (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦، ٦/ ٤٤٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٦)، وابن حبان (٢١٠١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١١)، والبيهقي في السنن (٣/ ٥٤)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠١).

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٤)، واللفظ له، ومسلم (٦٥١)، وأبو داود (٥٤٨)، والنسائي (٨٤٨)، وابن ماجه (٧٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) خبر صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٤/ ٢٥٧) واللفظ له، والنسائي (٨٤٤)، وابن ماجه (٧٧٧)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٢، ٤١٥، ٤٥٦).

ثم قال: «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف**»[١]. قوله: «**لو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»، هذا دليل على أن من ترك الجماعة يقال له: ضال، وفي رواية: «**لكفرتم**»[٢]. لكنَّ فيها ضعفاً.

وفيه دليل على أن الصحابة كانوا يحرصون على الجماعة، حتى إن المريض كان يُهَادَى بين اثنين حتى يقام في الصف، وفيه: أن التخلف عن الجماعة من علامات النفاق، ولهذا قال ﷺ: ولقد رأيتُنا ـ يعني: معشر الصحابة ـ وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق. وقال ـ عليه الصلاة والسلام: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً**»[٣]. فالجماعة والاجتماع في الصلاة شأنه عظيم؛ لأن فيه إشعاراً وإظهاراً لهذه الشعيرة العظيمة.

وفيه: اجتماع المسلمين وتآلفهم، وترابطهم، وتعاونهم. والائتلاف والاجتماع مَظْهَرُ قوةٍ أمام الأعداء. فهذه من محاسن الشريعة؛ الاجتماع للصلاة، والتآلف، والترابط، والتراحم بين المسلمين. ومِنْ أَسَفٍ أن هذه الصلاة أضاعها كثيرٌ من الناس، وتهاونوا بها، وجعلوها من آخر أمورهم اهتماماً؛ بحيث يصلونها في أوقات فراغهم!!.

فالصحابة والسلف ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يعتنون بها عناية عظيمة، وكان كثير من السلف يحرص على تكبيرة الإحرام ألا تفوته، فكانت تمضي عليه مدة لم تفته تكبيرة الإحرام، لكن ابتلي الناسُ في هذا الزمن بالعوائق والصوارف التي تصرف الناس عن الصلاة، وخصوصاً صلاة الفجر، فلا تكاد تجد المحافظين على صلاة الفجر إلّا قلة؛ بسبب ما ابتلي الناس به من السهر

---

(١) خبر صحيح تقدم فيما قبله.

(٢) أخرجها أبو داود (٥٥٠)، وفيه المسعودي وهو ضعيف لاختلاطه، ومحمد بن وضاح؛ مجهول الحال.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١/ ٢٥٢)، واللفظ له عن أبي هريرة ﷺ.

على آلات اللهو، ومشاهدة القنوات الفضائية، والشبكة المعلوماتية، وما يُنشر فيها من الشرور، والبلاء، والفتن، والتشكيك في دين الإسلام، والتفسخ، والعُري، وتعليم الإجرام، والزندقة. فهذه الأمور كلها كانت سبباً في تضييع صلاة الفجر وتأخيرها عن وقتها، وسبباً في انتشار الفساد الخُلقي، وحلول الشرور والفتن، التي تنذر بخطر وشر كثير، إن لم يتدارك الناس أنفسهم، وإن لم يتدارك ذلك العقلاء ويأخذوا على أيدي السفهاء؛ فأعداء الإسلام والمفسدون، باتت بأيديهم مفاتيح الشرور، والتي منها هذه القنوات الفضائية التي يُشاهدها الناس، وفيها مواقع للتشكيك في دين الإسلام، ومواقع تدعو إلى النصرانية، ومواقع تدعو إلى الرذيلة، والتفسخ والعري، ومواقع تُفسد العقيدة، وتؤثر على عقائد الناس وتصوراتهم، حتى يعتقدوا الباطل ويعتنقوه، ويعتقدوا ما يخالف الحق، إلى غير ذلك من الشرور والفتن، فنسأل الله أن يعصمنا وإياكم جميعاً من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

والواجب على المسلم في وقت الفتن؛ أن يُقبل على العلم الشرعي، وعلى العبادة، فذلك ممّا يعصمه من الفتن، فالعصمة من الفتن إنما تكون بلزوم الكتاب والسنة، والاعتصام بهما، ولزوم العبادة، ولزوم أهل الخير، والبُعد عن الأشرار، وعن مَواطن الشر والفتن وأسبابهما؛ وذلك بتطهير البيت من هذه الآلات والأجهزة الخبيثة، والبعدُ عن مواقع البث السيئة، وعدم استعمال الأشرطة الخبيثة، وتواصي الناس بالحق، وحث الناس بعضهم بعضاً على الخير، وتحذيرهم من الذنوب والآثام، حتى يسلموا من هذه الإِحن والفتن: لأن من آثار الاستمرار على الشرور والفتن، حصول العقوبات، والمصائب، والنكبات، وحلول المَثُلات؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أَوْشَكَ اللهُ أن يعمهم بعقابه**»[1]. فنسأل الله أن يكفينا

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٩)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢، ٥، ٧، ٩)، وأبو يعلى في مسنده (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢)، والحميدي (٣)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٤)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الشرور والفتن، وأن يعصمنا منهما فإنَّ العقوبات والمصائب والنكبات كلها من آثار الذنوب والمعاصي، وإلّا فما الذي أخرج الأبوين من الجنة؛ دار اللّذة والسرور؛ إلّا الذنوب والمعاصي، وما الذي أغرق أهل الأرض في زمن نوح، حتى علا الماء على رؤوس الجبالِ؛ إلا الكفر والذنوب والمعاصي، وما الذي أهلك عاداً بالريح العقيم؛ إلّا الذنوب والمعاصي: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤٢]، وما الذي أهلك ثمود بالصيحة، حتى تَقَطَّعَتْ أمعاؤهم في أجوافهم؛ إلّا الذنوب والمعاصي، وما الذي أغرق فرعون وقومه، إلا الذنوب والمعاصي، وما الذي أرسل على بني إسرائيل قوماً تسلطوا عليهم، فجاثوا خلال الديار، وخرَّبوها، ونهبوا الأموال؛ إلا الذنوب والمعاصي.

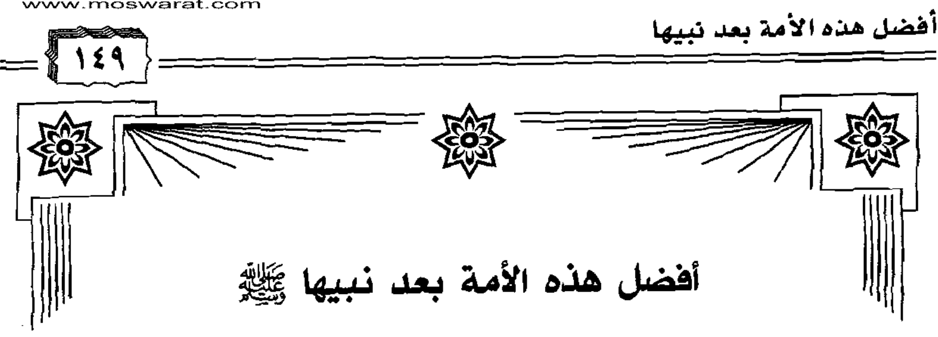
وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري من حديث زينب رضي الله عنها مرفوعاً: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلّق بأصبعيْه: الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[1].

وَالخَبَثُ: المعاصي. فنسأل الله لنا جميعاً الثبات على دينه والاستقامة عليه حتى الممات؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٠)، والترمذي (٢١٨٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣)، وأحمد في المسند (٦/٤٢٨، ٤٢٩).





أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ؛ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة، علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد، كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام، ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون، أبو بكر وعمر، وعثمان، ثم نسكت»(١)، ثم من بعد أصحاب الشورى؛ أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، على قدر الهجرة والسابقة، أولاً فأول، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء؛ أصحاب رسول الله ﷺ، القرن الذي بُعث فيهم».

الشَّرْح

هذا هو المقرر والمعتمد عند أهل السنة والجماعة: أنَّ خير هذه الأمة بعد نبيها؛ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، وأنَّ هؤلاء الثلاثة مقدَّمون على سائر الصحابة، كما قدمهم رسول الله ﷺ، لم

---

(١) خبر صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وأبو داود (٤٦٢٧)، والترمذي (٣٧٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ١٤)، وغيرهم.

يختلفوا في ذلك. فخير هذه الأمة بعد نبيها، هو أبو بكر الصديق، فهو أفضل الناس بعد الأنبياء.

لكن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا نزل في آخر الزمان يكون أيضاً من أفراد هذه الأمة، ولذلك يقال: خير الأمة بعد نبيها؛ نبي الله عيسى، ثم يليه الصدِّيق، وهو خير الأمة بعد الأنبياء.

فنقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ، لم يختلفوا في ذلك ـ كما سبق ـ. ثم بعد هؤلاء الثلاثة، علي بن أبي طالب، وهو الرابع، وكانوا يُرَبِّعُونَ بعلي بن أبي طالب، أما هؤلاء الثلاثة فهم مُقَدَّمُون، وعلي رضي الله عنه هو الرابع، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. يُثَلِّثُون بعثمان، ويربعون بعلي[١]. فهؤلاء الأربعة هم أفضل الناس.

وترتيبهم في الفضيلة، كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان، ثم علي.

وقد كان هناك خلاف بين السلف في تقديم عثمان على عليٍّ، من جهة الفضل، وروي عن الإمام أبي حنيفة[٢] تقديم علي على عثمان في الفضيلة، لا في الخلافة، وروي عنه أنه رجع ووافق الجمهور، فكان ذلك إجماعاً على تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما وهذا الخلاف المشار إليه، إنما هو في الفضيلة، ولكن جماهير الصحابة على تقديم عثمان على علي أيضاً في الفضيلة، أما الخلافة فلا يقدّم أحدٌ علياً على عثمان أبداً.

فمن قَدَّم علياً على عثمان في الخلافة، فهذا ضال عند أهل السنة والجماعة، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: من قَدَّم علياً على عثمان فهو أضل من حمار أهله[٣]؛ يعني: الذي يُقدِّم علياً على عثمان في الخلافة، وقال: من قدم علياً على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين[٤]؛ يعني: احتقر رأيهم؛ لأن

---

(١) الفتاوى (٣/ ١٥٣).

(٢) اختصار علوم الحديث ص١٨٣، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (٥٤٦)، وابن عبد البر في الانتقاء ص٦٣.

(٣) اختصار علوم الحديث (٣/ ١٥٣).

(٤) اختصار علوم الحديث (٤/ ٤٤٤).

المهاجرين والأنصار أجمعوا على تقديم عثمان في الخلافة، ولهذا لما تشاور الستة الذين جعل عمر رضي الله عنه فيهم الخلافة، وجعل الأمر لعبد الرحمٰن بن عوف، وصار يشاور الناس ثلاث ليال، ولما حضر الناس والمهاجرون والأنصار ووجهاء الناس، تَشهَّد عبد الرحمٰن بن عوف، وحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: يا علي إني رأيت وجوه الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن لنا لنفسك عليك سبيلاً، ثم قام وبايعه، وبايعه المهاجرون، والأنصار، والأمراء، والأجناد، وتمت له البيعة.

فهذا إجماع علىٰ تقديم عثمان على علي في الخلافة، ولم يخالف في هذا أحد، ما عدا الرافضة، لكنهم أهل بدعة، فلا يأخذ بقولهم، ولا يلتفت إلى خلافهم.

❁ **قال المؤلف** رحمه الله: «ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة».

وهم الخمسة الذين سيذكرهم المؤلف، ومعهم عثمان، فيكون الصواب أنهم ستة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. فهؤلاء جعل عمرُ رضي الله عنه الأمر شورى بينهم، لما طُعن، وقال: كلهم يصلحُ للخلافة، وكلهم إمام.

وذهب الإمامُ أحمدُ في التثليث بعثمان، والتربيع بِعَلِيٍّ، إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: «كنا نعد ورسول الله ﷺ حي، وأصحابه متوافرون، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت»[(١)]، قال عبد الله بن الإمام أحمد في السُنة: «سألتُ أبي عن التفضيل بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي؟ فقال أبي رحمه الله: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي الرابع من الخلفاء»[(٢)]، قال: قلت لأبي: «إن قوماً يقولون إنه ليس بخليفة؛ يعني: علياً، قال: هذا قول سوء رديء»[(٣)].

وقال: أصحاب رسول الله ﷺ يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم وقد حج بالناس عَلَيٌّ، وَقَطَعَ، وَرَجَمَ، وأقام الحدود، وقطع يد السارق، ورجم الزاني؟! فلا يكون هذا إلا خليفة»، قال: «قلت لأبي: من احتج بحديث عبيدة

---

(١) خبر صحيح تقدم ص١٧٧.
(٢) السنة (٢/ ٥٧٤) رقم (١٣٤٩).
(٣) السنة (٢/ ٥٧٤) رقم (١٣٤٩).

أنه قال لعلي: رأيك في الجماعة أحب إلي من رأيك في الفرقة، فقال أبي: إنما أراد أمير المؤمنين بذلك أن يضع نفسه بتواضع، قوله: خبطتنا فتنة؛ تواضع بذلك»[1]. فعلي بايعه أكثر أهل الحل العقد، فثبتت له البيعة.

وامتنع معاوية وأهل الشام؛ لأنهم طالبوا بدم عثمان، لا لأنه ليس أهلاً للخلافة، فكانوا مُقرّين بالخلافة لعليٍّ، لكن كانوا يطالبون بدم عثمان أولاً، وبعد الاقتصاص من القتلة، يبايعون علياً. قال أبو حاتم، وأبو زرعة في ذكر الاعتقاد الذي أجمع عليه أهل الأمصار: «وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون».

وقال البربهاري في شرح السنة: «قال طعمة بن عمرو، وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي، فهو شيعي، لا يُعَدَّل، ولا يكلَّم، ولا يجالسَ، ومن قدّم علياً على عثمان فهو رافضي، قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ، ومن قَدّم الأربعة على جماعتهم، وترحّم على الباقين، وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب»[2].

وروى الخلال في السنة[3]، بسند صحيح عن صالح ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، أنه سأله عمن لا يفضل أبا بكر وعمر على غيرهما، قال: «السنة عندنا في التفضيل؛ ما قال ابن عمر: كنا نعدّ ورسول الله ﷺ حي: أبو بكر، وعمر، وعثمان، ونسكت».

قال المصنف: «ثم بعد أصحاب الشورى، أهل بدر من المهاجرين»؛ يعني: يلونهم في الفضيلة، وأصحاب الشورى يكملون العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم أيضاً: أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. ثم قال: «ثم أهل بدر من الأنصار»؛ لأن أهل بدر قسمان: مهاجرون

---

(١) السنة (٢/ ٥٧٤) رقم (١٣٤٩، ١٤٠١).

(٢) السنة البربهاري (١/ ٥٨).

(٣) (٥٠٧)، وفي السنة للإمام أحمد (١٣٤٧)، وقد سبق هذا الخبر في ص١٧٧، وهو صحيح.

وأنصار، فالمهاجرون أفضل، ثم يليهم الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على قدر الهجرة والسابقة أولاً؛ فأول من تقدمت هجرته؛ أفضل، ومن تقدم إسلامه؛ أفضل، والذي أسلم أولاً وصلى إلى القبلتين أفضل، والذي أسلم قبل الحديبية؛ أفضل.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء؛ أصحاب رسول الله ﷺ وقرنه الذي بُعث فيهم، إشارة إلى قول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)]، وهذه القرون هي القرون المفضلة الثلاثة، وأما أهل البدع، فإنهم على خلاف معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة، وهم طائفتان: النواصب والروافض؛ الروافض الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما سألوه عن أبي بكر وعمر؟ فقال: هما وزيرا جدي رسول الله ﷺ، فرفضوه، فقال: رفضتموني؛ رفضتموني؛ فَسُمّوا: الرافضة، وكانوا قبل ذلك يُسمون: الخشبية؛ لأنهم قالوا: نقاتل بالخشب، ولا نقاتل بالسيف حتى يخرج المهدي.

وهؤلاء الروافض هم الذين غلوا في أهل البيت، وعبدوهم من دون الله، وَكَفَّروا الصحابةَ، وسبوهم، وعادوهم. وتكفير الصحابة ومعاداتهم تكذيب لله؛ لأن الله زكاهم، وعدَّلهم، ووعدهم الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] وهي الجنة، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال ﷺ: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] ثم قال في آخر الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أم مبشر أخرجه مسلم (٢٤٩٦) وغيره.

عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]. فمن كَفَّرهم فقد كذَّب الله، ومن كَذَّبَ اللهَ: كَفَرَ.

فعلى هذا: يكون الروافض كَذَّبُوا اللهَ؛ فيكونون كفاراً، وكذلك هم كذبوا الله في أن القرآن محفوظ، وزعموا أن القرآن لم يبق منه إلا الثلث، وأنه ضاع ما يقرب من ثلثيه، وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

فمن عقائدهم الباطلة: أن الصحابة كَفَرُوا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ نَصَّ على أن الخليفة بعده علي بن أبي طالب، لكن الصحابة أخفوا النصوص بذلك!! ثم ادّعوا أنه نص على الخلفاء مِنْ بعدهم، وأن الخليفة الثاني هو الحسن بن علي، والخليفة الثالث: الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الثاني عشر: محمد بن الحسن، الخلف، الحُجة، المهدي المنتظر، الذي دخل سرداب سامراء في العراق سنة ستين ومائتين، ولم يخرج إلى الآن.

فالرافضة يزعمون أن هؤلاء الأئمة؛ نَصَّ عليهم النبي ﷺ، وهم أيضاً معصومون؛ يعني: لهم العصمة؛ لئلا يُخلي اللهُ العالَمَ من لُطفه ورحمته، فإذا كان النبي ﷺ نص على أن هؤلاء الاثني عشر هم الخلفاء والأئمة مِنْ بعده، فيكون الصحابة بهذا قد كفروا وارتدوا؛ لمَّا أخفوا النصوص، وولوا أبا بكر وعمر؛ زوراً وبهتاناً، ثم ولوا عثمان؛ زوراً وبهتاناً، ثم وصلت النوبة إلى الخليفة الأول علي. وقولُ الروافض هذا تكذيب لله؛ لأن الله زكّى الصحابة، وعدَّلهم، ووعدهم الجنة.

والعجيب أن محمد بن الحسن الذي يسمونه المهدي، مات أبوه الحسنُ بن علي العسكري عقيماً ولم يولد له، ولم يعقّب!! لكن الرافضة اختلقوا له ولداً، وزعموا أنه دخل السرداب سنة ستين ومائتين، وما خرج إلى الآن!! وقالوا: إن أمر الأمة موقوف على خروجه، وأنه ليس هناك طريق

للسعادة، ولا دخول للجنة، إلا عن طريق هذا الإمام الذي دخل السرداب!!

وعلى هذا: يكون أول الأشقياء المعذبين؛ هم الرافضة؛ لأنهم ما عرفوا حاله، ولا عرفوا ما يأمر به، ولا ما ينهى عنه؛ فيكونون هم الأشقياء حقاً.

ثم كيف يعلّق اللهُ أمر الأمة على شخص موهوم؟! والمرأة إذا تأخر عنها زوجها، أو وغاب عنها زوجها، ورفعت أمرها إلى الحاكم؛ يفسخ عقْدَها؛ لرفع الضرر عنها، فكيف تُجعل الأمةُ كلها مربوطة بشخص موهوم، لا حقيقة له، ويقال: لا طريق ولا جهاد حتى يخرج هذا المهدي؟!!. لأنهم يقولون: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي من السرداب، وينادي مناد من السماء: أن اتبعوه!! فمهديُّ الشيعةِ خرافة لا حقيقة له؛ لأنه لا وجود له أصلاً، ومات أبوه عقيماً؛ ولم يولد له، ولو قُدِّر أنه موجود فكيف يعيش هذه المدة في السرداب، وقد مضى عليه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أربعمائة سنة[١]، ـ وهذا في زمانه ـ ونحن نقول: مضى عليه ألف ومئتا سنة ولم يخرج إلى الآن. فهو شخصية خرافية لا حقيقة لها.

وأما بقية فرق الشيعة، كالزيدية وغيرها، فإنهم يفضلون علياً على عثمان، وهؤلاء مبتدعة، مع أن علياً رضي الله عنه طلب الذين يسبون أبا بكر وعمر؛ ليقتلهم، وطلب الذين فضلوه على عثمان: ليجلدهم ثمانين جلدة؛ حد المفتري.

ويروى عن الإمام أحمد[٢] رحمه الله: أن من سب الشيخين: أبا بكر وعمر: كَفَرَ. وروي عن الإمام أحمد أيضاً، أنه يكَفِّر من كَفَّرَ الشيخين أو سبهما، وهذا التكفير يشمل من كَفَّرَ الصحابةَ كلهم؛ لأنه تكذيب لله الذي عدّلهم في القرآن، وأثنى عليهم، أما السب فهذا فيه تفصيل، إن سبهم لدينهم: كَفَرَ، وإن سبهم للغيظ الذي في قلبه، فإنه يكون فاسقاً، وأمّا سَبُّ أو تكذيب الواحد والاثنين من الصحابة، فلا يُعد كفراً. والنواصب عكسهم، وهم الذين عادوا أهل البيت

(١) الفتاوى (٢٨/ ٤٠١).
(٢) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ٣٦٣). وانظر: الإعانة على تقريب الشرح والإبانة ص٣٩٤.

فإنهم يسمون: النواصب وهم الخوارج الذين ينصبون العداوة لأهل البيت.

ففي مقابل الروافض الذين عبدوا أهل البيت: النواصب، فهما في أهل البيت على طرفيْ نقيض، فالنواصب عادوهم، وأبغضوهم، وكفروهم، ومذهب السلف وسط بين الروافض والنواصب، يحبون أهل البيت، ويوالونهم، ولكن لا يعبدونهم من دون الله، ويحبون الصحابة ويوالونهم، وينزلونهم منزلتهم اللائقة بهم، بالعدل، والإنصاف، لا بالهوى، والتعصب والاعتساف.

فعقيدة أهل السنة والجماعة: أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: خير الناس، وأفضل الناس بعد الأنبياء: لا كان ولا يكون مثلهم، وأولهم: الخلفاءُ الراشدون، ثم بقيةُ العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم يليهم المهاجرون والأنصار، ثم أهل بيعة الرضوان؛ الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة.

أسئلة متنوعة

أحسن الله إليكم وبارك في علمكم، يقول السائل: ما الصحيح في لفظ جبريل هل هو كما تفضلتم به (جبرائيل)، أم ماذا؟

الجواب: جبريل فيه وجهان أو لغتان: يقال: جبريل وجبرائيل، وكذلك ميكائيل وميكال، وإسماعيل، وإسماعين، باللام والنون؛ وجوه، ويقال أيضاً: وبيت المقدس؛ وبيت المُقدَّس؛ وجهان. فكل هذه وجوه.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: لم أفهم مراد من قال، إن النبي رأى ربه بفؤاده؟

الجواب: يعني: لم يره بعين رأسه، إنما رآه بفؤاده؛ يعني: أعطاه الله زيادة علم؛ زيادة علم بفؤاده، ومنهم من قال: جعل الله له عينين في قلبه؛ رأى بهما.

أحسن الله إليكم يقول السائل: هل خالف الكلابية في تعريف الإيمان ومسماه؟

الجواب: الكلابية هم المنسوبون إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب، ومذهب الأشاعرة متفرع عنهم، وهم مثل الأشاعرة؛ ينفون الصفات الفعلية،

فمذهبهم واحد، وكذلك الماتريدية، فَهُمْ والأشعرية والكلابية متقاربون.

أحسن الله إليكم يقول السائل: هل الأنبياء معصومون عن الكبائر قبل بعثتهم إلى قومهم؟ وإذا كان الجواب: نعم فما هو الجواب عن قتل موسى النفسَ التي لم يؤمر بقتلها؟

الجواب: الأنبياء ليسوا معصومين، قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]، ولكونهم غير معصومين قبل النبوة، حصل القتل من موسى، ولكن الله صان نبيه محمداً ﷺ قبل النبوّة، فلم يحضر عيداً، ولم يشرب خمراً، ولم يعبد صنماً. لكن الأنبياء بعد النبوة، معصومون عن الشرك بالله، وعن كبائر الذنوب، وعن الخطأ في التبليغ عن الله، لكن قد تقع منهم الصغائر، ولهذا قال الله عن موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقال للنبي: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقد يصدر منهم ما هو خلاف الأولى، لكنهم معصومون عن الشرك، وعن الكبائر، وعن الخطأ في التبليغ عن الله.

أحسن الله إليكم يقول السائل: ما يقصده الأنبياء بقولهم: «**إنَّ الله غضب اليوم غضباً**»، الحديث؟

مرادهم بقولهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله؛ أي: هم يخشون آثار غضب الله، الذي هو انتقامه؛ لأن من آثار الغضب؛ الانتقام. وفي الحديث دليلٌ على أن الصفة تتفاوت؛ فكلامه تعالى يتفاوت، وكذلك رضاهُ يتفاوت، والذي من آثاره الإثابة والإنعام.

فالحاصل: أن الأنبياء في ذلك الموقف العَصيب يخافون من آثار ذلك الغضب.

أحسن الله إليكم يقول السائل: لو أعدتم الأمور العشرة في مراحل يوم القيامة بالترتيب؟

الجواب: قلنا أولاً: النفخ في الصور: نفخة الصعق والموت، فالنفخة أولها فزع، وآخرها موت. ثم نفخة البعث؛ يبعث الله فيها الأجساد، ثم حشر الناس والوقوف بين يدي الله للحساب ثم الشفاعة، ثم تطاير الصحف بالأيمان

وبالشمائل، ثم الورود على الحوض، ثم وزن الأعمال، ثم المرور على الصراط، ثم الجنة أو النار.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: لماذا خص المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذِكْر الدجال من بين العلامات الكبرى في هذه الأصول؟

الجواب: لأن أدلتها في الصحيحين، والعلماء يختلفون في مثل هذه المسائل، كما تجده في كتب الاعتقاد؛ فبعضهم يذكر المهدي، والدجال، ونزول عيسى، وبعضهم لا يذكر المهدي؛ لأن أحاديثه ليست في الصحيحين، لكنها ثابتة؛ أما الدجال فأحاديثه في الصحيحين وفي غيرهما، ولأن فتنته عظيمة. ومن الأدلة على ثبوت المسيح الدجال، ما في الصحيح أن النبي ﷺ أمر بالاستعاذة من أربع في آخر الصلاة، فقال «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»؛ لأن فتنته عظيمة، كما في صحيح مسلم: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أو أمرٌ أعظم من الدجال أو أكبر من الدجال**».

أحسن الله إليكم يقول السائل: هل انتفاخ الأهلة من علامات الساعة الصغرى؟

الجواب: نعم ذكر بعضهم أن انتفاخ الأهلة من علامات الساعة، ذكر هذا السفاريني في عقيدته، وذكر الدليل على هذا، وقال: إن من علامات الساعة الصغرى، انتفاخ الأهلة؛ يعني: أنها تكبر الأهلة حتى يقال للهلال: ابن ليلتين؛ في أول ليلة.

أحسن الله إليكم يقول السائل: كيف نَرُدّ على من قال: إن الدجال غير موجودٍ الآن؛ مستدلاً بالحديث الذي فيه أن النبي ﷺ قال في مجلس له مع أصحابه: أنه بعد مائة سنة، لا يبقى أحدٌ على الأرض ممن هو عليها الآن؟

الجواب: نعم هذا الحديث حديث صحيح، وقد ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «**لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض ممن هو على ظهرها اليوم أحد**»؛ يعني: أنه بعد مائة سنة، لا يبقى على الأرض أحدٌ ممن هو اليوم على ظهرها، وكل الموجودين يموتون، ثم يأتي من بعدهم أحفادُهم وأبناؤهم.

وجاء في صحيح مسلم، حديثٌ عن فاطمة بنت قيس، وهو حديث صحيح، في قصة تميم الدَّاري، أنهم ركبوا البحر، وأنه لعب بهم البحر شهراً، وأنه أفضى بهم إلى جزيرة وجدوا فيها رجلاً عظيم الخلقة، بالسلاسل وسألهم وسألوه حتى قال لهم: إنه الدجال، فجاء تميم فأخبر النبي ﷺ، فخطب النبي ﷺ الناس، وقال لهم: «**إن تميماً الدَّاري وافق ما قلتُ لكم**».

فكان الأولى بالسائل أن يقول: كيف الجمع بين الحديثين وكلها واردة في الصحيح والجواب: أن حديث «مائة سنة» عام، وحديث الدجال خاص، فيكون مستثنى من النص العام، وبذلك يزول الإشكال.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هناك مَنْ ذَكَرَ أن ما يوزن هو ثلاثة أشياء؟

الجواب: نعم، هناك مَنْ ذكر بأن الذي يوزن هو ثلاثة أشياء: الأعمال، وصاحب العمل، وصحائف الأعمال، وهناك من ذكر أنها اثنان: الأعمال وصاحبها فقط، فهل هذا الخلاف لفظي أم معنوي؟

الظاهر أنه لفظي؛ لأن الأعمال وصحائفها شيء واحد؛ فالأعمال تُكْتب في الصحائف: فهي إذن شيء واحد؛ فتكون الصحائف تابعة للأعمال.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل طلب الدعاء من الميت من أقسام الشرك الأكبر أم الأصغر، مع التفصيل؟

الجواب: هذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم، إذا دعا الميت، ولم يسأله؛ كأن يقول له: يا فلان ادع الله لي؛ يخاطب الميت، ولم يطلب منه المعونة المباشرة، فلأهل العلم في هذا قولان. أمَّا إذا قال: يا فلان اغفر لي، أو ارحمني، أو اشفع لي: فهذا شرك، لكن لو قال: يا فلان ادع الله لي - يخاطب الميت - فهل يكون شركاً؟ على قولين لأهل العلم - كما تقدَّم -: القول الأول: أنه يكون شركاً، وهذا هو الصواب؛ لأنه دعا غير الله، والقول الثاني: أنه يكون بدعة ولا يكون شركاً؛ لأنه لم يطلب منه أن يغفر له؛ وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

والصواب: القول الأول؛ أنه شرك؛ لأنه دعاءٌ لغير الله، فالنصوص

تشمله بعمومها؛ لأن من دعا غير الله فقد أشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فسمّىٰ من دعا غير الله مشركاً ولم يستثن.

أحسن الله إليكم، هذا سائل من فرنسا يقول: عندنا في فرنسا في أيام الصيف يطول اليوم بحيث لا يغيب الشفق الأحمر إلا بعد منتصف الليل، وعلى هذا: فتكون صلاة الفجر مبكرة؛ حيث إن الزمن الذي بينها وبين صلاة العشاء لا يتجاوز ثلاث ساعات ونصف، فهل يجوز للمسلم في هذه الحالة أن يجمع؟ خاصة العمال الذين يقومون لأشغالهم مبكراً، وينبغي عليهم أن يأخذوا قسطاً من الراحة؟

الجواب: ليس له ذلك، ولا يجوز الجمع إلا من عذر، والجمع إنما يجوز للمريض وللمسافر، أما أن يجمع بدون عُذْرٍ، ومن أجل العمل، فليس له ذلك، بل عليه أن يتكيف مع أداء الصلاة في أوقاتها.

أحسن الله إليكم، هذا سائل من الجزائر يقول: إذا كان العمل يشتمل على عدة فضائل فهل يشترط استحضار تلك الفضائل كلها؟

الجواب: إذا استحضر الإنسان فضيلة العمل فإنه يؤجر عليه، فعلى الإنسان أن ينوي ذلك الفضل ويستشعر الإخلاص، ويستشعر أيضاً أنه يؤدي الواجب، فمثلاً: إذا أنفق الإنسان على أهله فقد أدى الواجب؛ ومن أدى الواجب: أثابه الله، لكن إذا احتسبَ الأجر، أثابه الله ثواباً آخر، وهو ثواب الاحتساب، وإلا فمن أدى الواجب، فهو مثاب، كما أن من لم يؤد الواجب فهو معاقب، لكن إذا استشعر الإنسان واحتسب الأجر عند الله؛ فإنه يكون مثاباً ثواباً آخر كما قلنا.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: ما حكم من قال: إن خلافة علي بن أبي طالب ﷺ امتداد لخلافة الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ، وخلافة عثمان ﷺ فجوة بينهما؟

الجواب: هذا ضال! ومعنى هذا أنه لا يعترف بخلافة عثمان!! وقد قال العلماء، مَنْ فَضَّلَ علياً على عثمان؛ يعني: من قَدَّم علياً على عثمان في

الخلافة، فقد أزرى بالمهاجرين، والأنصار؛ يعني: احتقرهم، وَسَفَّهَ رأيهم؛ لأنهم أجمعوا إجماعاً كاملاً على خلافة عثمان، ولم يحصل مثل هذا الإجماع، مثلما حصل لعثمان، وخلافة الصديق رضي الله عنه تأخر علي وجماعة عنها؛ تأخر علي رضي الله عنه لما غاضبتْ فاطمةُ أبا بكر؛ لما طلبت إرثها من النبي ﷺ، وبين لها أبو بكر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ لا يورث، أما عثمان فكانت خلافته إجماعاً، وليس هذا طعناً في أبي بكر خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وأولاهم وأحقهم بالإمامة. والمقصود: أنَّهُ كيف يقال بعد هذا: إن خلافته فجوة؟! فهذا القول لم أسمع من يقوله حتى الشيعة، بل هو قول جاهل جهلاً مُرَكّباً، أو عنده خلل في التصور والاعتقاد تجاه الصحابة والخلافة.

أحسن الله إليكم سائل من المغرب يقول: ما هو حكم الصلاة في المساجد التي وضع داخلها تلفاز ودش، وتُبث من خلالها المسلسلات التي تحتوي على النساء والرجال معاً؟

الجواب: هذه مصيبة فإذا كانت تبث وقت الصلاة؛ يعني: والناس يصلون؛ فالصلاة صحيحة، لكن يجب أن يطهر المسجد من هذه الأجهزة الخبيثة، بل يجب أن يطهر البيت منها، وأولىٰ أن تُطَهَّر المساجد من هذه الأجهزة الخبيثة؛ لأن المسجد إنما بني لذكر الله وللعبادة، فكيف يُذكر الله في وقت تُبث فيه هذه الشرور؟! فيجب تطهير المسجد من هذه الأجهزة الخبيثة وإخراجها منه، ومن بُلي بشيء من هذه الأجهزة الخبيثة، فليجعلها في مكان آخر غير المساجد.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل نعتقد أن الله عز وجل يخلق معاصي العباد؟

الجواب: المعتزلة هم الذين يقولون: إن الله لا يخلق المعاصي، مع أن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]، ونقول للمعتزلة: هل يقع في ملك الله ما لا يريد؟ إذا قلتم: نعم، فقد جعلتم الله عاجزاً؛ يقعُ في ملكه شيءٌ لا يريده ولا يستطيعه!! فقول المعتزلة باطل؛ لأن الله خالق كل شيء في هذا

الكون، ولا يمكن يقع في ملك الله ما لا يريد، لكن المعاصي خلقها لحكمٍ وأسرار، ترتبت عليها، كما بينا سابقاً.

فمن هذه الحِكم: وجود العبادات المتنوعة؛ كعبودية الجهاد في سبيل الله، وعبودية الصبر على الهوى، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الولاء والبراء، وعبودية الحب في الله والبغض في الله، فهذه بعضٌ من الحكم والأسرار. فالله لا يريد المعاصي شرعاً ولا ديناً، ولكنه خلقها وأرادها كوناً وقدراً؛ لما يترتب عليها من الحكم والمصالح.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: لو اجتمع في شخصين الهجرة والسابقة، فمن يُقدم؟

الجواب: السابقون الأولون كلهم هاجروا إلى المدينة، فلهم أجر السبق والهجرة، لكن السابق الذي تأخر عن الهجرة، فإنه يفوته من الأجر بحسب ذلك. لكن المعروف أنَّ الصحابة ما تأخَّر منهم إلا المستضعفون الذين بقوا في المدينة، من الذين عجزوا عن الهجرة.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل يسمع الميت كلام الحي أم لا؟

الجواب: الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ويقول: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]، هذا هو الأصل؛ لأن الميت انقطعت علاقته بالدنيا، إلا ما دلَّ الدليل على استثنائه، كما في حديث: **(إنه ليسمع قرع نعالهم)**؛ يعني: إذا تولوا عنه وانصرفوا، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يسلّم عليَّ إلا ردّ الله عليَّ روحي فأردّ عليه السلام**». وكذلك أهل بدر الكفار الذين وُضعوا في قليبِ بدرٍ ناداهم النبي ﷺ وسمعوا كلامه. وعلى هذا: فالأصل أن الميت لا يسمع ولا يعلم؛ لأنه ليس من أهل الدنيا، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ويقول: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢] إلا ما استثناه الدليل كما قلنا.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: ما هي علامات الساعة الكبرى؟

سبق الكلام عليها تفصيلاً، فأغنىٰ عن إعادتها.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل مَنْ غلبه النومُ عن صلاة الفجر دائماً مع أخذه بالأسباب المُعينة على الاستيقاظ: يُعَدُّ كافراً؛ لأجل ذلك، علماً بأنه لا يصليها إلا بعد طلوع الشمس؟

الجواب: أن من أخذ بالأسباب التي تُعينه على الاستيقاظ مُبكراً، لكن غلبة النوم، فلا يكون حكمه حكم من يتهاون فيها ولا يأخذ بالأسباب، كما سبق تفصيله.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: ما العمل، حيث إن بعض أقاربنا لا يصلون الفجر إلا الساعة السابعة دائماً، فهل يكفرون، مع أننا نصحناهم كثيراً؟ وهل يجوز أن نأكل ونشرب معهم؟

الجواب: عليك بالاستمرار في النصيحة، وتذكيرهم وتخويفهم بالله، وحثهم على النوم مبكرين، وعليك أن تُهدي لهم أشرطة وكتيبات تفيدهم في هذا الباب، أو تستعين بمن يعينك على نصحهم أيضاً؛ من الأقارب الذين يُقَدِّرُونَهُم، أو من الجيران، أو من إمام المسجد، أو من الدعاة، أو من رجال الحسبة، لعل الله أن يهديهم بهذه الأسباب؛ فيكون لك مثل أجرهم.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل لتوزيع المياه في المقابر أصل عن النبي ﷺ وصحابته، وهل توزيعها داخل المقابر داخل في الصدقات؟

الجواب: لا نعلم أن الماء كان يوزع على عهد النبي ﷺ والصحابة، فالأصل أنه لا يوزع؛ لأن الوقت ليس بوقت أكل ولا شرب، بل هذا الوقت يُدفن فيه الميت، ثم ينصرف الناس، فلا حاجة إلى فعْله، بل تركُ ذلك أولىٰ، ولهذا أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمنع، وأنه لا يجوز، وقد يكون هذا الفعْل وسيلة أيضاً إلى التوسع في هذا، فقد رأينا بعضهم يتوسع حتى صار بعض الناس يوزع العصير!! وقد يَجُرُّ هذا إلى أمورٍ أخرىٰ مثل جعل مظلة يجلس تحتها الناس وهكذا، والمقصود: أنه لا ينبغي التوسع في مثل هذا، والله أعلم.

❊ ❊ ❊





فضل التابعين ومن بعدهم

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «ثم أفضل الناس بعد هؤلاء؛ أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بُعث فيهم، وكل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه؛ فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظرة.

فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبته، من التابعين، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة، ولو عملوا كل أعمال الخير».

الشرح

هذا المبحث في الصحابة وفضلهم. ومضىٰ أن الإمام أحمد رحمه الله قد بيَّن أنَّ خيرَ هذه الأمة بعد نبيها، هو أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، وأنه يقدم هؤلاء الثلاثة، كما قدمهم أصحابُ رسول الله ﷺ؛ لم يختلفوا في ذلك.

وأيضاً: فإنهم يربعون بعليٍّ، كما ذكر ذلك العلماءُ في عقائدهم، وكما نُقل عن الإمام أحمد رحمه الله، مع أنه هنا في هذه العقيدة ذَكَرَ الثلاثةَ، لكن لم يذكر الرابع؛ لأن في مذهب الإمام أبي حنيفة خلافاً في الفضيلة بين علي

وعثمان، فرُوي عن الإمام أبي حنيفة[1] أن علياً أفضل، ولكن الجماهير على أن عثمان أفضل، وروي عن أبي حنيفة أنه رجع عن هذا القول. وعلى هذا: فيكون الاتفاقُ حاصلاً بين المذاهب، على تقديم عثمان على علي.

على أن الخلفاء الراشدين هم أفضل الناس بعد الأنبياء، ولهذا قال أبو حاتم الرازي، وأبو زُرعة، في الاعتقاد الذي أجمع عليه أهل الأمصار، قالا: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون والمهديون. هكذا جاء في عقيدة أبي حاتم، وأبي زرعة الرازييْن.

قال: ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة.

وذلك أنه لمّا طُعن عمر ﷺ، قالوا له: استخلفْ يا أمير المؤمنين، فقال: ما أرى أن تكون الخلافة إلا في هؤلاء النفر الذين توفي الرسولُ وهو راضٍ عنهم. وسمَّى عثمانَ، وسمى علياً، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعداً، فهؤلاء ستة ليسوا خمسة، هم أصحاب الشورى، لكن لما ذُكر عثمان وعلي في خير هذه الأمة، يكون الباقي من أهل الشورى ـ دون عثمان، وعليّ بن أبي طالب ـ أربعة، فيكون أفضل الناس بعد الأنبياء: الخلفاء الأربعة، مع من بقي من أهل الشورى، وهم أربعة، فيكون مجموعهم ثمانية.

ويضاف إليهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، فيكون أفضلُ هذه الأمة بعد نبيها، العشرة المبشرين بالجنة، وأفضلُهم: الخلفاءُ الراشدون الأربعة؛ وهم أفضل الصحابة على الإطلاق. ولمَّا ذكر الإمام أحمد رحمه الله، أنّ خير هذه الأمة بعد نبيها هم هؤلاء الثلاثة: (أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان) ـ لم يذكر علياً؛ لأن فيه خلافاً في مذهب أبي حنيفة؛ يعني: في المفاضلة بين علي وعثمان ـ: واستدلَّ بحديث ابن عمر أنه قال: «كنا نعدّ ورسول الله ﷺ حي وأصحابه

---

(١) اختصار علوم الحديث ص١٨٣، وأصول الدين عند أبي حنيفة (٥٤٦)، وابن عبد البر في الانتقاء ص٦٣.

متوافرون، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت»[١]، وهذا حديث صحيح.

وثبت أن النبي ﷺ بَشَّرَ العشرةَ ـ الذين مضتْ تسميتُهم ـ بالجنة، وقال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة عامر بن الجراح في الجنة**»[٢] فهؤلاء هم العشرة المشهود لهم بالجنة.

ثم يليهم: الذين شهدوا بدراً، وهم قسمان: أنصار ومهاجرون، وهم متفاوتون، فمنهم: الذين حضروا بدراً مِمَّنْ تقدّم إسلامه، ومنهم من تأخر، وإن كان شهودهم لها جميعاً في السنة الثانية من الهجرة، لكن بعضهم تقدّم إسلامه مثل الصديق، ومثل عمر، وعثمان، وبعضهم أسلم متأخراً عنهم.

وكذلك أهل الهجرة: منهم من تقدَّم في الهجرة، ومنهم من تأخر. فأهل بدر أفضل من المهاجرين ومن الأنصار، لكن أهل بدر من المهاجرين يتفاوتون في الهجرة والسابقة، فمن سبق للإسلام: كان أفضل، ومن تقدمت هجرته: كان أفضل.

والأنصار الذين حضروا بدراً يتفاوتون في السابقة، فمن سبق إسلامه: فهو أفضل.

ثم يليهم: أهل بيعة الرضوان ـ ولم يذكرهم المؤلف ـ وهم الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وفي بعض الروايات أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة، والصواب: أنهم ألف وأربعمائة وكسر، ومن قال: كانوا ألفاً وأربعمائة؛ حذف الكسر، ومن قال: كانوا ألفاً وخمسمائة؛ جبر الكسر.

ومن المشهود لهم بالجنة: الحسن والحسين، شهد لهم بذلك النبي ﷺ؛

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وأبو داود (٤٦٢٧)، والترمذي (٣٧٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ١٤) وغيرهم.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال: حسن، والنسائي (١٠٠)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٨٧، ١٨٨)، عن سعيد بن زيد بسند صحيح، وفي الباب عن عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ.

حيث قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[١].

وكذلك ابن عمر، قال له النبي ﷺ: «**لن تراع**»؛ لما رأى رؤيا، أنه يُذْهَبُ به إلى النار، فقال له الرسول ﷺ ما قال. فهذه شهادة له بالجنة[٢].

وكذلك: ثابت بن قيس، لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، جَلَسَ في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ، فقال: «**يا أبا عمرو ما شأن ثابت! اشتكى؟**» قال سعد: إنه لجاري وما علمتُ له بشكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»[٣].

كذلك: عكاشة بن محصن، شهد له النبي ﷺ بالجنة[٤]، وبلال أيضاً مشهود له بالجنة[٥]، وكذلك: عبد الله بن سلام مشهود له بالجنة[٦]، والرميصاء أم أنس مشهود لها بالجنة[٧].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٣/٣)، وابن أبي شيبة (١٢/٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (١١٦٩)، والطبراني في الكبير (٢٦١١، ٢٦١٢، ٢٦١٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٥٩)، والحاكم في المستدرك (٣/١٦٦ ـ ١٦٧)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ وقال: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٦) وفي الباب عن حذيفة ﷺ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) واللفظ له، وأبو عوانة في مسنده (١٩٩).

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) (٣٦٧)، وأحمد في المسند (٢/٣٠٢، ٤٥٦)، وغيرهم.

(٥) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٥٧).

(٦) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨١٢، ٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٣، ٢٤٨٤).

(٧) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٥٦)، والنسائي في الكبرى (٨٣٢٥، ٨٣٢٦)، وأحمد في المسند (٣/٢٣٩، ٢٦٨)، وابن حبان في صحيحه (٧١٩٠).

وهناك خلاف بين العلماء، هل أهل بدر يلون العشرة المبشرين بالجنة، أو أهل بيعة الرضوان؟ قيل: أهل بدر أولاً، ثم أهل بيعة الرضوان، وقيل: أهل بيعة الرضوان، ثم أهل بدر، ثم بعد ذلك بقية الصحابة؛ ولهذا قال: «ثم أفضل الناس بعد هؤلاء؛ أصحاب رسول الله القرن الذي بُعث فيهم» يعني: يَلي هؤلاء في الفضيلة، سائر الصحابة، ثم يليهم: القرن الثاني، وهم: التابعون، ثم يليهم في الفضيلة: القرن الثالث، وهم: أتباع التابعين. والدليل على ذلك: ما رواه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما، عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[١]، قال عمران: لا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة.

والصواب: أنهما قرنان، وأن القرون المفضلة: ثلاثة.

وجاء في الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يأتي زمان يغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صحب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم؛ فيفتح عليه، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم فيفتح**»[٢]، وهم القرن الثالث.

فهذه القرون تسمى عند أهل العلم: القرون المفضلة، وأفضلها القرن الأول الذي بُعث فيهم النبي ﷺ، وهم الصحابة كما تقدم في حديث: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**»[٣].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٥١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢٢)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٤٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٥٣٢)، وأحمد في المسند (٣/ ٧)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٦٨، ٦٦٦٦).

(٣) حديث صحيح: تقدم برقم (٨).

وقولُ الإمام رَحِمَهُ اللهُ: (وكل من صحبه سنة، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعة، أو رآه: فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه نظرة).

لا شك أنَّ الصحابة يتفاوتون في الصحبة، فالذي صحب النبي ﷺ عشر سنين؛ أفضل من الذي صحبه تسع سنين، والذي صحبه ثمان سنين؛ أفضل من الذي صحبه سبع سنين، والذي صحبه سنة؛ أفضل من الذي صحبه شهراً؛ والذي صحبه شهراً، أفضل من الذي صحبه يوماً أو يومين، وعلى كل حال: فإن الصحبة تحصل لمن لقي النبيَ ﷺ؛ مؤمناً به، ومات على ذلك، ولو لحظة.

فالصوابُ في تعريف الصحابي ـ كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في النُخبة ـ أنه مَنْ لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللته ردة[(١)].

فالقول بأنه: من لقي النبي ﷺ مؤمناً، هذا أولى من التعريف بأنه من رآه؛ حتى يشمل ذلك: العميانَ الذين لم يروا النبي ﷺ، مثل عبد الله ابن أم مكتوم، فهو صحابي، لكنه لم ير النبي ﷺ، لكن لقيه، فالتعبير بـ(لَقِيَ) أشمل.

وتشمل الصحبةُ أيضاً: أطفالَ الصحابة الذين حَنَّكَهُم النبيُّ ﷺ ورأوه. فالأطفال الذين رأوا النبي ﷺ: صحابةٌ؛ كمحمود بن الربيع، قال: «**عقلت من النبي ﷺ مجةً مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ**[(٢)]» كذلك عبد الله بن طلحة؛ حَنَّكَهُ النبيُّ ﷺ[(٣)]؛ فهو صحابي صغير.

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: «فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال»؛ يعني: التابعين الذين لم يروا النبي ﷺ،

---

(١) انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (١/ ١٤٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٧)، ومسلم (٣٣/ ٢٦٥)، وأحمد (٥/ ٤٢٧)، وغيرهم.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤)، وأبو داود (٤٩٥١)، وأحمد في المسند (٣/ ١٧٥).

فيكون أدنى الصحابة صحبةً، أفضل من التابعي الذي لقي الله بجميع الأعمال؛ ولهذا قال: «ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل؛ لصحبته، من التابعين»؛ يعني: ولو عمل التابعي كل أعمال الخير، فواحد من الصحابة أفضل منه؛ لأن مزية الصحبة خاصة بالصحابة، لا يلحقهم مَنْ بعدهم.

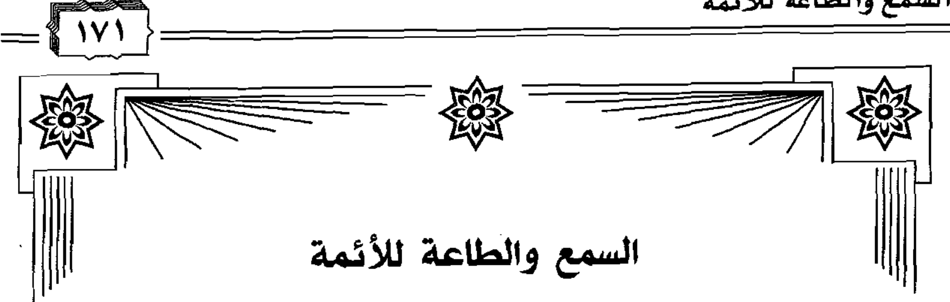
وقد يفوق بعضُ التابعين بعضَ الصحابة في العمل، والعبادة، كنوافل الصلوات، والتهجد، والصدقات، لكن لا يستطيع أن يصل إلى مزية الصحبة؛ لأن الصحبة خاصة بالصحابة، الذين صحبوا النبي ﷺ وجاهدوا معه، وسمعوا منه، ورأوه؛ فهؤلاء لهم فضل عظيم؛ لا يناله غيرهم.

فالصحابة أفضل الناس، لا كان ولا يكون بعدهم مثلهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فلا يمكن أن يلحقهم مَنْ بعدهم؛ لأنهم صحبوا النبي ﷺ، وجاهدوا معه، وشهدوا التنزيل، فهم أعلم بمعاني النصوص، ممن بعدهم، وبمعاني كتاب الله؛ لأنهم شهدوا نزول القرآن، والنبي ﷺ بين أظهرهم، يفسر لهم القرآن، ويسألونه عما أشكل عليهم. فهذه المزايا لا يلحقهم فيها من بعدهم ولا يَشْرَكُونَهُمْ فيها، وإن كان الصحابة أنفسهم يتفاوتون فيها.

ولهذا: لمَّا أراد بعض الناس أن يقارن بين معاوية بن أبي سفيان الصحابي، وبين عمر بن عبد العزيز الورع الزاهد، أجابه بعض العلماء: بأن الغبار الذي دخل في أنف معاوية في جهاده مع النبي ﷺ، قد يعدل بورع عمر بن عبد العزيز وعدله.







السمع والطاعة للأئمة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، وسُمي أمير المؤمنين، والغزو ماضٍ مع الأميرِ إلى يوم القيامة البرِ والفاجرِ لا يُترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحدٍ أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة مَنْ دفعها إليهم أجزأت عنه براً كان أو فاجراً».

الشَّرْح

هذا البحث خاص بالأئمة وولاة الأمور، يقول المؤلف رحمه الله فيه: «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة».

يعني: من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول الدين والسنة عندهم: السمع والطاعة للأئمة، وولاة الأمور، وأمير المؤمنين: البر والفاجر. هذه عقيدة أهل السنة: أنهم يسمعون ويطيعون للإمام، وأمير المؤمنين، سواء أكان براً أو فاجراً، ولا يخرجون عليه.

فَمَن اجتمع الناس عليه، ورضوا به، أو مَنْ غلبهم بالسيف، حتى صار خليفة، وسُمّي أمير المؤمنين؛ فقد وليَ الأمر، وصار خليفة للمسلمين، ووجب له السمع والطاعة؛ براً كان أو فاجراً.

وتثبتُ الولايةُ بواحدة من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الانتخاب من أهل الحل والعقد، أو الاختيار. فإذا انتخبه أو اختاره أهلُ الحل والعقد؛ ثبتت له الخلافة والإمامة.

الثاني: أن يَعْهَدَ إليه الخليفةُ السابقُ بولاية العهد، فتنتقل الخلافة إليه بذلك.

الأمر الثالث: أن يغلبهم بسيفه، وقوّته، وسلطانه، حتى يستتب له الأمر، وتثبت له الخلافة بالقوة والغلبة، فهذا أيضاً: خليفة للمسلمين.

وقد وقع الخلاف في الطريقة التي ثبتت بها الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، فقال قوم: ثبتت له الخلافة بالنص الجلي، وقال قوم: بالنص الخفي؟

والصواب: أنه ثبتتْ له الخلافةُ بالاختيار والانتخاب؛ وذلك لما اجتمع الأصحاب في سقيفة بني ساعدة، وجاءهم عمر، وعثمان، وأبو عبيدة، فتكلّم عمرُ، وتكلَّمَ أبو بكر، وقال: اختاروا إما: عمر، وإما: أبا عبيدة فقال عمر: «أرضِيَكَ الرسولُ ﷺ لدينه، أفلا نرضاك لدنيانا. فبايعه وبايعه الناس»[(١)]، ولو كان هناك نص ما حصل خلاف بين الصحابة، ولاجْتمعوا، ولذكر عمر النص، وأبو عبيدة رضي الله عنهما.

وأما ما ذُكر من أن النبي ﷺ قال للمرأة التي قالت: إن لم أجدك؟ قال: «**إن لم تجديني فَأْتي أبا بكر**»[(٢)]، وكون النبي ﷺ قدَّمه ليصلي بالناس، وقال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[(٣)]، وقوله: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[(٤)]، فهذه ليست نصوصاً صريحة في أنه الخليفة من

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/١٨٣)، وأخرجه بن شاهين في شرح مذهب أهل السنة من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦)، والترمذي (٣٦٧٦)، وغيرهم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨)، وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٨٣)، والترمذي (٣٦٥٥)، وابن ماجه (٩٣)، وأحمد في المسند (١/٣٨٩، ٤٠٨، ٤٠٩)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عنه، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، وغيره.

بعده، وإنما هي إرشاد من النبي ﷺ، لاختياره وانتخابه. هذا هو الصواب: أنَّ الخلافة ثبتت للصديق بالاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد.

ولا يشترط أن يُبَايِعَ كُلُّ أحد، بل يكفي عنهم العلماء، والأعيان، والوجهاء، ورؤساء القبائل، والباقي تبعٌ لهم. وليست الانتخابات التي نسمعُ عنها الآن، هي من هذا الباب؛ وهي التي تكون عن طريق الأصوات والمرشحين؛ فتختلط فيها أصوات العقلاء، والمجانين، والنساء، والصبيان؛ كل هذه أصوات مقبولة عند أصحابها، حتى المجنون يصير له صوت!! فهذه الطريقة ليست شرعية.

فالاختيارُ والانتخاب، إنما هو من أهل الحل والعقد، والعقلاء، والوجهاء، ورؤساء القبائل، والعلماء؛ هؤلاء هم أهل الحل والعقد، وهم الذين يُبَايِعُونَ، والباقي تبعٌ لهم.

إذاً: فقد ثبتت الخلافة بالاختيار والانتخاب للصديق، وثبتت أيضاً بالاختيار والانتخاب لعثمان رضي الله عنه، وثبتت الخلافة لعلي لَمَّا بايعه أكثر أهل الحل والعقد، وامتنع معاوية وأهل الشام؛ لا طلباً للخلافة، وإنما مطالبة بدم عثمان، وإلا فإن معاوية لا يطالب بالخلافة، ولا يقول: إنه أولى بالخلافة من علي، وإنما امتنع؛ للمطالبة بدم عثمان.

أما عمر فقد ثبت له الخلافة بولاية العهد فمن الصديق، ولم تثبت الخلافة بعد ذلك من عهد الخلفاء الراشدين إلى اليوم، إلا بأحد أمرين: إما بولاية العهد، وإما بالقوة والغلبة.

ولا بد أن تتوفر شروطٌ في الخليفة الذي يُختار، فمن الشروط أن: يكون قرشياً؛ لقول النبي ﷺ: «**الأئمة من قريش**»[1]، ولقوله ﷺ - كما ثبت

---

(١) حديث صحيح لغيره: أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١١٢)، معلقاً، والنسائي في الكبرى (٥٩٤٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٨٣، ١٢٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٤٤، ٤٠٣٢، ٤٠٣٣)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٧٥٨)، وفي الباب عن علي رضي الله عنه عند الحاكم والبيهقي، وعن أبي برزة عند أحمد وغيره.

في الصحيحين ـ: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**»[١]، ثم قيَّد ذلك بقوله: «**ما أقاموا الدين**»[٢]، فَشَرَطَ أن يقيموا الدين.

أما إذا لم يوجد من قريش من يقيم الدين، فإنه يُختار من غيره، ولا بد أن تتوفر فيه الشروط المُعْتَبَرَة: وشروط اختيار الإمام: أن يكون مسلماً، وأن يكون قرشياً، وأن يقيم الدين، وفيه من الصفات التي تؤهله للخلافة. هذا إذا كان الاختيار، هو اختيار المسلمين، ولذلك كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، كلهم من قريش، وكذلك معاوية، والدولة الأموية، والعباسية.

لكن بعد الخلفاء الراشدين صارتْ الولاية تثبت بأحد أمرين: إما بولاية العهد، وإما بالقوة والغلبة. فإذا غلب الناسَ بقوته وسيفه وسلطانه، فقد ثبتت له الخلافة، ولو لم يكن من قريش، والدليل على هذا، حديث أبي ذر، قال: «**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف**»[٣]. وفي لفظ: «**ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة**»[٤]. فالحبشيُّ ليس من قريش، ومع ذلك: وجبتْ طاعتُه لمَّا تغلَّب. فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

وحينئذ: إذا ثبتت له الخلافة وجب له السمع والطاعة؛ في طاعة الله وطاعة رسوله؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. قال العلماء: أعاد الفعلَ في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يُعِدْهُ مع أولي الأمر؛ لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وهو لا يأمر إلا بطاعة الله.

أما وَلِيُّ الأمر فليست طاعته كذلك؛ فلم يُعِدْ معه الفعْل؛ فدل على أن طاعة أولي الأمر إنما تكون في طاعة الله؛ فيطاع ولي الأمر، في الأمور

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧١٤٠)، ومسلم (١٨٢٠)، وغيرهم.
(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٠٠، ٧١٣٩)، والنسائي في الكبرى (٨٧٥٠)، وأحمد في المسند (٤/ ٩٤).
(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم واللفظ له، (٦٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٣)، وابن ماجه (٢٨٦٢)، وأحمد في المسند (٥/ ١٦١، ١١٧) وغيرهم.
(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٧١).

المباحة، أما المعصية فلا يطاع أحدٌ فيها؛ فقولُ النبي ﷺ في حديث أبي ذر: «**اسمع وأطع، وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف**»[1] يُقَيَّد بِالنصوص الأخرى، التي فيها تقييد الطاعة بالمعروف، كما في قول النبي ﷺ: «**لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف**»[2]. فولاة الأمور إنما يطاعون في طاعة الله، وفي الأمور المباحة ـ كما أسلفنا ـ.

أما المعاصي فلا يُطاع فيها ولي الأمر، ولكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يتمرد على ولي الأمر، ويخرج عليه، لكن لا يطيعه في خصوص المعصية؛ لأن خصوص المعصية لا يطاع فيها أحد، لا ولي الأمر، ولا غيره؛ فإذا أمرك ولي الأمر بشرب الخمر، أو الربا، أو قتل نفس بغير حق؛ فلا تطعه في كل ذلك، لكن ليس معنى ذلك أن تتمرد عليه، وتخرج، وتنقض بيعته، وتؤلب الناس عليه.

وكذلك أمير الجيش، لا يطاع في المعصية، وأمير السرية لا يطاع في المعصية، والأب إذا أمر ابنه بالمعصية لا يطيعه، فإذا قال له مثلاً: اشتر دخاناً أو خمراً؛ فلا يطيعه، وكذلك الزوجة لا تطيع زوجها في المعصية إذا أمرها بها، وكذلك العبد إذا أمره سيده بالمعصية لا يطيعه. لكن ليس معنى ذلك أن يتمرد العبد على سيده، ولكن لا يطيعه بخصوص المعصية.

وكذا الحكم بالنسبة للزوجة، والأبناء، والرعية، ليس لهم جميعاً أن يتمردوا على من تجب عليهم طاعتهم، إذا أمروهم بالمعصية، ومع ذلك فلا بد من التلطف والخطاب اللين؛ يعني: يخاطب الأمير بما يليق به، وبما يناسبه، بالرفق واللين، والمناصحة سِرّاً، ويقوم بها أهل العلم، وأهل الحلّ والعقد.

وكذلك يتلطف الأب مع ابنه، والابن مع أبيه في المناصحة، وكذا الزوجة مع زوجها، والعبد مع سيِّده.

---

(١) حديث صحيح: تقدم برقم (١).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم (١٨٤٠)، والنسائي (٧/ ١٥٩)، وأحمد في المسند (١/ ٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثبت في صحيح البخاري عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية، وَأَمَّرَ عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوا، فغضب عليهم، وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: قد عزمتُ عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً فأوقدوا ناراً، فلما هموا بالدخول؛ فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم: إنما تبعنا النبيَّ ﷺ، فراراً من النار، أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً؛ إنما الطاعة في المعروف**»[1]، فهذا وعيد شديد لو دخلوها؛ لاستمر عذاب الآخرة مع عذاب الدنيا، ولو دخلوها ما خرجوا منها؛ لأن الطاعة إنما تكون في المعروف، فهذا دليلٌ على أنَّ أمير الجيش لا يطاع في المعصية.

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البر والفاجر»؛ يعني: الطاعة واجبة للأمير سواء أكان براً أو فاجراً، ولو كان فاجراً، ولو كان يعمل بعض الكبائر، أو يعمل بعض المعاصي؛ فإنه تثبت له الولاية، ويَجِبُ له السمع والطاعة، ويسمّى: أمير المؤمنين.

فالحاصل: أن كل مَنْ ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، بالاختيار والانتخاب، أو بولاية العهد من الخليفة السابق، أو غلبهم بالسيف، حتى صار خليفة، وسُمي أمير المؤمنين؛ وجب السمع له والطاعة.

وكذلك: فإن الغزو ماضٍ مع الخليفة والأميرِ، وولي الأمر، سواء أكان ملكاً، أو رئيساً لدولة، أو رئيساً للجمهورية، فالغزو معهم للكفار ماض، ولو كانوا فجَّاراً أو عندهم بعض المعاصي، فإنها لا تقدح في ولايتهم، ووجوب طاعتهم، وكذلك أمير الجيش يُغْزَىٰ معه، ولو كان عنده بعض المعاصي؛ لأن هذه المعاصي تخصه، والغزو فيه مصلحة للإسلام والمسلمين؛ فنجاهد معه ونقاتل؛ ونقيم الجهاد مع الأمير، ولو كان فاجراً.

وقسمة الفيء كذلك يتولّاه الأمير، والفيء: المال الذي يتركه الكفار من

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠/ ٤٠) وغيرهما.

دون حرب، والغنيمة: المال الذي يأخذونه بعد الحرب؛ كل هذا يقسمه ولي الأمر، وكذلك إقامة الحدود إلى الأئمة ماض، ليس لأحدٍ أن يطعن فيهم، ولا ينازعهم، كحد الزاني، وحد السارق، وشارب الخمر، والمبدل لدينه، فهذه الحدود يقيمها وليّ الأمر، ويُعيِّن القضاة، والمحتسبين للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ليس ذلك إلا إليهم، وليس لأحد أن يطعن فيهم، ولا ينازعهم فيه.

وقوله: «ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة»، الصدقات: هي الزكاة، والمراد بالصدقات: صدقات الفريضة، فإذا طلب ولي الأمر الزكاة؛ تدفعها إليه، وحينئذ تبرأ ذمتك، ولهذا قال المؤلف: ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة؛ يعني: صحيحة، من دفعها إليهم أجزأت عنه، براً كان أو فاجراً.





الصلاة خلف الأئمة برهم وفاجرهم

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصلاة الجمعة خلفه وخلف من وَلَّاه: جائزة باقية تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة مَنْ كانوا؛ برهم وفاجرهم، فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة، لا يكن في صدرك من ذلك شك».

الشَّرْحُ

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن صلاة الجمعة خلف الأمير، وولي الأمر، والملك، ورئيس الدولة: جائزة، تامة: ركعتين؛ من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار؛ مخالف للسنة. فإذا تولى الإمام وصار يصلي بالناس الجمعة، فإن الناس يصلون خلفه، ولو كان فاجراً، ولو كان عاصياً، والصلاة خلفه صحيحة، ومن أعادها، فهو مبتدع.

والحكمة في ذلك: أن عدم الصلاة خلفه؛ يفضي إلى النزاع والشقاق، وانقسام المسلمين، واختلاف الكلمة، والإسلام متشوف إلى جمع الكلمة، وإلى الائتلاف، فلو كان بعض الناس لا يصلي خلفه ويقول: إنه فاسق أو عاص، فإن هذا مدعاة إلى التفرق، وحصول النزاع، والانقسام؛ مِمَّا قد يُطمِّع أعداءهم فيهم.

وكان الخلفاء والأمراء في زمن الدولة الأموية، والعباسية، هم الذين يتولون الإمامة، ويصلون بالناس، وكان بعضهم مع هذا عاصياً، فكان الصحابة وكذلك التابعون، يصلون خلفهم، كالحجَّاج بن يوسف، فإنه كان

فاسقاً؛ ظالماً، ومع ذلك، صلوا خلفه الجمعة والعيدين، والصلوات كلها.

وكذلك إذا صَلَّى الأميرُ الذي ولاه الخليفة أو الإمام، فإنه يُصَلَّىٰ خَلْفَهُ، مثل ما وَلَّىٰ عبدُ الملك بن مروان، الحجاجَ على العراق، وصار الحجاج يصلي بالناس الجمعة، والجماعة، والعيدين، والصحابة يصلون خلفه، وكما صلى الصحابةُ خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط في زمن عثمان، وكان أخوه من أمه، وكان فاسقاً يشرب الخمر، وصلى بهم وكان الصحابة يصلون خلفه، وكان أمير الكوفة، وصلى بهم مرة الفجر وهو سكران، ولم يعلموا أنه سكران، فلما صلى ركعتين التفتَ فقال: هل تريدون أن أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة، ثم أعادوا الصلاة، ثم جلده أمير المؤمنين؛ جَلَدَه الحَدَّ: ثمانين.

والشاهد من هذا: أن الصحابة، كانوا يصلون خلف الولاة والأمراء، ولو كانوا فسقة، والحكمة في ذلك: جمع الكلمة، وعدم الفرقة؛ ولهذا قال المؤلف: «صلاة الجمعة خلفه جائزة، وخلف من وَلَّاهُ جائزة، باقية تامة، ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار»، وإنما كان مبتدعاً؛ لأنه خالف الجماعة، وتسبب في الفرقة، وخالف الأحاديث والسنة التي دلت على مشروعية الصلاة خلفهم. فمثل هذا ليس له من فضل الجمعة والجماعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة: برهم وفاجرهم.

قال: «فالسنة أن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة»؛ أي: يعتقد ديناً أنها صحيحة، وأن هذا دين، ولهذا قال: «لا يكن في صدرك من ذلك شيء». وعلى هذا: فمن أعاد الصلاة أو من لم يصل خلفهم، فهو مبتدع عند أهل السنة والجماعة.

لكن هل تصح الصلاة أو صلاة الجمعة، خلف الفاسق؛ غير الإمام؟ هذا فيه تفصيل، فإن كان لا يوجد إلا جمعة واحدة في البلد، وإمامها فاسق؛ فإنه يصلي خلفه؛ لأنه لو لم يصل خلفه؛ صلَّى وحده، وهذا بدعة. فإذا لم تُوجَد إلا هذه الجمعة، أو هذا الجامع الذي إمامه فاسق؛ فإنه يصلي خلفه عند عامة أهل السنة، ومن تركه ولم يصل خلفه، وصلَّى وحده: فهو مبتدع.

لكن إذا وجد إمامَ مسجدٍ آخر؛ جمعةً أو جماعة، إمَامهُ عادل، وصلى خلف الفاسق مع وجود العادل، فهل تصح صلاته أو لا تصح؟ إن كان يترتب على ترك الصلاة خلف الفاسق مفسدة؛ صَلَّى خلف الفاسق، كأن يترتَّب على ترك الصلاة خلفه تَحَزُّب الناس حزبين: حزب مع الإمام وحزب مع الذي لم يُصل خلفه، فتحصل فُرقة واختلاف، فهذا يُصلّىٰ خلفه.

أمَّا إذا لم يترتب على هذا مفسدة، وصلى خلف الفاسق مع وجود العادل، ففيه خلاف بين العلماء، فمن العلماء من قال: تصح، ومنهم من قال: لا تصح، ومنهم من قال: تصح، ويُعيد، ومنهم من قال: لا يعيد. وسبب من رأى عدم الصلاة خلفه: أنه إذا صلى خلف فاسق؛ لم ينكر المنكر عليه؛ فيكون قد أقرَّه عليه؛ والواجب إنكار المنكر. فإذاً يُصلى خلف الفاسق: إذا كان إمامَ المسلمين، أو إذا كان قد ولاه إمامُ المسلمين، أو إذا لم يوجد جماعة أخرى أو جمعة، ويترتب على ترْك الجمعة والجماعة مفسدة.







الخروج على الأئمة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة: فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن النبي ﷺ، فإن مات الخارج عليه؛ مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع؛ على غير السنة والطريق».

الشَّرْح

قَرَّرَ المؤلف هنا، عقيدة أهل السنة في تحريم الخروج على إمام من أئمة المسلمين، بعد أن اجتمعت الأمة عليه، وأقروا له بالخلافة؛ بأي وجه كان؛ يعني: بواحدةٍ من الأمور الثلاثة التي فصلناها: إما باختيار أهل الحل والعقد، أو بولاية العهد، أو بالقوة والغلبة، ولهذا قال: «بأي وجه كان، بالرضا أو بالغلبة، فقوله: «بالرضا» هذا بالاختيار والانتخاب، أو بولاية العهد، وقوله: «أو بالغلبة»؛ أي: غلبهم بسيفه وسلطانه حتى ثبتت له الخلافة، فلا يجوز الخروج عليه، ومن خرج عليه فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، وخالف الأحاديث، ويكون مبتدعاً، فإن مات هذا الخارج على الإمام؛ مات ميتة جاهلية.

والدليل على هذا؛ الأحاديث الصحيحة، من ذلك: ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من**

فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»[١]، وهذا وعيد شديد يدل على أنه مرتكب لكبيرة، وظاهر قوله: «فمات ميتة جاهلية» يَدُلُّ على كفره؛ لأنه يموت على الجاهلية، وهذا هو الأصل، لكن ليس المراد به هنا الكفر، وإنما المراد هنا: الوعيد الشديد، وأنه مرتكب لكبيرةٍ.

إذاً: الخروج على ولاة الأمور من كبائر الذنوب. وفي قوله: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر**»[٢]، أَمْرٌ وتوجيهٌ نَبَوِيٌّ بالصبر والتحمل؛ لِمَا يترتب على عدم الصبر من فسادٍ عريض، ومفارقة الجماعة، وشق عصا الطاعة؛ ولأنه إذا مات على هذه الحال؛ فميتتُه جاهلية[٣].

ومن الأحاديث في هذا الباب: ما رواه الإمام مسلم، وأحمد، والنسائي، من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لِعَصَبَةٍ، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عَصَبَة، فقُتل فَقِتْلَةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**»[٤]. ومن ذلك: حديث أبي ذر الذي رواه الإمام مسلم، قال: «**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف**»[٥]، وفي لفظ: «**ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة**»[٦]. فلو كان الإمام عبداً مُجَدَّعاً مقطوعَ الأنف والأذن، فيجب السمع له والطاعة، ويحرم الخروج

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، واللفظ له، ومسلم (١٨٤٩)، وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله، واللفظ للإمام مسلم رحمه الله.

(٤) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٤٨)، واللفظ له، والنسائي (٤١٢٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٦).

(٥) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٦٤٨)، واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (١١٣)، وابن ماجه (٢٨٩٢)، وأحمد في المسند (٥/ ١٦١، ١٧١)، وغيرهم.

(٦) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٧١)، عن أبي ذر رضي الله عنه.

عليه، وهو من كبائر الذنوب، بل هو من شعار أهل البدع، الذين يَرَوْنَ الخروج على ولاة الأمور.

ولذلك: فإن الخوارج يرون الخروج على ولي الأمر إذا فَسَقَ، وارتكب كبيرة من الكبائر؛ لأنه عندهم كافر، فيوجبون قَتْلَهُ وخلْعَهُ.

وكذلك المعتزلة: يرون الخروج على ولاة الأمور إذا فعلوا الكبائر؛ بناءً على أصل أَصَّلُوه في هذا الباب، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن هذا أصلٌ من أصولهم الخمسة؛ ستروا تحته القول: بجواز الخروج على أئمة الجَوْر بالسّيف، فخالفوا بذلك النصوص الآمرة بالصبر على جَوْر الأئمة، وعدم الخروج عليهم؛ إذا فسقوا، ما لم يكن كفرٌ بواح عندهم من الله فيه برهان.

فإذاً: الخروج على ولاة الأمور هو من فعل أهل البدع؛ كالخوارج والمعتزلة.

وكذلك الروافض يرون الخروج على ولاة الأمور؛ لأن الإمام عندهم لا إمامةَ له تَصِحّ، إلا إذا كان معصوماً، وعلى هذا: فكل الأئمة ـ عندهم ـ إمامتهم باطلة، ويجوز الخروج عليهم.

ويَدَّعون أنَّ هؤلاء الأئمة المعصومين: اثنا عشر إماماً، نَصَّ عليهم النبي ﷺ، وأوَّلهم: علي بن أبي طالب، ثم الإمام الثاني المعصوم: الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، الذي دخل سرداب سامراء، وهو المهدي المنتظر بزعمهم. فهؤلاء الأئمة الاثنا عشر عندهم، أئمة منصوص على إمامتهم، معصومون، وما عدا هؤلاء الأئمة؛ فولايتهم باطلة.

وأما أهل السنة والجماعة فلا يرون الخروج على ولاة الأمور إلا بخمسة شروط، إذا وُجِدَتْ؛ جاز الخروج على ولي الأمر:

الشرط الأول: أن يفعل وليُّ الأمر كفراً لا معصية.

الشرط الثاني: أن يكون هذا الكفر صريحاً واضحاً لا لبس فيه، ولا إشكال، فإن كان فيه إشكال وشبهة؛ فلا.

الشرط الثالث: أن يكون دليل هذا الكفر واضحاً من الكتاب والسنة؛ لقوله ﷺ: **«إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»**(١).

الشرط الرابع: وجود البديل المسلم الذي يحل محله؛ لأنه إذا كان يُزَالُ كَافرٌ ويؤتى بدله بكافرٍ، مثل ما يحصل في بعض الحكومات العسكرية، والجمهوريات، من انقلابٍ عسكري، ومجيء حكومةٍ كافرةٍ بدل حكومة كافرة؛ فإن هذا لا يُجدي.

الشرط الخامس: وجود القدرة والاستطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فإذا وُجدتْ هذه الشروط الخمسة؛ جاز الخروج، وإلا فلا.

ولذلك: فإن الشخص الذي يكون في بلدٍ تحكمه دولة كافرة وليستْ لديه القدرة والاستطاعة، فلا نكلفه بالخروج، ولا نُلزمه به، فقد يترتب على ذلك شرور ومفاسد عظيمة وفتن، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فعلى هذا وأمثاله، أن يسعى لتخفيف الشر ما أمكن، والتعاون على الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وهذا معنى قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق». وإنما كان على غير السنة والطريق؛ لأنه وافق أهل البدع في قولهم بجواز الخروج على الأئمة؛ إن جاروا أو فسقوا.

والحكمة في عدم جواز الخروج على ولي الأمر إذا فعل المعاصي

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، واللفظ له، ومسلم (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والكبائر؛ لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وبدرء المفاسد وتقليلها، ومن قواعد الشريعة أنه: إذا اجتمعتْ مفسدتان: كبرى وصُغرى، ولا يُستطاع تركهما، ولا بُدَّ مِنْ فِعْلِ واحدةٍ من المفسدتين؛ فإنَّا نرتكبُ المفسدةَ الصغرى لتفويتِ الكبرى.

وكذلك: إذا وُجِدتْ مصلحتان: كبرى وصغرى، لا نستطيع فعلهما؛ فإننا نُفَوِّتُ المصلحةَ الصغرى، ونفعل المصلحةَ الكبرى، فهذه قاعدة من قواعد الشرع، دلتْ عليها نصوص كثيرة. فمن أدلة هذه القواعد؛ قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة: «**لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين**»[1]؛ يعني: منعه من ذلك؛ خشية أن يكفروا؛ لأن قريشاً أسلموا حديثاً؛ ولا تتحمل قلوبهم ذلك، يقول: فلولا خشيتي عليهم من الردة، لفعلت ذلك؛ لأن الكعبة كانت قد بُنيت على بناء الجاهلية.

وذلك: أن أهل الجاهلية لما تصدعت الكعبةُ، قبل البعثة النبوية بخمس سنين؛ هدموا الكعبة وبنوها، وقالوا ـ وهم كفارٌ ـ يومئذٍ: لا نريد أن نبني الكعبة إلا بدراهم حلال؛ ليس فيها حرام؛ يعني: كل درهم ينفقونه في بناء الكعبة؛ لا بُدَّ أن يكون حلالاً؛ الطين، والخشب، وغيرهما، فجمعوا مالاً حلالاً، ثم لم يجدوا مالاً من الحلال يكفي لبناء الكعبة، وَقَصَّرتْ بهم النفقة، فقالوا: نبني بعضها ونخرج بعضها، فبنوا بعضها وأخرجوا الحِجْر ستة أذرع، أو سبعة أذرع ولم يُدْخِلُوا الحِجْر في الكعبة؛ لأنهم لم يجدوا مالاً حلالاً يبنونها بها.

فكان أَمْرُ الكعبة باقياً على ما كانت عليه زمن الجاهلية، فلمّا فُتحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وأسلمت قريش لم يكن الإيمان قد تمكَّن من قلوبهم بَعْدُ، وكان الرسول ﷺ يريد أن يُدخل الحجر في الكعبة، وكانت

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٢٦)، مسلم (١٣٣٣)، عن عائشة رضي الله عنها.

قريش قد أخرجتْ الحِجْر، وجعلت باباً واحداً ـ باباً شرقياً ـ وكان مرفوعاً، فقال النبي ﷺ: «**لولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت، فهُدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض وجعلت له بابين؛ باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغتُ به أساسَ إبراهيم**»[1].

وقال ﷺ: «**ألم تَرَى قومَك قَصَّرتْ بهم النفقة**»، قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: «**فعل ذلك قومك ليُدخلوا مَنْ شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أن قومك حديثٌ عَهْدُهُم بجاهليةٍ فأخافُ أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجَدْرَ في البيت، وأن ألصُق بابه بالأرض**»[2].

فهنا تَعَارَضَ أمران: نقض الكعبة وبناؤها على قواعد إبراهيم، وخوفُ ارتداد من أسلم حديثاً من أهل قريش، فلما تعارض الأمران، وكانت مفسدة الكفر هي الراجحة، ترك النبي ﷺ الكعبة على ما كانت عليه زَمَنَ الجاهلية.

ولهذا لما تمكن الإيمان من قلوب الناس في زمن عبد الله بن الزبير؛ لما تولى الخلافة؛ طَبَّقَ هذا الحديث، وأدخل الحجر، ونزَّل الباب الشرقي، وفتح باباً غربياً، وصار عبدُ الله بن الزبير يستلم الأركان الأربعة كلها حتى الركن الشامي والعراقي؛ لأنه لما أدخل الحجر في البيت، صارت الأركان كلها على قواعد إبراهيم، فصار يستلم الأركان الأربعة كلها.

لكن نازع عبدَ الله بن الزبير، عبدُ الملك بن مروان؛ لما استتب له الأمر أخذ الحجاز، وأخذ الشام كذلك، ولكن كاد مروان بن الحكم أن يبايعه، ولم يبق لهم آنذاك إلا بلدة واحدة في الشام، ثم تولى بعده عبد الملك، وجعل يأخذ الشام بلدةً بلدةً حتى توسع، ثم أخذ العراق، ثم وَلَّىٰ الحجاجَ، وجعل الحَجَّاجُ يقاتل، وجعل هَمَّهُ قتال ابن الزبير؛ فصار الحَجَّاجُ يبعث الجيوش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، حتى انتهى الأمر

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٥٨٦)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٣).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٥٨٤)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٣).

بقتل عبدِ الله بن الزبير، فَصَلَبَهُ الحجَّاج على خشبة، وَهَدَمَ الكعبة بالمنجنيق، وأخرج الحجر، ورفع الباب، وسد الباب الغربي، وأعادها على ما كانت عليه في الجاهلية؛ كما هي الآن.

وقد استشار أبو جعفر المنصور الإمام مالك[1] بن أنس ﷺ، هل يعيد بناء الكعبة، ويُدخل الحجر كما فعل عبد الله بن الزبير، أو يتركها على حالها؟ فأشار إليه الإمام مالك بتركها على حالها، فقال: لماذا؟ فقال الإمام مالك: أخشى أن تكون الكعبة ملعبةً للملوك. فبقيتْ على ما كانت عليه.

فكان رأي الإمام مالك موفقاً فَسَدَّ البابَ حتى لا تكون الكعبة ملعبةً بيد الملوك؛ كلما جاء واحدٌ هَدَمَهَا وَبَنَاهَا.

فهذا مثال من تطبيقات القاعدة السابقة، قاعدة تعارض مفسدتين: كُبرىٰ، وَصُغْرَىٰ.

ومن تطبيقات القاعدة السابقة: مسألة ترك الخروج على وَلِيِّ الأمر، إذا جار أو فَسَقَ، ولا شك أن فِعْلَهُ هذا مفسدة، لكن الخروج عليه يترتب عليه مفاسد أكبر، كاختلال الأمن، وانشقاق عصا الطاعة، وانقسام الناس؛ قسم مع ولي الأمر، وقسم مع غيره، وإراقة الدماء، واختلال أحوال الناس المعيشية: الزراعيّة، والتجاريّة، والتعليميّة، والصناعيّة؛ كلها تختل، فيتربص الأعداء بهم الدوائر، وتتدخل الدول الأجنبية، وغيرها. لا شك أن هذه المفاسد أعظم وأكبر، وهي تربو على مفسدة كون وليّ الأمر فاسقاً أو جائراً، ولذلك: كانت القاعدة الشرعية في مثل هذه الأحوال: أن تُرتكب المفسدة الصغرى؛ دفعاً للكبرىٰ؛ فكان لا بُدَّ من الصبر على جوره وظلمه؛ لا شك أنَّ هذا أسهل من الخروج عليه؛ لأن الخروج فيه إراقة الدماء، وفتن، ومصائب، واختلال الأمن، وأمور عظيمة، تقضي على الأخضر واليابس؛ فلهذا جاء الإسلام بالمنع من الخروج على ولاة الأمور.

---

(١) الاستذكار (١٢/ ١١٧).

ومع أَمْر النبي ﷺ بالصبر، كما في قوله: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر**»[١] فإن هذا لا يمنع من مناصحته مِنْ قِبَلِ أهل الحل والعقد، والعلماء، وغيرهم، فيبلغونه الحقَّ، ويناصحونه، فإن قَبِل فالحمد لله، وإن لم يقبل؛ فقد أدوا ما عليهم، وأبرأوا ذِمَمَهُم. والله أعلم.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) واللفظ له، وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما.





قتال اللصوص والخوارج

قال المؤلف رحمه الله: «وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يقاتل عن نفسه وماله ويدفع عنها بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم، ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك وينوي بجهده أن لا يقتل أحداً، فإن مات على يديه في دفعه عن نفسه في المعركة؛ فأبعد الله المقتول، وإن قُتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله؛ رجوت له الشهادة، كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله، ولم يؤمر بقتله ولا اتباعه، ولا يُجهِز عليه إن صرع أو كان جريحاً، وإن أخذه أسيراً فليس له أن يقتله، ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله؛ فيحكم فيه».

الشَّرْح

من عقيدة أهل السنة في قتال اللصوص والخوارج: أنه إذا جاء لص في بيتك يريد أن يأخذ مالك، أو في بيت غيرك، أو في أي مكانٍ يريد أن يأخذ مالك، أو تعرَّض لك بعض الخوارج، وصال عليك، فهل لك أن تستسلم، أو تدفع عن نفسك؟ الصحيح أَنَّ المرءَ يدفع عن نفسه، وعن ماله، وعن أهله.

ولكن عليه أن يدفع هذا اللص أو الخارجي بالأسهل فالأسهل، فإذا اندفع بالضرب، فلا يقتله، بل يضربه حتى يندفع، أو يكسر يده مثلاً، أو يقطعها،

ولا يقتله، فإذا كان ـ كما مضى ـ لا يندفع إلا بقطع اليد، أو الكسر؛ فله، وإذا اندفع بالضرب بالعصا؛ فلا يضربه بالسيف ولا بالسلاح، وإذا لم يندفع؛ فله أن يدفع بالأخف فالأخف، ولا ينوي قتله، بل يدفع بالأسهل فالأسهل.

وإذا هَرَبَ، فليس له أن يطلبه، ويقاتله؛ ما دام أنه هرب وخرج من البيت، أو من المكان، وَسَلِمْتَ من شره؛ فاتركه، ولا تطلبه، ولا تتبع أثره: إنما الذي يلحقه ويتبع أثره: الولاةُ، أو الإمامُ، والشُّرَطُ، فهؤلاء هم الذي يلحقونه حتى يُؤَدَّبَ ويُقام عليه الحد أو التعزير، فهذا لولاة الأمور، أما أنت فليس لك أن تلحقه ثم تأخذه وتؤدبه وتضربه، أو تطلق عليه النار لكن لا مانع أن تبلغ ولاةَ الأمور، وتبلغ الشُّرَطَ، حتى يُؤخذ ويُؤَدَّب.

لكن إذا لم يندفع إلا بالقتل؛ فهو إما أن يقتلك أو تقتله، فلك قتله في هذه الحالة؛ للضرورة، ولا تستسلم للقتل، فإن قَتَلْتَهُ؛ يقول الإمام: (أبعده الله)، وإن قتلكَ أنتَ؛ (فأنت شهيد). ولهذا قال: في حال أنه قَتَلَكَ وأنت تدافع عن نفسك: «رجوت له الشهادة، كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أُمر بقتاله، ولم يؤمر بقتله ولا اتباعه»، فأنت مأمور إذاً بقتاله لا بقتله، وهناك فرق بين الأمرين ـ بين القتل والقتال ـ، القتالُ دفاعٌ عن النفس؛ فإذا قاتلك تقاتلُه؛ تدفعُ عن نفسك، ولست مأموراً بقتله، ولكنك مأمور بقتاله؛ دفاعاً عن النفس، ولست مأموراً باتباعه واللحق به، وطلبه إذا هرب منك أو فارقك.

وذكر الإمام أحمد أيضاً: أنه ليس لك أن تُجهز عليه إذا صُرِعَ، أو جُرِحَ، ما دام أنك سلمتَ من شره، بل يُسلّمه لولاة الأمور، أو يُسَلَّم للشُّرط، وكذلك إن أخذته أسيراً: ليس لك أن تقتله.

وليس لك أن تقيم عليه الحد؛ فبعض الناس يكون أقوى من السارق، فيأخذه ويوثقه بالوثاق، ويربط يديه ورجليه، وقد يقول: أقْتُلُه الآن، أو أقطع يده؛ لأنه سارق!! فليس لك هذا، وإنما تسلمه لولاة الأمور، ولا تُقم عليه الحد؛ لأن إقامة الحد، من شأن ولاة الأمور، ولكن ترفع أمره لهم.

والدليل على هذا؛ ما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**من قُتل دون ماله فهو شهيد**»[١]، وفي لفظ: «**من قُتل دون أهله فهو شهيد**»[٢].

ومنها أيضاً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**»[٣].

ومن كلام الإمام أحمد رحمه الله، في هذا الباب؛ ما رواه الخلال في كتاب السنة، «قال: أخبرني عبد الملك الميموني، أنه قال لأبِي عبد الله ـ يعني: الإمام أحمد ـ: هل علمتَ أحداً ترك قتال اللصوص تأثماً؟ أي: خشية الإثم، قال: لا، قلتُ: قوم يقولون: إن لقيتهم فقاتلهم، لا تضربه بالسيف وأنت تريد قتله، قال: إنما أضربه لأمنع نفسي ومالي منه، فإن أصيب فهل فيه، قلت: نعم يا أبا عبد الله أعلم أني أضربه بالسيف، ولست آلو قطع يده ورجله، وأشاغله عني بكل ما أمكن، قال: نعم، وقد كنت قلت له: في أن يخرج عليه؟ قال: وهو يدعوك حتى تخرج عليهم، هم أخبث من ذلك، ورأيته يعجب ممن يقول: أقاتله وأمنعه وأنا لا أريد نفسه؛ أي: فهذا مما لا ينبغي أن يشغل به القلب، له قتاله ودفعه عن نفسه بكل ما أمكنه أصاب نفسه أو بقيت»[٤].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٧/ ١١٦)، وأحمد في المسند (١/ ١٩٠) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٠)، واللفظ له، والنسائي (٢/ ١٧٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٩، ٣٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٦٥، ٨/ ٣٣٥).

(٤) إسناده صحيح: السنن للخلال (١٦٢).

ورُوي بسند صحيح عن الإمام أحمد أنه قال: «**أرى قتال اللصوص إذا أرادوا مالك ونفسك، فأما أن تذهب إليهم أو تتبعهم إذا ولوا فلا يجوز لك قتالهم**»[(١)].

فالمقصود: أن قتال اللصوص، وقتال الخوارج، إنما يقاتلهم الإنسان دفاعاً عن نفسه، فلا يستعمل السلاح، وإذا اضطر إلى السلاح: فإنه يضربه بشيء يؤثر على بعض أعضائه؛ حتى يشتغل بنفسه عنه.



(١) إسناده صحيح: السنن للخلال (١٧٥).





الشهادة للمعين بالجنة أو النار

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار؛ نرجو للصالح، ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله».

الشرح

المراد بأهل القبلة: من التزم بأحكام الإسلام، واستقبل القبلة في الصلاة، يقول النبي ﷺ: **«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته»**(١).

وهذا المسلم الذي التزم بأحكام الإسلام في الظاهر، ولم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام: يُحكم عليه بالإسلام في الظاهر، ولا يُشهد عليه بجنة ولا نار، لكن يُشهد بذلك على العموم، فيقال: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار، ولا يُشهد على معين من أهل القبلة بجنة ولا نار، لكن نرجو للصالح الثواب، ونخاف على المسيء المذنب العقاب.

فَمَنْ رأيناه مستقيماً على طاعة الله، وعمل الطاعات، فمثل هذا نرجو له الجنة، لكن لا نشهد له بها، ومن رأيناه يعمل المعاصي والمخالفات، نخاف عليه من النار، ولكن لا نشهد له بها، ولكن نشهد على سبيل العموم، فنقول ـ كما سبق ـ: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٩١)، والنسائي (٨/ ١٠٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن البراء بن عازب رضي الله عنه أخرجه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١)، وأبو داود (٢٨٠٢).

أما الشهادة للمعين بالجنة، فلأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا يُشهد إلا لمن شهدت له النصوص بذلك، مثل العشرة المبشرين بالجنة[١]، فهؤلاء نشهد لهم بالجنة، كما جاء في الحديث أنَّ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[٢]، وكذلك «**ابن عمر**»[٣]، و«**عكاشة بن محصن**»[٤]، و«**عبد الله بن سلام**»[٥]، وكذلك «**بلال**» كلهم مشهود له بالجنة[٦].

هذا هو الصواب، وهذا هو الراجح. ويضاف إلى من سبقوا: أهلُ بيعة الرضوان، كما قال ﷺ: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[٧]، وأهلُ بدرٍ ـ على وجه العموم ـ كما شهد لهم النبي ﷺ لمَّا قال لعمر: «**وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٨].

القول الثاني: أنه لا يشهد إلا للأنبياء فقط.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال: حسن، والنسائي (١٠٠)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٨٧، ١٨٨)، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عند الترمذي، والنسائي، وأحمد، وابن حبان، وغيرهم.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٣/٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (١١٦٩)، والطبراني في الكبير (٢٦١١، ٢٦١٢، ٢٦١٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٥٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٦)، وفي الباب عن حذيفة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) (٣٦٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٠٢، ٤٥٦) وغيرهم.

(٥) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨١٢، ٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٣، ٢٤٨٤).

(٦) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٥٧).

(٧) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أم مبشر، أخرجه مسلم (٢٤٩٦) وغيره.

(٨) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، واللفظ له وغيرهم.

القول الثالث: أنه يُشهد لمن شهد له اثنان عدلان بالجنة، بدليل حديث أبي الأسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمرتْ بهم جنازة فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمر رضي الله عنه: وجبتْ، ثم مر بأخرى فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمر رضي الله عنه: وجبتْ، ثم مر بالثالثة فَأُثني على صاحبها شراً، فقال: وجبتْ، فقال أبو الأسود: فقلت: وما وجبتْ يا أمير المؤمنين؟ قال: قلتُ كما قال النبي ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير؛ أدخله الله الجنة**»، فقلنا وثلاثة، قال: «**وثلاثة**» فقلنا: واثنان، قال: «**واثنان**». ثم لم نسأله عن الواحد[1].

ودليل آخر وهو: ما ثبت في الحديث الصحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «**وجبتْ**»، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال النبي ﷺ: «**وجبتْ**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيراً؛ فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً؛ فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**»[2].

الدليل الثاني: قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار**»، قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن، والثناء السيئ؛ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض**»[3]. قالوا: هذا دليل على

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٦٨)، والترمذي (١٠٥٩)، والنسائي (٤/ ٥١)، وأبو يعلى في مسنده (١٤٥) كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، والنسائي (٤/ ٥٠)، وابن ماجه (١٤٩١)، كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود، والنسائي (٤/ ٥٠)، وابن ماجه (١٤٩٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٦١، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٩٨، ٥٢٨).

(٣) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١) واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ٤١٦، ٦/ ٤٦٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥١٠)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٦)، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٣)، وصححه الشيخ الألباني في الطحاوية (٤٨٩).

أنه يُشهد بالجنة لمن شهد له أهل الخير وأهل العدل، دون الفساق، وأهلِ التفريط، لكن من شهد له أهل الخير وأهل الصلاح والتقى، بالخير، فهذا دليل على أنه من أهل الجنة.

والصواب: القول الأول: أنه لا يُشهد بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص، وإلّا لم يكن هناك ميزة للمبشرين بالجنة، فلو أنَّ كُلَّ واحد يَشهد له اثنان بالجنة؛ يكون من أهلها لصار مثل المبشرين بالجنة!!

وأما حديث «**أنتم شهداء الله في الأرض**»[1]، فأجاب عنه بعض العلماء، بأنه خاص بالصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ وعدَّلهم.

فالصواب: أنه لا يُشهد بالجنة والنار إلا لمن شهدت له النصوص.

وكذلك نشهد بالنار لمن شهدت له النصوص بذلك، كأبي لهب، وأبي جهل، وأما مَنْ لم يَرِدْ فيه النَّصُّ؛ إذا علمنا أنه مات على الكفر، ولم تكن له شبهة، وقامت عليه الحجة، فهذا نشهد له بالكفر، ونشهد عليه بالنار؛ إذا عُلِمَتْ خاتُمته، مثل شخص حضرته الوفاة؛ وهو يفعل الشرك، ونهيتَه عن الشرك، فقال: أُريد الشركَ، ومات على ذلك، وقد بلغته الحجة، فهذا يُشهد له بالكفر، ويُشهد له بالنار.

أما مَنْ لم تعلم حاله، ولا تدري هل هو له شبهة، أو: لا، وهل قامت عليه الحجة، فلا تُكَفِّرْهُ بِعَيْنه؛ فلعله أن يكون جاهلاً، أو عنده شبهة؟ فنقول فيمن هذا حاله وأمثاله: اشهدْ بالعموم، ويكفيك أن تشهد بالعموم، وتقول على وجه العموم: كل كافر في النار، كما تقول: كل مؤمن في الجنة. وفي الحديث: أنه لما مات طفل، قالت عائشة: يا رسول الله، طوبى له! عصفور من عصافير الجنة، قال: «**وما يدريك يا عائشة؟! إن الله خلق للجنة أقواماً، خلقهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أقواماً خلقهم وهم في أصلاب آبائهم**». فأنكر عليها؛ لأنها شهدت له بعينه، وإن كانت النصوص دلت بعمومها على أن الأطفال في الجنة.

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم برقم (٣).

فتلخَّص مِن هذا: أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة: أنه لا يُشهد على أحد من أهل القبلة، بجنة ولا نار، إلا من شهدت له النصوص.

أما من فعل ناقضاً من نواقض الإسلام، فإنه يُحكم عليه من جهة العموم؛ فيقال: هذا كفر، وأما الشخص المُعَيَّن؛ فلا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، وَوُجِدَتْ الشروطُ، وانتفت الموانعُ.





حكم مَنْ لقي الله بذنب يجب له به النار

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومن لقي الله بذنب يجب له به النار؛ تائباً غير مصر عليه: فإن الله يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حَدُّ ذلك الذنب في الدنيا: فهو كفارته، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ. ومن لقيه مُصراً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة؛ فَأَمْرُهُ إلى الله، إن شاء عَذَّبه، وإن شاء غفر له، ومن لقيه وهو كافر؛ عَذَّبَهُ ولم يغفر له».

الشَّرْحُ

يشيرُ الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ، إلى عقيدة أهل السنة في أهل الكبائر الذين لقوا الله بذنب يجب لهم به النار.

وأصح ما قيل في تعريف الكبيرة؛ أن الكبيرة: كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة بالنار، أو وَرَدَ لُعن فاعله، أو الغضب عليه. ومن أمثلة الذنوب التي وجب فيها: حد في الدنيا: الزنا؛ وفيه: الرجم أو الجلد، ومثل السرقة فيها: قطع اليد، ومثل شرب الخمر: فيه الجلد.

ومثلُ ما ورد فيه وعيد في الآخرة بالنار: أكل مال اليتيم، فقد تُوعد عليه بالنار، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]. ومثل القتل؛ تُوعِّدَ عليه بالنار، واللعنة، والغضب.

وزاد بعضهم في تعريف الكبيرة، فقال: يَدْخُل فيها: من قال فيه

النبي ﷺ: «**ليس منا**»؛ كما في حديث «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب**»[(١)]، وحديث «**من غش فليس منا**»[(٢)]، وحديث «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[(٣)].

وكذلك أدخل بعضهم في جملة الكبائر: من ورد فيه النصّ بنفي الإيمان عنه، كحديث: «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»[(٤)]، وحديث «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(٥)].

فإذا لقي العبدُ الله بذنب يجبُ له النار؛ تائباً؛ غير مُصِرٍّ عليه؛ فإن الله يتوب عليه؛ إذا أتى التوبة بشروطها؛ فإن الله يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧]؛ أي: يتوبون من قريب؛ قبل الموت، إذا وُجدت الشروط، وهي:

أولاً: أن تكون التوبة لله؛ خالصة لوجهه؛ لأن التوبة عبادة، فلا تكون لقصدٍ آخر.

ثانياً: أن يُقلع عن المعصية، ويتخلى عنها.

ثالثاً: أن يندم على ما مضى، ويتأسف.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣) الإيمان، والترمذي (٩٩٩)، والنسائي (٤/ ٢٠)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٢، ٤٥٦، ٤٦٥) كلهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٠٢)، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٢) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي موسى رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٧٠٧١)، ومسلم (١٠٠).

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٠١٦)، وفي رواية لمسلم (٤٦) (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه).

(٥) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) (١٠٢) الإيمان، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، والنسائي (٨/ ٣١٢)، وابن ماجه (٣٩٣٦).

رابعاً: أن يعزم على عدم العود إليها مرة أخرى، فإن كان ينوي أن يعود إليها بعد رمضان مثلاً، وتاب توبةً مؤقتة؛ فلا تصح، فلا بد أن ينوي عدم العودة إليها.

خامساً: أن تكون التوبة قبل الموت؛ لقوله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١).

سادساً: أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان؛ وفي الحديث: «**أنه لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

سابعاً: أن تكون التوبة قبل نزول العذاب، فإذا نزل العذاب فلا توبة؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥]؛ ففرعون تاب لما أدركه الغرق، لكن لما كانت توبتُه عند نزول العذاب؛ لم تنفعه هذه التوبة، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]. فهذا فرعون قال عندما أدركه الغرقُ: آمنتُ بالذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين، لكنه قالها في وقت لا ينفعُ فيه الإيمان، فقال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١]؛ أي: انتهى الأمر لما نزل العذاب، فلم يَعُدْ إيمانُك مقبولاً.

---

(١) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد في المسند (٢/ ١٣٢)، وأبو يعلى في مسند (٥٦٠٩، ٥٧١٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٧)، وصححه الحاكم والذهبي، وحسنه الترمذي، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح لغيره: أخرجه أبو داود (٢٤٧٩) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (٨٧١١)، وأحمد في المسند (٤/ ٩٩)، والدارمي (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧٣٧١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٦٣٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٩٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٩) عن معاوية رضي الله عنه، وفي الإرواء (١٢٠٨)، وله شاهد من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه.

لكن هناك أمة واحدة، أو قرية واحدة استثناها الله، لما جاءها العذاب؛ آمنتْ؛ وَقَبِلَ اللهُ توبتها، وهم قوم يونس، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨]، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤١]. وذلك أن يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعا قومه إلى الإسلام، فردوا دعوته، فغضب عليهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فقال لهم: انتظروا العذابَ، وتركهم، وركب البحر، وحصل ما حصل، حتى أُلقي في بطن الحوت.

فلما أُلقي في بطن الحوت؛ دعا الله كما قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، فجلس مدَّة، ثم أرسله الله مرة أخرى إلى قومه، فلما رجع إليهم، وجدهم قد ندموا، فلما دعاهم؛ آمنوا، قال الله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨]. فيونس نبي كريم؛ ولهذا يقول النبي ﷺ، في الحديث الصحيح: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**»[(١)]، فهو نبي كريم. فلا يقول إنه خير من يونس بن متى، وينتقصه لأجل ما بَدَرَ منه. ومن قال ذلك: فهو كاذب، ولا يمكن أن يقال هذا على نبي من الأنبياء.

فالحاصل: أنه إذا وُجدت شروط التوبة وصحت؛ محا اللهُ الذنب بهذه التوبة، ثم إذا بُلي بذنب مرة أخرى فإن هذا الذنب الجديد يحتاج إلى توبة؛ وهكذا، كلما أَذْنَب؛ استغفر؛ وقُبِلتْ توبتُه، لكن بالشروط السابقة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٠٤، ٤٨٠٥)، والترمذي (٣٢٤٥)، وابن ماجه (٤٢٧٤)، وغيرهم، وكلهم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنه، وانظر ما ذكره شارح الطحاوية ابن أبي العز في شرح هذا الحديث ص(١٦٢ ـ ١٦٤) ط الثامنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

وقول المؤلف: «من لقي الله بذنب يجب له به النار تائباً غير مصر عليه فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات». هذه هي الحالة الأولى: أن يتوب من الذنب.

الحالة الثانية: مَنْ لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا؛ فهو كفارته، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ؛ يعني: أن العبد إذا لقي اللهَ بالذنب، ولكن أُقيم عليه الحد؛ كمن زنا وهو غير محصن، ثم جُلد مائة جلدة، أو زنا وهو محصن، ثم رُجم، أو سرق ثم قُطعت يده؛ فإن ذلك الحدّ يكون كفارة له، ويطهره الله بالحد؛ فالله أكرم من أن يجمع عليه عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة. فإذا أقيم عليه الحد: صار كفارة له، أو طهارة له، وإذا تاب، فالتوبة طهارة، وإقامة الحد طهارة.

الحالة الثالثة: مَنْ لقي الله بالذنب، ولم يتب، ولم يُقَمْ عليه الحد، وهي التي ذكرها المؤلف، بقوله: «ومن لقيه مصراً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له». ومعنى العبارة: أنه إذا لقي الله مُصراً على الذنب، ولم يتب، ولم يُقم عليه الحد؛ فهذا تحت مشيئة الله: إن شاء الله غفر له بتوبته وإيمانه وإسلامه، وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبه بقدر جُرمه، وأدخله النار ثم يخرج منها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فتحصَّل ممَّا سبق: أن الذي مات مُصِراً على الذنب، له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يتوب؛ فهذا يتوب الله عليه.

الحالة الثانية: أن لا يتوب، لكن يقام عليه الحد؛ فهذا أيضاً؛ يمحو الله ذَنْبَهُ.

الحالة الثالثة: أن لا يتوب، ولا يُقام عليه الحد؛ فهذا تحت مشيئة الله، قد يغفر الله له، وقد يعذبه.

ثم قال المؤلف: «ومن لقيه وهو كافر عذبه ولم يغفر له»؛ يعني: أنَّ الكافر لا حيلة فيه؛ إذا لقي الله بالكفر الأكبر، أو الشرك الأكبر؛ فهذا مُخلد في النار، ولا حيلة في نجاته من عذاب الله، ولو أراد أن يفدي نفسه بملء

الأرض ذهباً؛ فإنه لا يفيده، ولا يستطيع أحد أن يُخَلِّصَهُ من عذاب الله؛ ولهذا قال المؤلف: «ومن لقيه وهو كافر؛ عذَّبه ولم يغفر له». ومن الأدلة على ذلك؛ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩١].

وقد وردتْ أدلة على أن من لقي الله بالذنب، وأُقيم عليه الحد؛ أنه يُمحى عنه الذنب، ومن لقيه ولم يُقم عليه الحد؛ فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه، فمن هذه الأدلة: ما رواه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما، من حديث عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال - وحوله عصابة من أصحابه -: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، وإن شاء عاقبه، قال: فبايعته على ذلك**»[1].



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٧٠٩)، والترمذي (١٤٣٩)، والنسائي (٧/ ١٦١، ٨/ ١٠٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٤)، والحميدي (٣٨٧)، من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.





الرجم حق على من زنى وقد أُحصن

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرجم حق على من زنى وقد أُحصن، إذا اعترف أو قامت عليه بينة، فقد رجم رسول الله ﷺ، وقد رجمت الأئمةُ الراشدون».

الشَّرْحُ

يعني: أنَّ من زنى وقد أُحصن؛ إذا اعترفَ بالزنا، أو قامت عليه بينة، أو ظهر الحمل من المرأة، وكانت موافقة على الزنا، ولم تكن مُكرهة؛ فإنهم جميعا يُرْجَمُون. ومن الدليل أن الرجم يحصل بالاعتراف: أن ماعزاً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، جاء إلى النبي ﷺ، وقال: إني زنيتُ، فأعرضَ عنه حتى ثَنَّىٰ ذلك عليه أربع مرات. فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه رسول الله ﷺ، فقال: أبك جنون؟ قال: لا. قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: **«اذهبوا به فارجموه»**[1]. وكذلك **«الغامدية»**[2] اعترفتْ فَرُجِمَتْ، وكذلك **«اليهودي واليهودية لما اعترفا رجمهما النبي ﷺ»**[3].

الثاني: البينة: والبينة لا بد أن تكون أربعة شهود يشهدون أنهم رأوا ذلك؛ كالميل في المكحلة، فإذا شهدوا بذلك؛ أقيم عليه الحد، وهو الرجم إذا كان محصناً.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٨١٥)، ومسلم (١٦٩١) (١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٦٩٥) (٢٢)، وأبو داود (٤٤٣٣)، والنسائي في الكبرى (٧١٦٣)، عن أبي برزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩)، وأبو داود (٤٤٤٦)، والترمذي (١٤٣٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولكن لم يثبت في السُّنَّة أنه حَصَلَ الرجم بشهادة أربعة؛ لكن ثبت حصوله بالاعتراف والإقرار، لكنه كاد أن يثبت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ ثلاثة إخوة شهدوا وتلكأ الرابع، فلم يشهد؛ وذلك في قصة المغيرة بن شعبة؛ فَجُلدوا[1]؛ فإذا شهد ثلاثة على شخص، ولم يأت رابع؛ فإنَّ الثلاثة يُجْلَدُون؟ كل واحد يُجلد ثمانين جلدة؛ حدَّ القذف، لعدم اكتمال نصاب الشهادة، وهو: الشاهد الرابع.

۞ **وقولُ المؤلف** رَحَمَهُ ٱللَّهُ: «والرجم حق على من زنى إذا أُحصن»، معناه أيضاً: أنه إن لم يكن محصناً؛ بمعنى: أنه لم يتزوج، فإنه يُجلد مائة جلدة، ويُغَرَّبُ سَنَةً، وإذا تزوج في عمره ولو مرة واحدة، ولو لم يكن معه زوجة، بأن ماتتْ عنه، أو طلَّقها ـ مثلاً ـ ثم زنى: فإنه يرجم في كافة الأحوال.

۞ **وقول المؤلف:** «فقد رجم رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون» دليلُه: ما رواه الشيخان، وأصحاب السنن الأربعة، عن ابن عباس ﷺ، قال: قال عمر بن الخطاب، وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: «**إن الله قد بعث** محمداً ﷺ، بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وَعقلناها، فرجم رسولُ الله ﷺ، وَرجمْنَا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف»[2].

وفي حديث آخر لعمر بن الخطاب ﷺ قال: «لقد خشيتُ أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما أجد الرجمَ في كتاب الله؛ فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله، ألا وإن الرجم حق إذا أحصن الرجل وقامت البينة،

---

(١) خبر صحيح: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٥٤٩، ١٥٥٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٥٢).

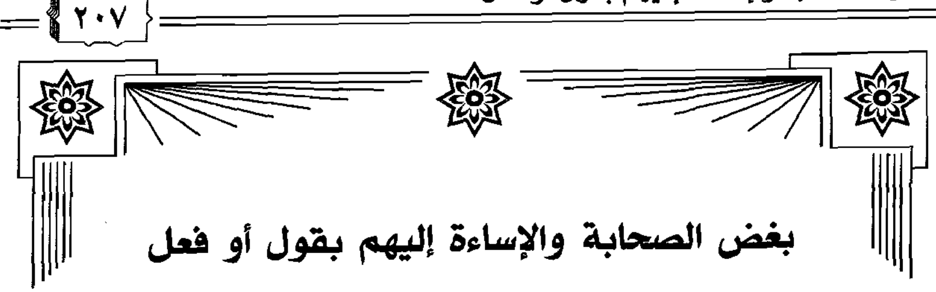
(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١)، واللفظ له، وأبو داود (٤٤١٨)، والترمذي (١٤٣٢)، والنسائي (٤/ ٢٧٣، ٢٧٤)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

أو كان حمل، أو اعتراف، وقد قرأتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» «رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده»[1].



(١) حديث صحيح: أخرجه النسائي (٧١٤٥، ٧١٤٨)، وأحمد في المسند (٥/ ١٨٣)، والدارمي (٢٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١١)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٢٣٣٨)، وفي الباب عن ابن عباس، أخرجه ماجه (٢٥٥٣).





بغض الصحابة والإساءة إليهم بقول أو فعل

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه بحدث كان منه، أو ذِكْر مساوئه: كان مبتدعاً حتى يترحَّم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً».

الشرح

عُدْنا إلى الكلام عن الصحابة، وهنا يشير المؤلف إلى أن مَنْ انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه لحدثٍ منه، أو ذِكْر مساوئه: كان مبتدعاً، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه سليماً.

فالتنقص للصحابة، ولو لواحدٍ منهم، أو بُغضه، أو ذكر مساوئه؛ هذه طريقة أهل البدع، وهو من علامات النفاق، بل لا يبرأ من النفاق، حتى يترحم على الصحابة جميعاً، ويكون قلبه سليماً لهم؛ ولهذا قال الطحاوي[1] في عقيدته، عن الصحابة: «وحبّهم دين وإيمانٌ وإسلام، وبُغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان». فبغض الصحابة من علامات النفاق، ومن علامات خبث القلوب، والله تعالى أثنى على المؤمنين في دعائهم لمن سبقهم من المؤمنين، وبيَّنَ أنه ليس في قلوبهم غلٌّ لهم، فقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) العقيدة الطحاوية (١/٥٧).

وقد استدل بعض العلماء على كفر الروافض، بأن الله تعالى ذكر أن الفيء ـ وهو المال الذي يقسم للمؤمنين بعد القتال ـ: يكون لثلاثة من الأصناف: للمهاجرين، والأنصار، ومن تبعهم بإحسان؛ ممن يدعون لهم، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨]. هذا الصنف الأول، ثم قال بعده: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]؛ وهم الأنصار، ثم قال عن الصنف الثالث: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]. فجعل الفيء للمؤمنين، وجعلهم ثلاثةَ أصنافٍ: المهاجرين، والأنصار، والذين جاءوا مِن بعدهم؛ يدعون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً للمؤمنين. والروافض في قلوبهم غل لهم فليسوا منهم؛ ليسوا من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا من الذين يدعون لهم، بل في قلوبهم غل؛ فدلَّ على أنهم ليسوا من المسلمين.

وقد استنبط الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، كُفْرَ الروافضِ من قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح: ٢٩] فأخذ من قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾؛ أنَّ من أَغَاظَهُ الصحابة؛ فهو كافرٌ؛ والروافض تغيظهم الصحابة؛ فدل على أنهم كفار.

فالواجب علينا: الترحم على الصحابة، والترضي عنهم، والإمساك عما شجر بينهم من الخلاف والحروب، ونعتقد أن لهم من الحسنات، ما يُغطي ما صدر عنهم من الهفوات، والحروب التي وقعت بينهم؛ فهم فيها ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، هذا هو الصواب.

وقد يستدل من يطعن في الصحابة، بالقتال الذي وقع بينهم، ويقول: قد وَرَدَ في الحديث أنه: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[١]. والجواب: أنَّ هذا الوعيد، إنْ كان قتالاً لهوى وعصبية، أما إذا كان قتالاً عن اجتهاد، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩]، وقال أيضاً في الآية بعدها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ فسماهم إخوة وهم يتقاتلون؛ لأن القتال وقع عن اجتهاد، ولهذا انضم أكثر الصحابة إلى علي في قتال أهل الشام، ورأوا أنه على الحق، وأن أهل الشام بغاة، لكن أهل الشام ما كانوا يعلمون أنهم بغاة، وواقعُ الحال أنهم بغاة؛ يجب عليهم أن يبايعوا علياً، وليس لهم أن يمتنعوا، لكنهم اجتهدوا فامتنعوا؛ مطالبةً بدم عثمان، وقد قال النبي ﷺ لعمار: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية**»[٢]، وقد قتله جيشُ معاوية؛ فدل على أنهم الفئة الباغية.

فعليٌّ ومَنْ معه مصيبون، لهم أجران: أجر الاجتهاد، وأجر الصواب، ومعاوية ومن معه مخطئون، فليس لهم أجر الصواب، لكن لهم أجر الاجتهاد.

وانضم أكثر الصحابة إلى علي ـ كما قلنا ـ عملاً بهذه الآية: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩]، لكن بعض الصحابة لم يتبين له الأمر، فاعتزل الفريقين؛ لأنه اشتبه عليه الأمر، وخاف من الأحاديث التي فيها الأمر بعدم القتال في الفتنة، وَكَسْرِ السيوف، لأن النبي ﷺ قال: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي**»[٣]. فمن

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، وأبو داود (٤٢٦٨، ٤٢٦٩)، والنسائي (٧/ ١٢٤، ١٢٥)، وابن ماجه (٣٩٦٥)، وأحمد في المسند (٥/ ٤٣، ٤٨، ٥١)، وغيرهم كلهم عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٩١٥)، وأحمد في المسند (٣/ ٩٠، ٥ ـ ٩١)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦)، وأحمد في المسند (١/ ١٦٩)، كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

هؤلاء: ابن عمر؛ اعتزل الفريقين، وسلمة بن الأكوع؛ اعتزل الفريقين وتزوج في البادية، وقال: أذن لي النبي ﷺ في البدو. ومنهم: أسامة بن زيد، وأبو بكرة، وجماعة.

لكن الصواب ـ كما أسلفنا ـ مع علي، وأمَّا الذين انضموا إلى معاوية، فقد جانبوا الصواب. والأدلة في النهي عن الكلام في الصحابة وانتقاصهم كثيرة: وقد قال الإمام أحمد ـ كما في كتاب السنة للخلال بسند صحيح ـ: «**من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فلا ينطوي إلا على بلية، وله خبيئة سوء**»[1].

فمن تلك الأدلة: قول النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[2]. ومناسبة هذا الحديث: أنه حدث خلاف بين عبد الرحمٰن بن عوف ـ وكان من السابقين الأولين، ومن العشرة المبشرين بالجنة ـ، وبين خالد بن الوليد، وكان ممن أسلموا بعد الحديبية، وقبل فتح مكة، فالصحابة درجات؛ السابقون الأولون: الذين أسلموا قبل صلح الحديبية، وبعدهم الصحابة المتوسطون؛ في المرتبة الثانية: وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وقبل فتح مكة، والمرتبة الثالثة: الذين أسلموا بعد فتح مكة، ويقال لهم: الطلقاء، ومنهم أبو سفيان، وابنه معاوية، وغيرهم. فالنبي ﷺ يخاطب خالداً، ويقول له: «**لا تسبوا أصحابي**»[3]؛ يعني: الذين تقدمت صحبتهم، وهذا دليلٌ على التفاوت بين الصحابة في المرتبة، فلو أنفق خالدٌ مثل أُحد ذهباً، وأنفق عبد الرحمٰن ملء الكف أو نصفه، لسبقه عبد الرحمٰن؛ لِمَا تميَّزَ به من الأمور التي ذُكِرَتْ. فكيف إذاً يكون الشأن بين الصحابة ومن بعدهم من التابعين؟! أو من تأخرت صحبتهم؟! فالمسلم عليه أن يتبرأ من طريقة النواصب والخوارج، الذين

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الخلال في السنة (٧٥٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٦٠)، والترمذي (٣٨٦١)، وأحمد في المسند (٣/ ٥٤)، عن أبي سعيد رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، وابن ماجه (١٦١).

(٣) تقدم فيما قبله.

ينصبون العداوة لأهل البيت: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين؛ فالخوارج يؤذونهم، والروافض: يعبدون أهل البيت، ويكفرون الصحابة، فكل هؤلاء ضُلّال، والحق مع أهل السنة والجماعة، الذين يترضون عن الصحابة، ويوالون أهل البيت، لكن لا يعبدونهم كما تفعل الروافض، بل ينزلونهم منزلتهم التي دلت عليها النصوص، لا بالهوى والعصبية، بل بالعدل والإنصاف. ثم نقول لهؤلاء الذين يقولون: إنَّ الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ وكفروا. ثم نقول لهم: من هم الذين نقلوا إلينا الشريعة؟!! أليسوا هم الصحابة؟ فكيف نثق بدينٍ نقله الكفرة؟!!.

فهؤلاء الصحابة ﷺ الذين تقولون بكفرهم، هم الذين شاهدوا الوحي، ونقلوا لنا الكتاب والسنة، وهؤلاء الروافض الذين يريدون أن يجرحوا أولئك الشهود العدول، إنما يريدون إبطال المشهود له، وهو الكتاب والسنة، ويريدون إبطال الدين. فالطعن فيهم، طعنٌ في الإسلام، وطعن في الدين، وسعى لهدمه.

ولهذا روي عن الإمام أحمد[1] رحمه الله أنه قال: «من سب الشيخين أبا بكر وعمر: كفر»، وكذلك سائر الصحابة، وأمَّا مَنْ سب الواحد منهم، فهذا يكون فاسقاً، عاصياً، ومن كَفَّرهم جميعاً فقد كَذَّبَ الله، ومن كَذَّبَ اللهَ كَفَرَ؛ لأن الله زكاهم، وعدَّلهم، ووعدهم الجنة كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، وفي الحديث: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[2]؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ٣٦٣)، وانظر: الإعانة على تقريب الشرح والإبانة ص٣٩٤.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٢)، كلهم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

فهذا هو التفصيل في من سب الواحد منهم، إن كان سَبَّه لدينه: كَفر، وإن سبه للغيظ والغضب: فَسَقَ.

فأهل السنة والجماعة يوالون الصحابة جميعاً، ويترضون عنهم، وينزلونهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يكفرون الصحابة، ويعبدون أهل البيت، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت وينصبون لهم العداوة.

وأمَّا الحروب والخلافات التي حدثت بين الصحابة، فموقف أهل السنة منها هو: الترضي عنهم، والإمساك عن الخلافات التي حدثت بينهم، وعدم إشاعتها، وعدم ذكرها؛ لأن إشاعتها تجعل في القلوب شيئاً على الصحابة، وأمَّا صدر عنهم من الخلاف، فالأمر فيه كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العقيدة الواسطية: إن الخلاف الذي حدث بين الصحابة منه ما هو كذب لا أساس له من الصحة، ومنه ما له أصل لكن زيد فيه ونقص وَغُيِّرَ عن وجهه، ومنه ما هو صحيح، لكن الصحيح: هم فيه ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد غير مصيب له أجر واحد، والصحابة ليسوا معصومين؛ بل قد يقع من الواحد منهم كبيرة، لكن إذا وقعت الكبيرة فهو إما أن يُوفق للتوبة التي يمحو الله بها الذنب، أو تقع عليه مصائب يُكَفِّرُ اللهُ بها ذنبه، أو تكون له حسنات ماحية، أو يشفع له فيها النبي ﷺ يوم القيامة إذا أذن الله له بذلك، فهم أولى الناس بشفاعته في مثل هذه الذنوب المحققة.

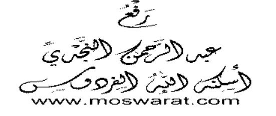
وينبغي للمسلم حتى يَسْلَمَ في هذا الباب، أن يقرأ في كُتب أهل السنة والجماعة مثل: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، فهي تشمل معتقد أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة مختصرة، وكتاب العواصم من القواصم، وهو كتاب جيد لابن العربي، المالكي، وكتاب مختصر السيرة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ ومختصر السيرة لابنه عبد الله، فهذه كتب جيدة في هذه المباحث.

ونُحذِّر من الأشرطة التي تُنشر وفيها سبٌّ للصحابة، مثل: أشرطة طارق السويدان، فإنه يذكر فيها الخلاف الذي حدث بين الصحابة، فَيَمْتَلِئُ قلبُ

المستمعُ غُصة على الصحابة، فأشرطة هذا الرجل لا ينبغي نشرها، وقد حذرنا منها ومنه قديماً، وحذَّرَ منه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، لكن طارق السويدان له بعض الأشرطة فيها كلام طيب لكن عليها بعض الملاحظات؛ لكن أشرطته عن الصحابة بالذات فهذه لا ينبغي سماعها، بل ينبغي إتلافها ومحوها، حتى لا تنتشر؛ لأن هذا خلاف معتقد أهل السنة والجماعة.

فعلى طارق السويدان ـ ومن حذا حذوه ـ أن يستغفر ربه، وأن يتراجع عما قاله عن الصحابة، وأن يعتقد ما يعتقده أهل السنة والجماعة، ويسلك مسلكهم.







النفاق هو الكفر

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «والنفاق هو الكفر؛ أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. وقوله ﷺ: **«ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق»**[(١)]، هذا على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نفسرها، وقوله ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[(٢)]، ومثل: **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»**[(٣)]، ومثل: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[(٤)]، ومثل: **«من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما»**[(٥)]،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣١)، والنسائي (٨/ ١١٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٧، ٣٩٧، ٥٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٦٨)، ومسلم (٦٦)، وأبو داود (٤٦٨٦)، والنسائي (٧/ ١٢٦)، وابن ماجه (٣٩٤٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٨٥، ٨٧، ١٠٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن ابن عباس، وابن مسعود، وجرير رضي الله عنهم.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، وأبو داود (٤٢٦٨، ٤٢٦٩)، والنسائي (٧/ ١٢٥)، وابن ماجه (٣٩٦٥)، وأحمد في المسند (٥/ ٤٣، ٥١) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، (١١٦، ١١٧)، والترمذي (١٩٨٣)، والنسائي (٧/ ١١٢)، وابن ماجه (٦٩)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، والترمذي (٢٦٣٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومثل: «**كفر بالله تبرؤ بالنسب وإن دق**»[١]، ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحُفظ، فإنا نسلّم له، وإن لم نعلم تفسيرها، ولا نتكلم فيها، ولا نجادل فيها، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت، لا نردها إلا بأحق منها».

الشَّرْحُ

النفاق: مشتق من النافقاء، والنافقاء: هي جحر اليربوع الخفي، وذلك أن اليربوع له جحران: جحر ظاهر، وجحر خفي، فالجحر الظاهر يقال له: القاصعة، والجحر الخفي يقال له: النافقاء، فله جحر ظاهر يعرفه كل أحد، وله جحر خفي، وذلك أنه يحفر في الأرض حتى يخرق الأرض، فإذا خرقها وصار جحراً كاملاً جعل فوقه تراباً لا يعلم عنه أحد، فإذا دخل مع جحره القاصع المعروف، ثم جاءه عَدُوٌّ دَفَعَ برأسه التراب الذي في الجحر الخفي، وخرج منه؛ طلباً للنجاة.

فكذلك المنافق له باطن وله ظاهر، باطنه الكفر، وظاهره الإيمان، وكذلك، النافقاء الذي يحفره اليربوعُ، ظاهره أنه تراب، وباطنه حفر. فهذا وجه اشتقاق المنافق من هذه الكلمة.

وأشار بقوله: «والنفاق: هو الكفر، هو أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ». إلىٰ ما يُسمَّى بكفر النفاق؛ لأن الكفر أنواع، والكفر معناه في اللغة: الستر والتغطية، ومنه سمي الزارع كافراً؛ لأنه يستر الحَبَّ في التراب، قال تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكذلك الكافر سمي كافراً؛ لأنه يستر الحق ويغطيه بكفره وضلاله.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٤٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢١٥)، والطبراني في الصغير (١٠٧٢)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٨٧) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وأما الكفر في الشرع فهو أنواع؛ وهو ينقسم إلى قسمين: كفر أكبر، وكفر أصغر، والمؤلف ذكر النوعين، فالنوع الأول: الكفر الأكبر الذي يُخرج من الملة، وهو أيضاً أنواع:

النوع الأول: كفر النفاق وهو الذي ذكره المؤلف، وهو: أن يكفر بالله ويعبد غيره في الباطن؛ يعني: يُظهر الإسلام في العلانية، وأنه يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ هذا في الظاهر، لكنه في الباطن مُكَذِّبٌ لله ولرسوله، مثل المنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، كعبد الله بن أُبيّ بن سلول. فهؤلاء المنافقون الذين كانوا يُظهرون الإسلام على عهد النبي ﷺ، ويصلون مع النبي ﷺ، ويجاهدون؛ هم كفرة في الباطن، وإنما فعلوا ذلك حتى تسلم دماؤهم وأموالهم؛ لأنهم لو أظهروا الكفر، لقُتِلوا وأُخذت أموالُهم.

والنفاق إنما يوجَد إذا قوي الإسلام؛ لأنه عند ضعف الإسلام يُظْهِرُ الكفارُ كفرهم ولا يبالون، لكن إذا خافوا من المسلمين أخفوا كفرهم ونفاقهم. فالمنافق تعريفه إذاً: هو الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، والله تعالى ذكر في أول سورة البقرة، ثلاثةَ أصناف: الصنفُ الأول: المؤمنين ظاهراً وباطناً؛ ذكرهم في أربع آيات: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥] ثم ذكر الكفار في الظاهر والباطن في آيتين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦]، وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، ثم ذكر المنافقين الذين هم كفار في الباطن، ومسلمون في الظاهر، في ثلاث عشرة آية، وَجَلَّىٰ أوصافهم وبَيَّنَ خُبثهم وشرهم؛ لأنهم يعيشون بين المسلمين، وهم يدبرون المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين.

فذكر من أوصافهم: أنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: في الظاهر: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: في باطن الأمر وحقيقته. ومن أوصافهم: الخداع، كما قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٩]، ومن أوصافهم أنهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾

[البقرة: ١٤]؛ يعني: أظهروا الإيمان: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]؛ أي: أظهروا الكفر، ومن أوصافهم أنهم يسمون الإيمان سَفَهاً، ويصفون المؤمنين بالسفه، ومنها: استهزاؤهم بالمؤمنين، ومنها: أن الله تعالى ذكر لهم، مثلاً مائياً ومثلاً نارياً: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] هذا المثل الناري: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] هذا هو المثل المائي. والله تعالى ذكر المنافقين، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وذكر في سورة النساء، وفي سورة التوبة كثيراً من أوصافهم وَجَلَّاهَا، وَلَمَّا جعل يذكر أوصافهم بقوله: ﴿وَمِنْهُم﴾، و﴿مِّنْهُمْ﴾ و﴿مِّنْهُمْ﴾، خشي المنافقون أن يسموا بأسمائهم. وكذلك ذكر الله أوصافهم في سورة محمد، بل في القرآن سورة خاصة سُمِّيَتْ باسمهم، وهي سورة «المنافقون»؛ لعظم ضررهم على الإسلام والمسلمين؛ ولأنهم عدو خفي، فالعدو الظاهر الذي ظاهره وباطنه الكفر، تأخذ حذرك منه؛ لأنك تعرف أنه يهودي، أو نصراني، أو وثني، أو شيوعي؛ فتأخذ حذرك منه.

لكن المصيبة في العدو الخفي: الذي يُظهر الإسلام، ويُبطن الكفر ويعيش بين المسلمين، ويدبر المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين، ولذلك صار عذابهم أشد؛ في دركةٍ سفلى تحت دركة اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]؛ لأنهم وافقوا اليهود والنصارى، والوثنيين في الكفر، وزادوا عليهم في الخداع؛ فزاد عذابهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ٨]؛ يعني: يقولونه بألسنتهم فقط، دون مطابقة ما يقولونه لقلوبهم، والحقيقة: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: بقلوبهم. وقال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]؛ يعني: هذه الشهادة في الظاهر، ثم قال في آخرها: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١] في الباطن، وكانوا في زمن النبي ﷺ، وكان رئيسهم عبد الله بن أُبي بن سلول.

ثم بعد ذلك صار يُسمَّى المنافقُ، بعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: زنديقاً، والزنديق كلمة فارسية في الأصل، وكذلك يطلق الزنديق على الجاحد

المعطل، ثم صاروا يُسَمَّون في زمننا الآن بـ(العلمانيين)، فالعلمانيون هم المنافقون، الذين يعيشون بين المسلمين، وهم يدبرون المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين، ويتصلون بالكفرة، وباليهود، وبالنصارى، ويسعون لنشر الفساد والشر بيْن المسلمين، هؤلاء العلمانيون هم المنافقون، وهم الزنادقة، وهم في كل وقت يُوجَدُون، ولكن كونهم الآن لا يُظهرون كفرهم؛ فهذا دليلٌ على قوة المسلمين، وقوة أهل الخير، وقوة أهل الصلاح، فالحمد الله على ذلك.

لكن لـمَّا كان النبي ﷺ في مكة، لم يكن فيها منافقون؛ لأن الكفار كانوا هم الأقوياء، وكانوا يظهرون كفرهم، لكن بعد غزوة بدر؛ لما أعز الله الإسلام وأهله، ونصر الله نبيه وحزبه، وقُتِل سبعون من صناديد قريش، وَأُسِرَ سبعون، أظهر عبدُ الله بن أُبي وَمَنْ معه من المنافقين الإسلام وأبطنوا الكفر؛ خوفاً على أنفسهم، وأموالهم. إذاً: نَجَمَ النفاق وظهر بعد غزوة بدر، بعد قوة المسلمين.

وَكُفْرُ النفاق أنواع منها:

النوع الأول: تكذيب الله في الباطن.

الثاني: التكذيب ببعض ما جاء عن الله ﷻ.

والثالث: تكذيب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

الرابع: التكذيب ببعض ما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

الخامس: بُغْضُ الله.

السادس: بُغْضُ رسول الله ﷺ.

السابع: السرور والفرح بضعف الإسلام والمسلمين، وانخفاض دين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإذا ضعف الإسلام والمسلمين؛ فرح واستبشر.

الثامن: الكراهية لانتصار الإسلام والمسلمين، فإذا انتصر الإسلام والمسلمون؛ كره ذلك. وإن شئتَ ـ كما ذكر العلماء ـ أن تقول: النفاق ستة

أنواع: تكذيب الله؛ تكذيب الرسول ﷺ؛ بغض الله؛ بغض الرسول، المسرة لانخفاض دين الرسول؛ الكراهية لانتصار دين الرسول. هذه ستة أنواع، صاحبها في الدرك الأسفل من النار، مَنْ اتصف بواحد من هذه الأمور الستة، فهو في الدرك الأسفل من النار؛ تحت اليهود والنصارى، وهو كافر كفر النفاق الذي هو نوع من أنواع الكفر الأكبر.

النوع الثاني: كفر الجحود والتكذيب، كأن يكذّب اللهَ، ويكذّب رسولَه، والأدلة على هذا كما تقدم؛ قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨].

الثالث: كفر التكذيب والجحود؛ فيكذِّب ويجحد في الظاهر والباطن، فيكون الفرق بينه وبين كفر النفاق، أن الجحود في كفر النفاق يكون في الباطن، لا في الظاهر، وأما كفر الجحود والتكذيب ـ المقصود هنا ـ فهو جحودٌ وتكذيبٌ في الظاهر والباطن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ [العنكبوت: ٦٨].

الرابع: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق وهو: أن يقابل أمر الله، أو أمر رسوله بالإباء والاستكبار، وإن كان مصدقاً، مثل كفر إبليس؛ فهو مصدق لكن قابل أمر الله بالإباء والاستكبار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]. فمن استكبر عن عبادة الله، كما استكبر إبليس؛ فهو كافر. ومثل ذلك: كُفْرُ فرعون، لأنه مستكبر كما ذكر الله عنه أنه قال: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧﴾ [المؤمنون: ٤٧]. ومنه أيضاً: كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧].

ومنه أيضاً: كُفْر أبي طالب، عم الرسول ﷺ، فإنه كان مصدِّقاً، ولكن منعه الكبْرُ عن الإيمان بالله وبرسوله؛ فإنه لما حضرته الوفاةُ: «دخل عليه

النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: **أيْ عم: قلْ: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**؛ فقال أبو جهل: وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب: ترغبُ عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيء كلَّمهم به ومات عليه؛ أنه على ملة عبد المطلب؛ فقال النبي ﷺ: **لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**؛ فنزلتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][١]. فأبو طالب دعاهُ النبي ﷺ إلى الإسلام فأبى واستكبر أن يشهد على آبائه وأجداده بالكفر؛ فكان مستكبراً عن عبادة الله، واتباع الرسول ﷺ، وإلا فهو مصدق؛ بدليل قوله:

ولقد علمتُ بأن دين محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبةٍ ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

يقول: أخشى من الملامة، وأحذر من سب آبائي وأجدادي، وأن أشهد عليهم بالكفر! لا أشهد عليهم بذلك؛ فكان بهذا مستكبراً عن عبادة الله، واتباع رسوله ﷺ. ومن هنا يغلط كثير من الناس الذين يقولون: لا يشترط جنس العمل في الإيمان، وليس هو من الإيمان، ومَنْ لم يأت بجنس العمل؛ فهو ناجٍ، وهذا مذهب باطل؛ لأنه لا بد أن يأتي بالعمل في الباطن، ولا بد له من عمل في الظاهر يتحقق به الإيمان، وإلا صار مستكبراً كإبليس وفرعون؛ فكلاهما مصدِّقٌ بباطنه، لكن لا أثر لذلك التصديق في الظاهر؛ فَعُلِمَ بذلك: أنه لا بد من العمل، وأن جنس العمل لا بد منه.

وكذلك الذي يعبد الله ويصلي، ويصوم؛ لا بد له من تصديقٍ في الباطن، يصحح له الإيمان، وإلا صار كإسلام المنافقين الذين يصلون ويصومون لكن في الباطن ليس عندهم تصديق يصحح هذه الأعمال، كما أن

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤)، وأحمد في المسند (٥/ ٤٣٣).

إبليس وفرعون مُصَدِّقان في الباطن، لكن ليس لديهما عمل يتحقق به هذا التصديق. إذاً لا بد من أمرين: عمل يتحقق به التصديق في الباطن، وتصديق في الباطن يتحقق بالعمل؛ فالتصديق في الباطن لا بد له من عمل يتحقق به، والعملُ لا بد له من تصديق في الباطن يصححه.

الرابع: كفر الشك والظن، كأن يشك في ربوبية الله، أو يشك في ألوهيته، أو يشك في الملائكة جميعهم، أو في ملك من الملائكة، أو يشك في رسول من الرسل، أو يشك في الجنة، أو يشك في النار، أو يشك في البعث، أو يشك في قيام الساعة؛ فالشاك في قيام الساعة؛ كافرٌ كما قال تعالى عن صاحب الجنة: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]. هذا هو الشك: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦] ثم قال: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ﴾ [الكهف: ٣٧]؛ لأن كفرَه كان بالشك في الساعة، كما دل عليه السياق.

الخامس: كفر الإعراض، وهو أن يعرض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به، ولا يعبد الله، فهذا المعرض يكون كافراً بهذا الإعراض؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣] ومن ذلك: هذه القصة وهي: «أن رجلاً ـ يقال: مِنْ بني عبد ياليل ـ، عرض عليه النبي ﷺ الإسلام، فقال: والله لأقول لك كلمة؛ إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنتَ كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك، ومشى وتركه»[1]. فهذا قد يقال: إنه شاك، لكن لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن آيات صِدْق الرسول ﷺ جملةً؛ وانصرف عنه؛ فيكون معرضاً، لكنه إن لم ينصرف ويُعرض ونظر في آياتِ صِدْق الرسول؛ فإنه لا بد أن يؤمن أو يكذب، فهو بين أحد أمرين: إما التصديق، وإما التكذيب.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٤، ٤٤٥)، والبداية والنهاية (٣/ ١٣٥)، ومدارج السالكين (١/ ٣٣٨)، والكامل في التاريخ (١/ ٦٠٧).

فهذه أنواع الكفر الأكبر، وكل هذه الأنواع الخمسة صاحبها مخلد في النار، وهي كما سبق: كفر النفاق، وكفر التكذيب والجحود مع التصديق، وكفر الإباء والاستكبار، وكفر الشك والظن، وكفر الإعراض. هذا هو الكفر الأكبر المخرج من الملة.

وهناك الشرك، وهو كذلك نوعان: شرك يُخرج من الملة، وهو: أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، أو يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام، كأن يسب الله، أو يسب الرسول ﷺ؛ فيكون مشركاً شركاً أكبر.

وهناك أيضاً: الظلم الأكبر المخرج من الملة، وهو ظُلْم الشرك والكفر، وأما الظلم الأصغر فهو ظلم المعاصي، وكذلك الفسق، يكون فسقاً أكبر، وهو فسق الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة: ٩٩]، والفسوق الأكبر يخرج من الملة مثالُه: فِسْقُ إبليس، المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ يعني: فسق فسوق كفر.

وهناك أيضاً: الجهل الأكبر المُخرج من الملة، وهو: جهل الكفر والشرك، ويقابل هذه الأنواع من الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، والجهل الأكبر، والنفاق الأكبر، يقابلها: الكفر الأصغر، والشرك الأصغر، والظلم الأصغر، والفسق الأصغر، والجهل الأصغر، والنفاق الأصغر. وهو في هذه الأنواع كلها، غير مخرج من الملة. فكل ما ورد تسميته من الذنوب شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وليس ناقضاً للإسلام، ولا شركاً في العبادة؛ فإنه يكون شركاً أصغر، وكذلك ما اعتُبر تسميته من الذنوب كُفراً، وليس واحداً من أنواع الكفر الخمسة؛ فهو أصغر.

وكذلك الظلم الأصغر، هو ما ورد تسميته من الذنوب ظلماً، ولم يصل إلى حد الظلم الأكبر. وكذلك القول في الفسق، والجهل. والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر من أنواع الكفر الأكبر: النفاق، وقال: «النفاق هو الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ»؛

يعني: عبد الله بن أُبي وغيره. ثم ذكر النفاق الأصغر، فقال: «وقوله: **«ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق»**[(١)] هذا على التغليظ». المذكور في هذا الحديث، هو النفاق الأصغر، والحديث رواه الإمام مسلم، أن النبي ﷺ قال: **«ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»**[(٢)] وفي رواية أخرى: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**[(٣)]، وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن»**، وفي رواية: **«خلة منهن» «كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا واعد أخلف، وإذا خاصم فجر»**[(٤)].

هذا الحديث ذكر فيه النفاق الأصغر؛ وهو نفاقٌ في العمل، وأمَّا النفاق الأكبر، فإنه يكون في القلب، كما سبق تعريفُهُ، وهذا النفاق الأصغر لا يُخرج من الملة، ومن أمثلته: أن صاحبه إذا حدث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وهو أنواع؛ هذا أبرزها.

وفي حديث عبد الله بن عمرو: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا واعد أخلف، وإذا خاصم فجر»**[(٥)] قال العلماء: كل واحدة من هذه الخصال معصية، لكن إذا اجتمعت في الإنسان هذه الأربع كلها، واستحكمت وكملت؛ فإنها تجره إلى النفاق الأكبر، ولهذا قال: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها»**[(٦)]. وأشار المؤلف إلى أن حديث: **«ثلاث من كن فيه فهو**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣١)، والنسائي (٨/ ١١٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٧، ٣٩٧، ٥٣٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٥٩).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٩٥) واللفظ له، ومسلم (٥٩)، وانظر ما قبلها.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨)، وأبو داود (٤٦٩٠)، والترمذي (٢٦٣٢).

(٥) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٦) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

منافق»[١]، قيل على سبيل التغليظ؛ يعني: أن الرسول ﷺ أراد أن يتوعد صاحب المعاصي، ويبيّن عِظَمَهَا، ولم يُرد أنها نفاق أكبر؛ لأن النفاق الأكبر قد بينه المؤلف، فيما سبق، وهو: أن يكفر بالله ويعبد غيره في الباطن، ويُظهر الإسلامَ في العلانية مثل المنافقين، وأما الخصال الواردة في حديث: «**ثلاث من كن فيه كان منافقاً**»[٢]. فهذه معاصٍ وكبائر، سَمَّاها النبي نِفَاقاً؛ للتغليظ والوعيد، وهي لا تصل إلى حد الأكبر، ولا تُخرج من الملة، لكنها من الكبائر.

وقول المؤلف الإمام: «نرويها كما جاءت ولا نفسرها»؛ يعني: لا نفسرها تفسيراً يخالف ظاهرها، بل تُروى كما جاءت، حتى تفيد الزجر والوعيد، كما يقول أهل العلم، ولكن نُبَيِّنُ أنها لا تُخرج من الملة لمن قد يحتاجُ إلى معرفة ذلك من أهل العلم، لكن لا تُفسر للعامة، وتُترك هكذا؛ حتى تفيد الزجر، ولهذا قال: «هذا على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نفسرها»؛ أي: للعامة، ولا نفسرها أيضاً تفسيراً يخالف ظاهرها.

المثال الثاني: الذي ساقه المؤلف، وهو مما يدخل في هذا المعنى حديث: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٣] وموضع الشاهد منه قوله: (كفاراً). لكن هل القتال بين المسلمين، كفر يُخرج من الملة؟ الجواب: أنه لا يُخرج من الملة إلا إذا استحله، واعتقد أنه حلال ورأى ذلك؛ ففي هذه الحال يكون اقتتاله كفراً أكبر؛ لأنه استحل أمراً معلوماً من الدين بالضرورة تحريمه، فإذا استحل قَتْلَ أخيه، أو قَتْلَ نفسه، أو استحل الزنى، أو الربا، أو الخمر، صار كافراً الكفر الأكبر بهذا الاعتقاد، أما مجرد القتل، أو الزنى، أو السرقة، وهو يعلم أنه عاصٍ، فهذا يكون معصية كبيرة، لا تُخرج من الملة.

وهذا الحديث رواه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما، عن جرير بن

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم برقم (١). (٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٦٨)، ومسلم (٦٦)، وأبو داود (٤٦٨٦)، والنسائي (١٢٦/٧)، وابن ماجه (٣٩٤٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٨٥، ٨٧، ١٠٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن ابن عباس، وابن مسعود، وجرير رضي الله عنهم.

عبد الله، أن النبي ﷺ، قال له في حجة الوداع: «**اسْتَنْصِتِ الناسَ، فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[١]؛ يعني: لا يقتل بعضكم بعضاً، وقوله: (كفاراً)، هذا أيضاً على التغليظ؛ يعني: أنه من باب الوعيد، فهو كفر أصغر.

ومثل هذه الأحاديث، قوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[٢]. وهو حديث صحيح، رواه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما، من طريق الأحنف بن قيس، عن أبي بكرة، مرفوعاً، قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[٣]، فهذا أيضاً: على التغليظ والزجر، وليس المراد أنهما يُخلدان في النار أبد الآباد؛ لأنه قال: «إذا التقى المسلمان»؛ فسمَّاهما «مسلميْن». لكن إذا استحله صار بذلك كافراً. وليس من هذا الباب: قتال الصحابة فيما بينهم؛ لأنه إنما وقع عن اجتهاد وعن تأويل؛ إذاً القتالُ عن اجتهاد وتأويل، ليس من هذا الباب، لكن إذا كان القتال عن هوى وعصبية، وبغي، وعدوان، وطاعة للشيطان، فهذا الذي يَنْصَبُّ عليه الوعيد. **وقوله: «في النار»**؛ يعني: أنه متوعد بالنار، وإذا دخلها فلا يخلد فيها.

المثال الرابع: حديث: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٤]، وهو حديث صحيح. وقوله: (وقتاله كفر) هذا أيضاً من باب الوعيد والتغليظ كما قال المؤلف. فيكون القتال على هذا: كفراً لا يُخرج من الملة، إلا إذا استحله.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥)، والنسائي (٧/ ١٢٧ - ١٢٨)، وابن ماجه (٣٩٤٢)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٦).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، وأبو داود (٤٢٦٨، ٤٢٦٩)، والنسائي (٧/ ١٢٥)، وابن ماجه (٣٩٦٥)، وأحمد المسند (٥/ ٤٣، ٥١) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) (١١٦، ١١٧)، والترمذي (١٩٨٣)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجه (٦٩)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والمثال الخامس: قوله ﷺ: «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**»[١]. هذا الحديث رواه ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما» إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**[٢]، **وفي لفظ:** «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**»[٣]. فقوله: (قال لأخيه: يا كافر وإلا رجعت عليه)[٤]، هل يفيد هذا اللفظ أنه يكون كفراً مخرجاً من الملة، أو لا يكون كذلك؟ الجواب: أنه لا يخرج من الملة؛ لأنه معصية، وكبيرة من كبائر الذنوب، إلا إذا استحله.

وذكر المؤلف في هذا الباب، حديث: «**كفرٌ بالله تبرؤ من نسب وإن دق**»[٥]. هذا حديث حسن. ومعناه: أن الإنسان إذا انتسب إلى غير أبيه؛ فقد كَفَرَ، ومثله ما جاء في الحديث الآخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر**»[٦]. وكذلك من انتسب من الموالي إلى غير مواليه؛ فقد كفر. فهل الكفر في هذه النصوص، هو الكفر المُخرج من الملة؟ الجواب: أن الكفر المذكور في هذه الأحاديث كفرٌ أصغر وكبيرة من كبائر الذنوب. وهذا على التغليظ كما قال المؤلف؛ لأنه ليس جحوداً وليس شركاً في العبادة.

وقد يُضاف إلى ما سبق، كفرُ النعمة[٧]، الوارد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ له، والترمذي (٢٦٣٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٧٤٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢١٥)، والطبراني في الصغير (١٠٧٢)، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٨٧)، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٥) حديث حسن تقدم فيما قبله.

(٦) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

(٧) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٦٧)، وأحمد في المسند (٦/ ٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]. فهذا كفر أصغر لا يخرج من الملة. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولهذا قال المؤلف: «ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحُفظ فإنا نسلّم له»؛ أي: نسَلِّم بأنه حديث للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ. وقوله: «وإن لم نعلم تفسيرها»؛ يعني: الذي يخالف ظاهرها، وقوله: ولا نتكلم فيها، ولا نجادل فيها، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت؛ يعني: نُبْقِيها كما وردتْ، ولا نفسرها تفسيراً يخالف الظاهر. وقال: «لا نردها إلا بأحق منها».

فجمهور أهل السنة يرون أن تسميتها كفراً على الحقيقة إلا أنها كفر أصغر، وأما الأحناف فيقولون: تسميتها (كفراً)، هو من باب المجاز، والكفر الحقيقي إنما هو الكفر الأكبر. والصواب: أنه كفر حقيقي لكن لا يُخرج من الملة.

ومثل الكفر الأصغر في هذا الباب: الشرك الأصغر، الذي لا يُخرج من الملة، وهو ما ورد تسميته من الذنوب شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، مثل: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[١] ومثل: لَمَّا قال رجل للنبي ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده**»[٢]، ومثل قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: «الأنداد: الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وتقول: لولا الله وفلان، وتقول: لولا هذا؛ لأتى اللصوصُ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوص». فهذا كلّه، من الشرك الأصغر.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، والترمذي (١٥٣٥)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٢/ ١٢٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٧)، وابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد في المسند (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥)، وصححه الشيخ الألباني في الأدب المفرد (٧٨٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وأما الظلم الأصغر، فهو ظلم المعاصي؛ كالمذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ أي: يتعدى حدود الله في الرجعة والطلاق؛ فهذا ظلم أصغر، وهو ظلم المعاصي. وكذلك: الفسق الأصغر، وهو فسق المعاصي كالمذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤]؛ هذا مثالٌ على فسق المعاصي.

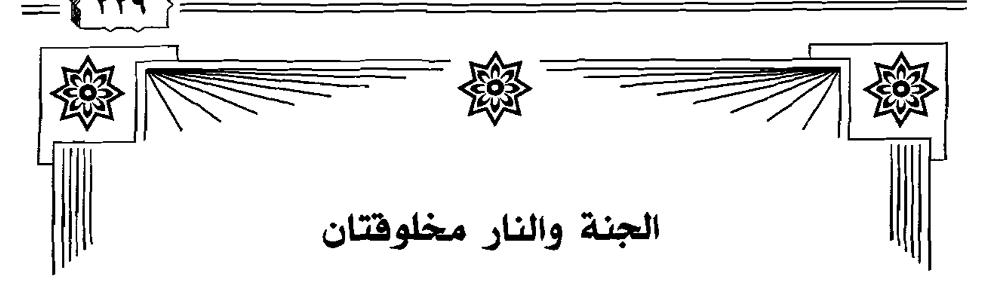
والجهل نوعان: جهل أكبر، وهو جهل الكفر، وجهل أصغر، وهو جهل المعاصي، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]؛ يعني: يعملون المعصية بجهالة، فالمقصود: الجهالة الصغرى، وهي جهالة المعاصي.

وبهذا يتلخَّص: أن الكفر يكون أكبر، ويكون أصغر، وأن الأكبر خمسة أنواع، وهي التي سبق سَرْدُها. وأما الكفر الأصغر فهي المعاصي التي سُميت كفراً ولم تصل إلى حد الأكبر، وقد ذكر المؤلف منها ستة أمثلة.

وكذلك الشرك نوعان: أكبر، وهو المخرج من الملة، وهو: أن يكون ناقضاً من نواقض الإسلام، أو شركاً في العبادة. والشرك الأصغر: فهي المعاصي التي سُمّيتْ شركاً، ولم تصل إلى حد الأكبر، مثل: الحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت؛ ولولا الله وفلان. وأيضاً الظلم نوعان: ظلم أكبر، وهو ظُلْمُ الكفرِ والشركِ، وظلمٌ أصغر، وهو ظُلْمُ المعاصي. والفسق كذلك نوعان: فسقٌ أكبر، وهو فسق الكفر والشرك، وفسقٌ أصغر؛ وهو فسقٌ المعاصي، والجهل أيضاً نوعان: جهلٌ أكبر؛ وهو جهلُ الكفرِ، وجهلٌ أصغر؛ وهو جهل المعاصي.







الجنة والنار مخلوقتان

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً ورأيت الكوثر، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت كذا، وكذا**»[(١)] فمن زعم أنهما لم تُخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار، ومن مات من أهل القبلة موحداً يُصَلَّىٰ عليه ويُستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً، أمره إلى الله تعالى، آخر الرسالة، والحمد لله وحده وصلواته على محمدٍ وآله وسلم تسليماً».

الشَّرْح

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجنة والنار مخلوقتان، كما جاء عن رسول الله ﷺ». ثم ذكر الأدلة، منها: حديث: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً، ورأيت الكوثر، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت كذا، وكذا**».

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالجنة والنار، وأنَّ مَنْ أنكرهما؛ فهو كافر؛ لأنه مكذِّب لله ولرسوله، فقد قال الله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾

---

(١) هذه ثلاثة أحاديث أدمجها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وسيأتي تفصيلها إن شاء الله في الشرح.

[البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ٨٩]؛ يعني: للمؤمنين، كما أخبر في الآيات أنه أعدَّ للكفار عذاباً أليماً. فالنصوص في هذا كثيرة، قطعية الدلالة، ولهذا كان مَنْ أنكر وجود الجنة، وأنكر وجود النار: كافراً؛ لأنه مكذب لله، ومكذب لرسوله، ولأنه لم يؤمن باليوم الآخر الذي يشمل: الإيمان بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، والصراط، والميزان؛ كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكر الجنة والنار، فهو مكذب أيضاً باليوم الآخر.

والجنة والنار، موجودتان الآن، ومخلوقتان؛ ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «والجنة والنار مخلوقتان، كما جاء عن رسول الله ﷺ». ثم ذكر الأدلة، منها: ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً**»[1]، وعن جابر قال النبي ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصراً، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك، فبكى عمر، وقال: أي رسول الله، أو عليك يُغار؟!**»[2]، فهذا دليل على أن الجنة ثابتة موجودة، وأنها مخلوقة الآن.

ومن الأدلة على وجودها وأنها مخلوقة الآن: قوله ﷺ: «**ورأيت الكوثر**»، وهذا الحديث وَرَدَ من طريق قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر**»[3]، والكوثر؛ يعني: الحوض، والحوض يُسمى الكوثر، ويصب

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٢٦)، ومسلم (٢٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (٨١٢٥)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٠٩)، والحميدي (١٢٣٦)، وأبو يعلى (١٩٧٦)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله واللفظ للإمام مسلم.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨١)، واللفظ له، ومسلم (٤٠٠) بمعناه، وأبو داود (٤٧٤٨)، والترمذي (٣٣٥٩، ٣٣٦٠)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠٣، ١٦٤، ١٩١، ٢٠٧، ٢٣١ ـ ٢٣٢، ٢٨٩).

فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة، فالذي في الجنة يسمى الكوثر، وحوض النبي ﷺ في موقف القيامة، ويصب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة، وكل منهما يُسمى كوثراً؛ ولهذا قال: «**هذا الكوثر الذي أعطاك ربك**»[١]، وهو الحوض في موقف القيامة، وجاء من صفته، كما تقدمْ، قوله: «**فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر**»[٢]. وورد في الأحاديث أن الحوض أوانيه عدد نجوم السماء، وأن طوله مسافة شهر، وأن عرضه مسافة شهر، وأنه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك.

ومن الأدلة التي استدل بها المؤلف على وجود الجنة والنار، وأنهما الآن مخلوقتان، قوله ﷺ: «**واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**». وهذا وَرَدَ من حديث عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعتُ في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء**»[٣]. لكن المؤلف أبهم ولم يصرِّحْ؛ لشهرة هذه الأحاديث، فقال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا».

والسبب في كون الفقراء أكثر أهل الجنة، أنهم في الغالب هم الذين يستجيبون للرسل ويؤمنون بهم؛ لأنه ليس هناك مانع يمنعهم من الإيمان، بخلاف أصحاب الأموال والرئاسات، فقد تمنعهم أموالهم وشهواتهم ومناصبهم من الانقياد لشرع الله ودينه، والإيمان بالرسل، أما الفقير فليس عنده شيء يمنعه، فيؤمن بهم، ولهذا صار أكثر أهل الجنة هم الفقراء؛ لأنهم ينقادون لشرع الله ودينه، أما الأغنياء والكبراء والرؤساء، فالغالب أنهم يستكبرون، فلا ينقادون للشرع، بل رئاساتهم وأموالهم تمنعهم من الانقياد للشرع، والإيمان بالله ورسوله.

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله. (٢) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤١)، واللفظ له، والترمذي (٢٦٠٣)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٢٩)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما، ذكره البخاري في الحديث (٦٤٤٩) معلقاً، ومسلم (٢٧٣٧)، والترمذي (٢٦٠٢)، وغيرهم.

وقوله ﷺ: «**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[(١)]، جاء في الحديث الآخر بيان سبب ذلك؛ وهو: أن امرأةً سألت النبيَّ ﷺ، فقالت: لم النساء أكثر أهل النار؟ فقال ﷺ: «**لأنكنَّ تُكثِرْنَ اللعنَ، وَتَكْفُرْنَ العشير**»[(٢)] والعشير: الزوج، فسبب دخولكن النار، أنكن تكثرن اللعن والشتام، وَتَكْفُرنَ العشيرَ؛ يعني: تُنْكِرْنَ إحسانَ الزوج. وجاء في اللفظ الآخر: «**تكفرن العشير، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر**»، ثم رأت منك شيئاً، قالت: «**ما رأيت منك خيراً قط**»[(٣)]؛ يعني: يُسارعن إلى إنكار الجميل السابق.

لكن جاء في حديث آخر: «**أن النساء أكثر أهل الجنة**»، وذلك فيما رواه أبو هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهما زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن...**» الحديث[(٤)]. وتفسير هذا: أنَّ كلّ مؤمن في الجنة له زوجتان، هذا على وجه العموم، وهناك من المؤمنين من له زوجات كثيرة. وليس في الجنة أعزب، فالجنة إذن فيها الحور العين، وفيها المؤمنات، فإذا جمعت الحور العين والمؤمنات في الجنة، وما لكلِّ مؤمن من الزوجات، صار أكثر أهل الجنة النساء؛ من الحور العين، ونساء المؤمنين.

وأشار المؤلف بقوله: «فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن

---

(١) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠)، والنسائي (٣/١٨٧)، وابن ماجه (١٢٨٨)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفي الباب عن ابن عمر ﷺ، أخرج مسلم (٧٩).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٩٠٧)، وغيرهم عن ابن عباس ﷺ.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٣٤)، وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ.

وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار»، إلى الذين يقولون: إنهما لم تخلقا الآن، وهم المعتزلة والقدرية؛ قالوا: إن الجنة والنار لم تُخلقا الآن، وإنما تخلقان يوم القيامة،؛ يعني: يقولون: الجنة والنار معدومتان الآن، فإذا جاء يوم القيامة خلقهما الله!

وقد اعتمدوا في هذا الإنكار على عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وقالوا: الجنة إنما يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وكذا النار يدخلها العُصَاةُ والكُفار، فإذا كان ذلك كذلك، فلا حاجة إلى خلقهما الآن؛ لأن من العبث أن تبقيا هكذا مُدداً طويلة، ولا أحد فيهما، بلا جزاء؛ ولا حساب!!

والحقيقة أن هذه شبهة فاسدة؛ لأنها في مقابل النص، وأنتم أيها المنكرون قد صادمتم كتاب الله وسنة رسوله، كيف تقولون: إنهما لم تخلقا؟! والله أخبر أنهما قد خُلقتا، فقال عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، فقوله: أُعدت بصيغة الماضي، دليل على أنهما خُلقتا. فكيف تصادمون النصوص؟!

وكذلك أيضاً: فإن الأحاديث التي ذكرها المؤلف صريحة في ذلك، كقوله: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً**»[1]، وهذا كان ليلة المعراج. فقوله: (دخلتُ الجنة) دليل قاطع على أنها موجودة، وإلّا فكيف يدخلها النبي ﷺ، ويصف فيها أشياء غير موجودة، وقد قال: «فرأيت قصراً»، وقال كذلك: «رأيت الكوثر»، الذي هو نهر في الجنة؟!

وكذلك قوله: «**اطلعتُ في الجنة واطلعت في النار**»[2]، كيف يَطَّلع الرسولُ على شيء لم يُخلق؟! ومن الأدلة أيضاً: ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال خُسِفَت الشمسُ على عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ، والناس معه؛ فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول،

---

(١) حديث صحيح: تقدم.

(٢) حديث صحيح؛ تقدم.

ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع ثم سجد، ثم انصرف، وقد تجلت الشمس فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته**»، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «**إني رأيت الجنة أو رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط...**»[(١)].

وفي الحديث الآخر عن أنس بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: «**عُرضت عليَّ الجنة والنار آنفاً في عُرض هذا الحائط، فلم أر كالخير والشر**»[(٢)].

فهذه أدلة جليّةٌ على أن الجنة والنار، موجودتان الآن، وفيها الرد على المعتزلة الذين يقولون: تُخلقان يوم القيامة.

وقوله: «**عُرضت عَلَيَّ الجنة والنار في عُرض هذا الحائط**»[(٣)]؛ يعني: كُشف له عنهما.

ومن الأدلة على أن الجنة والنار موجودتان الآن: أن أرواح المؤمنين تُنعم في الجنة، وكذا أرواح الشهداء؛ قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل**»[(٤)]. وكذلك أيضاً فإن روح المؤمن ـ غير الشهيد ـ تنعم في الجنة؛ قال النبي ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٨، ٥١٩٧)، واللفظ له، ومسلم (٩٠٧)، وأبو داود (١١٨٩)، والنسائي (٣/١٤٦ ـ ١٤٨)، وأحمد في المسند (١/٢٩٨، ٣٥٨، ٣٥٩)، عن ابن عباس ﷺ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٤٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٥٩)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٨٧)، واللفظ له، والترمذي (٣٠١١)، وابن ماجه (٢٨٠١)، عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

في شجر الجنة»؛ يعني: يأكل: **«حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة»**[١].

وكذلك أيضاً ثبت أن: **«العبد إذا وُضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؛ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة»**[٢].

فإذن: الجنة موجودة، بدلالة هذه النصوص وغيرها، فكيف يكون القول بخلقهما عبثاً كما يدَّعي هؤلاء؟! والكافر ثبت في الحديث أنه يقال له وللفاجر: **«افتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»**[٣]. إذاً: النار أيضاً موجودة، والله تعالى قد قال في كتابه العظيم عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [غافر: ٤٦]. وهذا الأمر يكون في البرزخ؛ أي: في القبر. فالنار موجودة، وفرعونُ ومَنْ معه يُعرضون عليها غدواً وعشياً.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي»**[٤].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٥)، واللفظ له، وابن ماجه (١٤٤٩، ٤٢٧١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥)، ومالك في الموطأ (٨٢٠) والطبراني في الكبير (١٥٤٧٣) وابن حبان في صحيحه (٤٦٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٥٦)، وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح، ولمزيد من البحث راجع السلسلة الصحيحة (٩٩٥)، وصححه الشيخ الألباني بطرقه وشواهده من طريق كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٣٨)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٠)، وأبو داود مختصراً (٣٢٣١)، والنسائي (٤/ ٩٧)، وأحمد في المسند (٣/ ١٢٦)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أخرجه أبو داود، وأحمد، وابن خزيمة، وابن المبارك وغيرهم.

(٣) حديث صحيح؛ تقدم فيما قبله.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٩، ٣٢٤٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٦)، والنسائي (٤/ ١٠٦، ١٠٧)، عن ابن عمر رضي الله عنه.

فهذه كلها أدلة على وجود النار. وثبت أيضاً في الترمذي، أن النبي ﷺ قال: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»[1]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرستْ له نخلة في الجنة**»[2]. إذاً: الجنة موجودة، والمعنى: أنه يُزاد للمؤمن في غراسها، بزيادة الحسنة والثواب، ويُغرس له؛ زيادة على ما أعد الله له.

ومن الأدلة أيضاً: حديث أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: «**لما خلق الله الجنة قال لجبرائيل: اذهب فانظر إليها، فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها. فَحَفَّها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك فقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها**»[3]، فهذا دليل من الأدلة على أن

(١) حديث حسن لغيره: أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (١٠٣٦٣)، عن ابن مسعود ﷺ، وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري، وابن عمر ﷺ، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٥).

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٩٠)، وأبو يعلى في مسنده (٢٢٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٨٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)؛ عن جابر ﷺ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، واللفظ له، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣ ـ ٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٣، ٣٥٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦ ـ ٢٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٠).

الجنة والنار مخلوقتان الآن، ويرد بها على المعتزلة الذين يقولون: إنهما تخلقان يوم القيامة.

ومن الأدلة أيضاً: رؤية النبي ﷺ للجنة والنار ليلة المعراج، ورأى أناساً يعذبون؛ فرأى الزناة والزواني يعذبون في مثل التنور، وكذلك أيضاً: المرابي رآه يسبح في نهر الدم، ورأى الكذاب الذي يُشَق منخره وشدقاه، ورأى غيرهم.

وروي عن بعض السلف أن النار تفنى بعد مُدد متطاولة، وهذا القول يُنسب إلى بعض السلف، ويستدلون بآثار، لكن أكثر هذه الآثار ضعيفة، ومنها: ما روي عن عمر وغيره: «**لو لبث أهل النار في النار قدر رمل عالج، لكان لهم يوماً يخرجون منه**»[1]، وقالوا: فَرْقٌ بين خروج العصاة، وبين خروج الكفار؛ فالعصاةُ أُخرجوا وهي باقية، والكفار أُخرجوا منها بعد نهايتها، وَفَرْقٌ بين من يُخرج من الحبس؛ والحبسُ باقٍ، وبين من يُخرج من الحبس؛ لسقوط الحبس وانتقاضه. فالكفار ما أُخرجوا لكن هي التي انتهت. لكن هذا قول ينسب إلى بعض السلف. وبعض أهل العلم جمع بينهما، وقال: ما روي عن بعض السلف بفناء النار، يُحمل على أن النار التي تفنى هي نار العصاة، وهي الطبقة العليا من النار، فإذا خرج العصاة منها، انتهت وَفَنيتْ، وأما طبقات الكفار فهي باقية. وهذا القول حسن؛ لأن النار دركات، والدركة العليا فيها؟ هي دركة العصاة، أما دركات الكفرة، فلا تفنى. وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الجنة والنار تفنيان جميعاً، فأنكر أهل السنة والجماعة عليه، وبدعوه، وضللوه، وصاحوا به؛ لأن قوله هذا قول فاسد مصادم للنصوص، والجهم كافر، وقد كَفَّر الجهميةَ خمسمائةُ عالم.

وهذا الجهم لما ناظره جماعة من فلاسفة الهند من (السمنية)، شك في ربه، وترك الصلاة أربعين يوماً ـ والعياذ بالله ـ، ثم نقش الشيطان في ذهنه

---

(١) خبر ضعيف لانقطاعه بين الحسن البصري، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، رفع الأستار (١/ ٩)، وضعفه الشيخ الألباني في شرح الطحاوية (٤٨٤)، وقال الحسن: لم يدرك عمر رضي الله عنه.

أن الله موجود وجوداً مطلقاً؛ يعني: أنه لا يُثبت لله وجوداً إلا وُجوداً في الذهن فقط، ولازم هذا: إنكار وجود الله!! فلا يستغرب منه قولُه: إن الجنة والنار تفنيان.

وقال أبو الهذيل العلَّاف[1]، شيخ المعتزلة في القرن الثالث الهجري: بفناء حركات أهل الجنة والنار، وأنهم بعد مدة طويلة يجمدون، ويكونون مثل الحجارة؛ لا يتحركون! وقد ناقشه الإمام ابن القيم[2] رَحِمَهُ اللهُ في النونية وفي غيرها، وشنّع عليه، وقال متهكماً به: إذا جاء هذا اليوم الذي تفنى فيه الحركات ـ على فرض قولك ـ: ، فما حال من يتناول عنقوداً ثم فنيت الحركات فجأةً، هل يبقى على هذه الحال؟! ويبقى مفتوح الفم؟! وجعل يشنع عليه، ويذكر صُوراً من هذا القبيل. فالمقصود أن هذا قول فاسد، وأفسدُ منه قولُ الجهم.

والصواب قول أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار دائمتان أبداً، لا تفنيان ولا تبيدان، قال الله تعالى عن نعيم الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]، وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، وكذلك قال عن النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، وقال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ٢٣﴾ [النبأ: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧]، فكل هذه النصوص تدل على دوام الجنة والنار واستمرارهما. هذا هو الصواب الذي دلت عليه النصوص.

وأشار الإمام رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «فمن زعم أنهما لم تُخلقا؛ فهو مكذب بالقرآن، وأحاديث الرسول ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار»، إلى كفر المعتزلة، ـ والمعتزلةُ كفَّرهم بعضُ أهل العلم، وبعض أهل العلم بَدَّعهم ـ وظاهر كلام الإمام أحمد، أنه يكفرهم؛ لأنه قال: «فمن زعم أنهما لم تخلقا؛ فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ». والمكذب بهما كافر، والمعتزلة

(١) الطحاوية (٣/ ٤١).

(٢) شرح قصيدة ابن القيم النونية (٢/ ٣٣٧).

يزعمون أنهما لم تخلقا، وتخلقان يوم القيامة، إذاً: فهم مكذبون بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ. ولهذا قال الإمام أحمد: «ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار»؛ لأنه لو كان يؤمن بالجنة والنار لأثبتهما، وصَدَّقَ كلامَ الله وكلامَ رسوله، فقولهم هذا يفضي به إلى أنهم لا يؤمنون بالجنة ولا بالنار.

وقول الإمام رحمه الله: «ومن مات من أهل القبلة موحداً؛ يُصلى عليه، ويُستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تُترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أم كبيراً، وأمره إلى الله»؛ يعني: بأهل القبلة: الموحد الذي يستقبل القبلة في الصلاة ويصلي، كما في الحديث: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»[1]؛ يعني به: من التزم بدين الإسلام، واستقبل القبلة في الصلاة، والذبح، ولم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام؛ فهذا مسلمٌ، له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، فلا يُحكم عليه بالكفر إلا إذا فعل ناقضاً من نواقض الإسلام، كما في حديث عبد الله بن مسعود: «**لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[2]. فمن مات من أهل القبلة؛ موحداً؛ يشهد لله بالوحدانية، وللنبي ﷺ بالرسالة، ولم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام، والتزم بمقتضى التوحيد وحقوقه، الذي هو العمل، منقاداً؛ فهو مؤمن، وإلا صار مثل إبليس، مستكبراً عن عبادة الله، غير منقادٍ، مع أن إبليس، مؤمن مصدق في الباطن، لكن ليس لديه انقياد لله ولرسوله

فلا بد أن ينقاد لحقوقها، ولا بد أن يبتعد عما يناقضها، فإذا ذبح

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٩١)، والنسائي (٨/ ١٠٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١)، وأبو داود (٢٨٠٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، واللفظ له، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)، والنسائي (٧/ ٩٠ ـ ٩١، ٩٢)، وابن ماجه (٢٥٣٤)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٢، ٤٢٨، ٤٤٤).

لغير الله أو أشرك، أو سب الله، أو سب الرسول، أو قال: الصلاة غير واجبة، أو الزنا حلال، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، كإنكاره نبوة محمد ﷺ، أو قال: بعده نبي، أو قال: ليس خاتم النبيين، أو استحل محرماً مجمعاً على تحريمه، وغيرها من الصور الكثيرة التي تبطل التوحيد وتنقضه، كما ينقض الحدثُ الطهارةَ، فإن هذا لا يكون موحداً.

والمقصود: أن من مات وهو ملتزم بأحكام الإسلام، ولم يُعلم عنه أنه فعل ناقضاً من نواقض الإسلام؛ فإنه يصلى عليه، ويُستغفر له، ولا يُحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً، والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٨٤]؛ إذْ جعل العلة في كونهم لا يُصلى عليهم: الكفر؛ فدل على أن الكافر لا يُصلى عليه، ولا يُدعى له، ولا يُستغفر له، ولا يُحج عنه، والموحد يُصلى عليه، ويدعىٰ له، ويُستغفر له، ويُحج عنه .

وهذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، نزلت بعد ما صلى النبي ﷺ على عبد الله بن أُبي. فالحاصل: أنَّ مَنْ مات على ذنب؛ كالغيبة، أو النميمة، أو على كبيرة من الكبائر، فالأصل أنه يصلى عليه، ويُدعى له، ولهذا قال: ولا يحجب عنه الاستغفار، ولا تُترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أم كبيراً، وأمره إلى الله تعالى.

لكن جاء في بعض الكبائر أنه لا يصلى عليه، فقد ثبت «أن النبي ﷺ لم يصلِّ على من قتل نفسه»(١)، وثبت أنه لم يصلِّ على من عليه دَيْنٌ في أول الأمر، وقال: «**صلوا على صاحبكم**»(٢)، لكن يصلي عليه عامة الناس.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٩٧٨)، وأبو داود (٣١٨٥)، والنسائي (٤/ ٦٦)، وأحمد في المسند (٥/ ٩١، ٩٦).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٧١)، ومسلم (١٦٩١)، وأبو داود (٢٩٥٥)، والترمذي (١٠٧٠)، والنسائي (٤/ ٦٦)، وابن ماجه (٢٤١٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وفي الباب عن جابر عند مسلم (٨٦٧)، وأبي داود (٩٥٦)، وابن ماجه (٤٥).

قال العلماء: لا يصلي عليه أهلُ العلم؛ تحذيراً للأحياء أن لا يفعلوا مثل فعله، لكن يصلي عليه عامةُ الناس؛ فهو ليس بكافر؛ لكن الغرض تحذير الأحياء أن يعملوا مثل عمله. وقد جاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ «**لم يصلِّ على الزاني**»[(١)]، وهذا في أول الأمر، ثم صلى النبي ﷺ، على امرأة من جهينة أتته وهي حُبلى من الزنا[(٢)]. فهذا إذا تأخر عنه أهل العلم؛ تحذيراً للأحياء، فهو حسن، لكن يصلي عليه عامة الناس.

فالخلاصةُ: أنه يصلى عليه ما دام أنه لم يفعل الكفر الأكبر، ولا النفاق الأكبر، ولا الشرك الأكبر، ولا الظلم الأكبر، ولا الفسق الأكبر، ولا الجهل الأكبر، ولو كان له ذنب صغير أو كبير، والكبائر سبق تعريفها، ونُعيدها للفائدة، فنقولُ: هي: جمع كبيرة، والكبيرة: كل ذنب ترتب عليه حَدّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة بالنار أو الغضب، أو اللعنة، أو نُفي عن صاحبه الإيمان، أو قال فيه النبي ﷺ: «**ليس منا**»[(٣)]، أو تبرأ منه النبي ﷺ، كما «**برئ النبي ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة**»[(٤)]، فالصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة؛ والحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، فهذه من الكبائر أيضاً.

فائدةٌ: معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٢٠)، ومسلم (١٦٩١)، وأبو داود (٣١٨٦، ٤٤٣٠)، والترمذي (١٤٢٩)، والنسائي (٤/ ٦٢ ـ ٦٣)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٢٣)، وابن حبان (٣٠٩٤)، وغيرهم عن جابر رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٦٩٦)، وأبو داود (٤٤٤٠)، والترمذي (١٤٣٥)، والنسائي (٤/ ٦٣ ـ ٦٤)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٣٦)، والدارمي (٢٣٢٥)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) تقدم في باب (لقي الله بذنب يجب له به النار).

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤)، وأبو داود (٣١٣٠)، والنسائي (١/ ٢٦٣)، وابن ماجه (١٥٨٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٤)، عن أبي موسى رضي الله عنه.

﴿قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، أن الله تعالىٰ نهىٰ نبيه ﷺ من الصلاة على أحد من الكفرة، أو القيام على قبره للدعاء بعد الدفن، والعلة هي: الكفر، فيبقى هذا النص عامّاً يشمل كل كافر، فلا يصلى عليه، ولا يقام على قبره للدعاء بعد دفنه، فضلاً عن أن يُحج عنه، أو يُتصدق عنه، بخلاف الموحِّدين من أهل القبلة، فإنه يُستغفر له، وتصلى عليه صلاة الجنازة، ويجوز أداؤها في المقبرة، وليست هي الصلاة المنهي عنها في المقبرة؛ لأن الصلاة المنهي عنها في المقبرة هي: الصلاة ذات الركوع والسجود، أما صلاة الجنازة، فليس لها ركوع ولا سجود؛ بل المقصود منها الدعاء، فلهذا يُصلى على الميت في المقبرة، ولو بَعد الدفن؛ لمن لم يصلِّ عليه.

والدليل على هذا: أن النبي ﷺ لما مات الرجلُ، أو المرأةُ التي كانت تَقُمّ المسجدَ، ودفنوه، أو دفنوها ليلاً، وأخبروه، قال: «**دلوني على قبره**»[(١)]، فذهب إلى قبره، أو قبرها فصلى عليه، فهذا دليل على أن صلاة الجنازة المقصود منها: الدعاء، أما الصلاة التي لها ركوع وسجود، فلا تجوز في المقبرة، لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[(٢)]. ولذلك لمَّا رأى بعضُ الصحابة رجلاً يصلي عند قبرٍ وهو لم يعلم أنه قبرَ، قال له: القبر؛ يعني: ابتعدْ عن القبر. ولكن هل يدخل في قوله: «ومن مات من أهل القبلة» المنافقون أو لا يدخل؟ الجواب: إذا لم يظهر كفره؛ فإنه يُصلى عليه، ويُغسل، ويُدفن في مقابر المسلمين، ويرث، ويورث.

أما إذا أظهر كفره، فإنه لا يُصلى عليه؛ لأن المنافقين تجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر؛ فمن أظهر منهم نفاقه: قُتِل، ومن لم يُظهر نفاقه:

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦)، وأبو داود (٣٢٠٣)، وابن ماجه (١٥٢٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٩٧٢)، وأبو داود (٣٢٢٩)، والترمذي (١٠٥١)، والنسائي (٢/ ٦٧)، وأحمد في المسند (٤/ ١٣٥)، وغيرهم عن أبي مرثد الغنوي ﷺ.

يعامَل معاملةَ المسلمين في الدنيا، ولكن لا يفيده هذا في الآخرة، بل يكون في الدرك الأسفل من النار. نسأل الله السلامة والعافية. وهذا ختامُ شرح هذه الرسالة النافعة، نسأل الله للجميع العلم النافع، والعمل الصالح، ووفقنا لطاعته، وثبتنا على هداه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

الأسئلة

س: فضيلة الشيخ يحفظكم الله، ذُكر في درس سابق أن القدرية منهم المشركية، والإبليسية، والمجوسية، هل هذه الثلاثة تدخل في القدرية الأولى أو المتوسطة أو الجبرية؟

ج: القدرية الأولى التي انقرضت، كَفَّرَهم العلماءُ، وكفَّرهم الصحابة؛ لأنهم نسبوا الله إلى الجهل ـ والعياذ بالله ـ وقالوا: إن الله لا يعلم بالأشياء حتى تقع، ويقولون: إن الأمر أُنف؛ أي: مستأنف وجديد. فهؤلاء كفرة، لكنهم انقرضوا، وقد كَفَّرهم ابنُ عمر، وغيره من الصحابة، وقال ابن عمر لما أُخبر بذلك: «إذا لقيتَ هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلفُ به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أُحدٍ ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه، حتى يؤمن بالقدر»، ومعلومٌ أن الذي لا يُقبل منه العمل، هو: الكافر.

وأما القدرية، بأقسامها الثلاثة، وهم الذين جاءوا بعد القدرية النفاة، فهم ـ كما سبق ثلاث طوائف ـ: القدرية المجوسية، وهؤلاء يؤمنون بالشرع، ولكن يكذبون بالقدر، والطائفة المشركية: يؤمنون بالقدر، ويكذبون بالشرع، وقلنا: إن الطائفة المجوسية أقرب إلى الحق، وهم مبتدعة، ولم يكفرهم العلماءُ، بل سموهم مبتدعة؛ فهم ليسوا كالقدرية الأولى. وأما القدرية المشركية: فهم الذين يحتجون بالقدر على الشرك، فهؤلاء قد يكفرون؛ لأنهم يحتجون على المعاصي بالقدر، ويقول أحدهم: أنا مجبور، ويقول: أنا إن عصيتُ أمرَ الله الشرعي، فقد وافقتُ أمرَه القدري، فهم يعذرون أنفسهم بفعل المعاصي التي يحتجون عليها بالقدر!!، وقد يَصِلُونَ إلى الكفر.

وأما الإبليسية فمعروف أنهم كفار، وأن شيخهم إبليس، وهم الذين يؤمنون بالقدر والشرع، ويقولون: إن الرب متناقض؛ لأن الشرع ـ بزعمهم ـ ينقض القدر، والقدر ينقض الشرع، ـ نسأل الله العافية ـ فهؤلاء لا شك في كفرهم. والمشركيةُ من القدرية، إذا كانوا يحتجون على شركهم وعلى معاصيهم بالقدر، فهم كفرة أيضاً، أما القدرية المجوسية فهم مبتدعة، وهم أحسن حالاً منهم، ففرقٌ بين القدرية المشركية، والقدرية المجوسية؛ لأن القدرية المجوسية: يعظمون الشرع، ويعظمون الرسول، لكن حصلت لهم شبهة في هذا الباب، فقالوا: إن الله لم يُقَدِّر أفعالَ العباد ولم يخلقها؛ لأنه لو قدَّرها عليهم، ثم عذَّبهم؛ لكان ظالماً لهم؛ والله مُنزه عن الظلم، ولذلك: فإن العباد يستقلون بخلق أفعالهم. وهذه شبهة فاسدة. فهؤلاء مع قولهم وشبهتهم الفاسدة، معظمون للشرائع، بخلاف المشركية، فإنهم يعطلون الشرع، ويقولون: الشرع عبث، والرسل عبث؛ لأنهم يحتجون بالقدر على المعاصي.

س: أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل يجوز الصلاة خلف أئمة الزيدية، سواء صلاة فرض أو صلاة جنازة؟

ج: إن كان هذا الزيدي يعتقد كفراً، ويعتقد ما يعتقده الرافضة، فلا يُصلى خلفه، والصلاة خلفه باطلة، وإن كان يعتقد أموراً مبتدعة، فهو مسلم مبتدع. والمبتدع والفاسق اخْتُلِفَ في الصلاة خلفهم إذا كانوا أئمة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإمام الكافر، وهو الذي يفعل الكفر، كمن يسب الله، أو يسب الرسول ﷺ، أو يدعو غير الله، فهذا لا تصح الصلاة خلفه بالإجماع، وإذا صلى خلفه فإنه يُعيد، ولو بعد مائة سنة.

الثاني: الإمام المستور الحال، الذي لا يُعلم منه بدعة، ولا فجور، وهذا يُصلى خلفه.

الثالث: الإمام الفاسق؛ ظاهر الفسق، أو المبتدع، ظاهر البدعة، فهذا إذا كان إمامَ المسلمين؛ يُصلى خلفه، أو كان لا يوجد في البلد إلا مسجده

هو، فإنه يصلى خلفه، ولا يصلي وحده، فإذا كنتَ لا تجد في البلد إلا هذا الإمام الفاسق، ولا يوجد مسجد آخر تُصلى فيه الجمعة؛ فإنك تصلي خلفه، ولا تصلي وحدك، إذا كان يترتب على ترك الصلاة خلفه مفسدة.

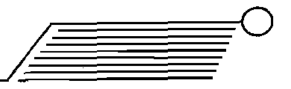
أما إذا وُجد غيره، ولا يترتب على ترك الصلاة خلفه مفسدة، فهل يُصلى خلفه أو لا؟ فيه خلاف بين العلماء، فمنهم مَنْ قال: يصلى خلفه، ومنهم من قال: لا يصلى خلفه، ومنهم من قال: تصح وتُعاد. والصواب أنها صحيحة؛ لأنه مسلم، ولكن الصلاة خلف العدل أولى؛ لأن الصحابة كانوا يصلون خلف الحجاج، وكان فاسقاً ظالماً؛ لأنه أمير، وأمير البلد، أو الوالي: يُصَلَّى خلفه، ولو كان فاسقاً.

س: أحسن الله إليكم يقول السائل في الحديث: «رأيت قوماً لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم»، هل هذا دليل على أن الجنة والنار يسكنها أحدٌ الآن؟

ج: هذا دليلٌ على العذاب في البرزخ، وأن هؤلاء الذين رآهم يعذبون، رآهم في البرزخ؛ مثل آكل الربا الذي رآه يسبح في نهر الدم، ورأى أقواماً يخمشون وجوههم وصدورهم؛ لأنهم يأكلون لحوم الناس، ورأى غير هؤلاء، والله أعلم.



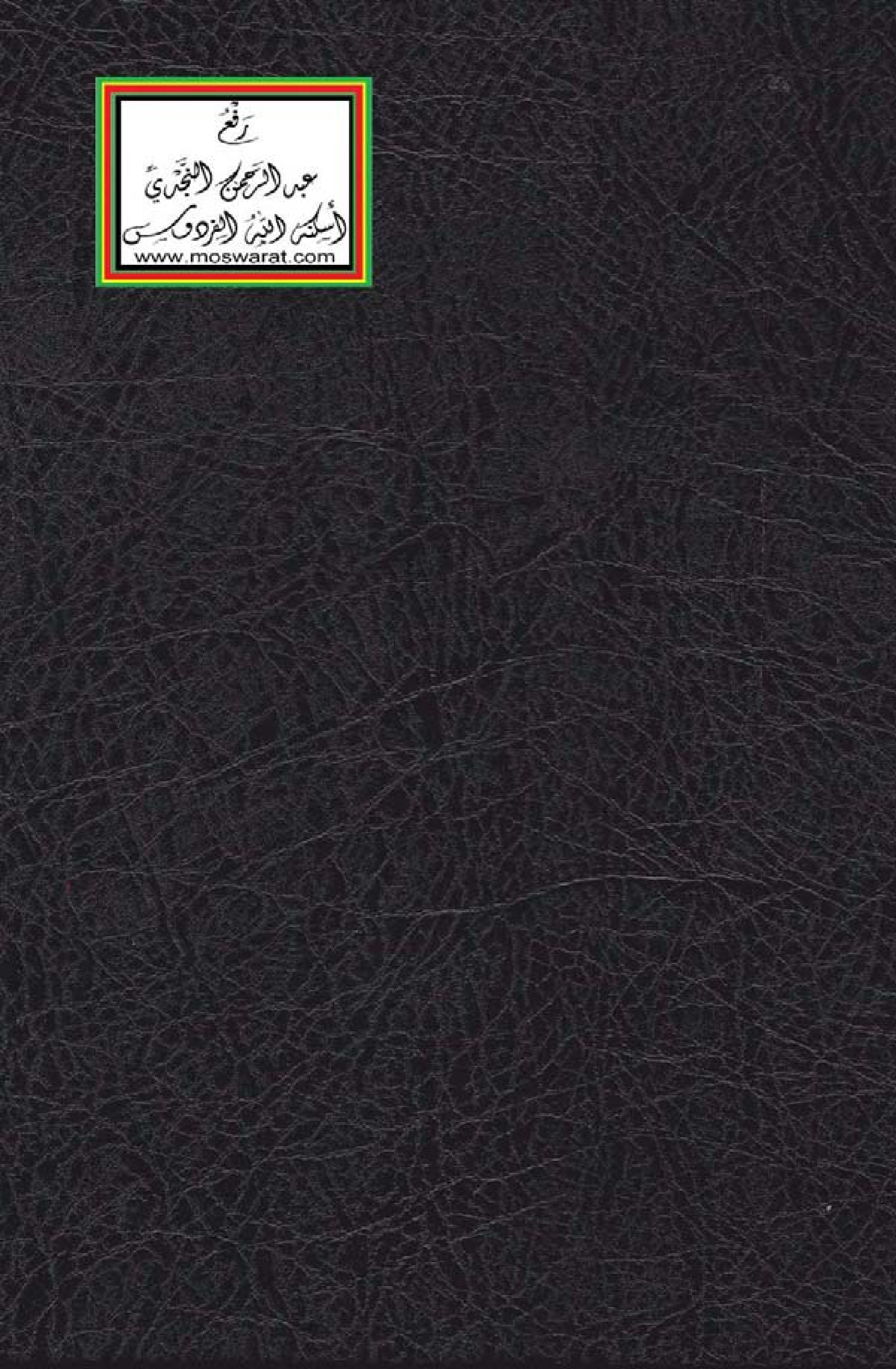




فهرس كتاب شرح أصول السنة

الموضوع | الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com